

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية و آدابها

تخصص : نحو و صرف

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه بعنـوان:

الدرس النحوي والبلاغي بين أسرار البلاغة ودلائل
الإعجاز
دراسة تحليلية

أ.د عبد الجليل مرتاض

فتيحة عباس

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د قريش أحمد
مشرفا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د عبد الجليل مرتاض
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذة محاضرة - أ.	د. عبو لطيفة
عضوا	المركز الجامعي مغنية	أستاذة محاضرة - أ.	د.صغير فاطمة
عضوا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ محاضر - أ.	د.عكاشة سعيد
عضوا	المركز الجامعي غليزان	أستاذ محاضر - أ.	د.ابن أحمد بن علي

السنة الجامعية: 1437هـ-1438هـ الموافق لـ 2016م-2017م

إِهْدَاءً

إلى والديّ الكريمين:

وهديّة منّي:

إلى إخوتي وأخواتي

شكر وتقدير

لقد

أكر

مني الله أن وفقني إلى القراءة و الكتابة في هذا
البحث بفضلته و منته، و جعل لي أستاذي المشرف
عبد الجليل مرتاض سندا قويا بقبوله مهمّة
الإشراف بالنصح الأبوي و التوجيه العلمي و
الإرشاد المنهجي.

و حُقّ لي أن أفتخر بهذه الحُظوة التي حظيت بها
من أستاذ قدير له يد بيضاء على كلفة الآداب و
اللغات فله منّي الدعاء الخالص ليجزيه الله أحسن
الجزاء و بارك الله له في مسعاها.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين، وصلواته على محمد سيد المرسلين.

وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإن أفضل العلوم ما كان زينة وجمالا لأهلها، وعونا على حسن أدائها، وهو علم العربيّة، الموصل إلى صواب النطق، المقوم لزيغ اللسان، والمحقق لسبل البيان بجودة الإبلاغ، وصدق العبارة.

فقد ارتبطت علوم العربيّة بأهلها وأعلامها الذين منحوها حقّ العناية وكفلوها بخالص الرّعاية، وأحاطوها بشعرها ونثرها، وأدبها ونقدها، ونحوها وصرفها، وبلاغتها وإعجازها، إلى غير ذلك من تفسير، ومنطق، وفلسفة تكاملت فيها جهود العلماء المختصّين، وتعدّدت فيما بينهم المشاربُ

والمذاهبُ، كلُّ في ميدانه الذي تخصّص، وهدى إليه منه، ومن بين هؤلاء العلماء البارزين الذين تشرّفت بهم علوم العربيّة في نحوها وبلاغتها الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي سما به جهده إلى أن يترك إرثا علميا يعدّ بحقّ قيما حضاريّة وثقافيّة وفكريّة، فهو يمثل مرحلة تاريخيّة لقراءة التراث العربي الإسلامي، وهو إمام في علم النّحو بفضل مصنّفاته.

ودراساته للسّابقين في كتبه كالإيضاح، والمغني والمقتصد. وكلاهما شرح لكتاب الإيضاح، زيادة على كتاب التّكملة، وهو في هذه الأعمال كلّها يعدّ شارحا لأعمال سابقيه ولا سيما ما خصّ به شيخه أبا علي الفارسي صاحب هذه الأعمال المذكورة، وأمّا عمله الخالص في النّحو فقد اشتهر بكتابي

الجمل، و العوامل المائة ونصّف هذه الجهود بما نقترح عليها تسميتها بالدّرس النّحوي.

و أمّا إذا عدنا إلى جهوده التي نقترح عليها تسميتها بالدّرس البلاغي، فهي تتوزّع على ما كان يظهر في بحوثه حول نظرية النّظم دون تحديد شموليتها في علوم البلاغة الثلاثة وهي علم البيان، وعلم المعاني وعلم البديع، وهي دراسات مبنوثة في شروحه لأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، وهما في الأصل كتابان انفرد بهما عبد القاهر الجرجاني دون سواه من الباحثين، وتميّز الكتابان بأسلوب الإضافة والتّجديد في طبيعة الكتابة، والتّفسير للظواهر اللّغويّة والنّحويّة والبلاغيّة، وقد جلب هذان الكتابان ميول العلماء من الدّارسين إلى الاحتفال بهما وامتداح مادتيهما كما هو الحال لدى الدارسين السّابقين من القدماء والدّارسين المحدثين في العصر الحديث. ممّا جعل الشّيخ الإمام محمد عبده يعوّل على تحقيق الكتابين وتدريسهما بنفسه في الجامع الأزهر الشّريف، وفرضهما على الإدارة العلمية في المنهاج الدّراسي ليكونا من مقرّرات البرنامج العام في جميع العلوم اللّسانية، وقد أقبل الشّيخ محمد عبده على هذا القرار لما رآه من الفكر التّجديدي الذي يتحلّى به عبد القاهر الجرجاني بعنايته باللّسان العربي في قضايا اللّغة والأدب و النّحو، والبلاغة والوصول بهذا التّراث الثّري الغني بزاده الحضاري من النّص القرآني إلى بلاغة العرب وإلى نحوهم وأساليبهم في تركيب الكلام، ذلك ما ألهم بالجرجاني إلى اكتشافه فكرة النّظم التي أضحت مع مرور الأيام تتداولها الألسنة بأنّها نظرية قائمة بذاتها.

فمن هذه الزاوية أصبح اهتمامي منصبًا على القراءة حول عبد القاهر الجرجاني في إنشائه العلمي، فبذلت جهدًا في استحضار شخصيته الثقافيّة في دراسات عديدة. فألفت نفسي أمام إمام النّحاة والبلاغيين، قد أُوتي كلّ أسباب العلم في البحث النّحوي و البلاغي و وجدته لا يفصل أبدًا بين ركائز النّحو وركائز البلاغة، ومن ثمّة أخذت موضوعًا في الدّراسة سمّيته في رسالتي:

الدّرس النّحوي والبلاغي بين أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز_دراسة تحليليّة_

و إذا كان لا بدّ من طرح الإشكاليّة فهي في محورها العامّ : كيف استطاع عبد القاهر الجرجاني أن يخالف سابقه من الدّارسين النّحاة الذين يدرسون النّحو العربي بمعزل عن البلاغة العربيّة ؟ و رأينا أهل البلاغة يدرسونها بمعزل عن النّحو؟ و ماهي الأسس القاعدية التي اعتمدها عبد القاهر في عمليّة الجمع بين الدّرس النّحوي والدّرس البلاغي ؟. ذلك ما أردنا الإجابة عليه ولعلّ المنهج القريب في معالجة هذه القضية هو إتباع للمنهج الوصفي التحليلي التاريخي.

و بعد القراءة المتأنّية في كتب الجرجاني ذاتها التي هي مصادره الأصليّة، وبعد الاستعانة بما جادت به الدّراسات المختصّة في آثار عبد القاهر الجرجاني ومن سبقه من علماء الموروث العربي فإنّي قد أفدت من أمّهات الكتب ككتاب: بيان الإعجاز القرآني للخطابي، إعجاز القرآن للباقلاني، الخصائص لابن جني. وكتب النّقد والبلاغة بأعلامها كالبيان

والتبيين للجاحظ، وتأويل مشكل القرآن مع الشعر والشعراء
لصاحبهما ابن قتيبة، والكامل للمبرّد.

و أمّا الدّراسات الحديثة فأبّي وقفت طويلا عند عبد القاهر
الجرجاني بلاغته ونقده عند كتاب أحمد مطلوب، وثلاث
رسائل في إعجاز القرآن تحقيق محمّد أحمد خلف الله وتطوّر
النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة لطلال علامة،
وكلّ هذه المصادر والمراجع منحتني زادا ثريا في حصاد
القراءات في حقل ما كتب عن الجرجاني، ومجموعة كبيرة
من مؤلّفات أستاذي المشرف عبد الجليل مرتاض التي أثبتتها
مرتبة بعناوينها. وبعض الدّراسات حول جهوده.

وإسهاماته العلميّة اقترحنا خطة بحث شملت ستّة فصول،
تسبقها مقدّمة وتتلوها خاتمة، و ملحقان. و توزّعت الفصول
في مظانها على النحو التالي:

كان الاستهلال بمقدّمة تمّ فيها عرض المضمون العامّ في
محاوره المطلوبة من اختيار للموضوع و المنهج المتّبع، و نقد
للمصادر و المراجع المعتمدة، و طرح لمسائل الرّسالة في
إشكاليّتها.

تناول الفصل الأوّل الدّرس النّحوي قبل عبد القاهر الجرجاني
تحدّدت فيه مسيرة النّحو العربيّ في صورتها الكاملة في
التّراث النّحوي العربي بين الظهور والنّشأة في استعراض
إشكاليّة وضع النّحو، و مصطلحاته في أصوله ومذاهبه
وأعلامه. و قواعده الأساسيّة. وخصّ الفصل الثّاني بالدّرس
النّحوي لدى عبد القاهر الجرجاني، وقد بُنيّ هذا الفصل على
الدّراسة النّحويّة التي تميّز بها عبد القاهر بعد قراءاته لحصيلة

جهود أربعة قرون سبقت عصره وثبوت القاعدة النحويّة على أركانها العلميّة و ما أضافه عبد القاهر من رؤية جديدة في مسألة التعليق، و مفاهيم التّقديم و التّأخير وغيرهما من القضايا ذات الطّابع النّحوي الخالص في كتابي دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة.

و عالج الفصل الثّالث القضايا البلاغيّة قبل عبد القاهر ، و اتّبع هذا الفصل الطّريقة التي تناول بها الفصل الأوّل النّحو قبل عبد القاهر الجرجاني، و عكف على إثارة موضوع البلاغة انطلاقاً من المصطلح إلى الحقائق العلميّة التي جادت بها جهود علماء البلاغة في مناهج مؤلّفاتهم، وتحديداتهم للقضايا البلاغيّة التي تميّزت بها اللّغة العربيّة على يد أعلامها كالجاحظ و ابن قتيبة ، و أبي هلال العسكري ، و المبرّد و غيرهم . و كانت المحطّة حول ثنائيّة اللفظ و المعنى. و ما سارت عليه البلاغة حول هذا التّجاذب في البحث البلاغي، و جاء الفصل الرّابع في عنوانه: الدّرس البلاغي لدى عبد القاهر الجرجاني ليبيّن استفادة عبد القاهر من سابقه و كان شأن الدّرس البلاغي كشأن الدّرس النّحوي بين عبد القاهر و السّابقين من الأعلام، و تحدّدت الدّراسة في القضايا البلاغيّة التي عالجها في كتابيه. و استقام له الكلام في تفسير الظّواهر البلاغيّة التي حوتها فكرة النّظم ونظريتها، و تحديدها في توسيع علاقة الدّرس النّحوي بالدّرس البلاغي، و وضحت فيه الدّرس البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني حول علم البيان بذكر مكوّناته من التّشبيه، التّمثيل، المجاز، الاستعارة، الكناية و تحديدها في توضيح علاقة الدّرس النحوي

بالدرس البلاغي في علم البيان ، كما ذكرت ربطه لعلم المعاني بالبيان من خلال نظرية النظم في توحي معاني النحو. وقد كان لمصطلح النظم ذكر في الجذور التاريخية له عند من سبق عبد القاهر من المتكلمين، وأصحاب الإعجاز. و أمّا الفصل الخامس و السادس فقد تضمّن أحدهما مضامين كتاب أسرار البلاغة. و أمّا الثاني فخصّ مضامين كتاب دلائل الإعجاز.

وقد قضيت زمتا طويلا في قراءة الكتابين وأفدت منهما الشيء الكثير بأكثر ممّا كتبت، ورأيت في هذا الجهد أن يُستغلّ حبا في الفائدة فخصّصت صفحات حصرت فيها مضامين الكتابين جلبا للنفع في تلخيص موضوعات ما حواه كتابا أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، بالإضافة إلى استعراض ملحقين في تعريف موجز لكل واحد منهما. فقد كان هذان الفصلان استجابة لدواعي الفائدة، وإنجازها بسبب ما رأيناه أثناء قراءتنا للدراسات التي أقيمت حول الكتابين أنّ أصحاب هذه الدراسات في معظمهم لم يستعرضوا قراءة الكتابين قراءة كاملة لهما ، وإنّما كانوا يميلون إلى الاكتفاء باختيار بعض النصوص التي يحتاجونها في دراسة موضوعاتهم الخاصة والمطلوبة في بحوثهم . فقد دفعتنا هذه الملاحظة إلى استعراض هذه المضامين في إتمام هذه الفائدة من الدراسة و ذلك بالإحاطة العلمية في شمولية الكتابين.

ثمّ ختمت بحثي بخاتمة كانت حصيلة أهمّ النتائج المتوصّل إليها. على الرّغم من الدّي لا يسهل الخوض فيه من لدن مبتدئة

الفصل الأول: الدّرس النّحوي قبل عبد القاهر الجرجاني

تعدّ اللّغة العربيّة لغة غنيّة وراقية، فقد كانت ولا تزال مفخرة بعلمائها الذين برزوا في البحوث العلميّة بفضلها، فكانوا شعلة أضاءت الكتابات العربيّة القديمة والحديثة. وممّا لاشكّ فيه أنّ القرآن الكريم قد ساعد على رفعها إلى مقام المثل الأعلى في التعبير عن المقاصد، فحصّنها، وحافظ عليها وأزرها. بالإضافة إلى جهود اللّغويين المتضافرة، وعنايتهم الخالصة بلمّ شتاتها، وجمع شواردها في طور داهمها فيه الخطر وكادت تفقد مقوماتها ورونقها. ومعلوم

أنّ اللّغة ظاهرة إنسانيّة ولها مستويات صوتية، نحويّة، و صرفيّة. و لعلّ أخطر جانب في دراستها هو الجانب النّحوي و الصّرفي إذ بواسطته يتحقّق ذلك التّواصل الّذي تهدف إليه اللّغة. ولقد اهتمّ الدّرس النّحوي بضبط أواخر الكلمات، أمّا الدّرس الصّرفي فقد عني بتناول بنية الكلمة.

فإذا ما حاولنا الوقوف على حقيقة النّحو العربيّ سيراً على ما جاءت به التّأليف في مضمون تاريخيّ ساقته الأحداث في تفسير إقامة العرب للنّحو العربيّ.

والتّأسيس له والبحث عن الماهية، لا بدّ أن يمرّ عن طريق التّسمية كما سطرنا له

إذا ما أردنا ببحثنا هذا أن يستقلّ بالإحاطة الشّاملة لدلالات النّحو ومقاصده.

فكان في تاريخ اللّغة العربيّة أن انتهج العلماء منهاجاً وهو المنهج الوصفي يعالجون به استفحال الدّاء، خوفاً من ضياع اللّغة فقاموا بجمع اللّغة وروايتها والتّقييد لها.

والجدير بالذّكر أنّ الاهتمام بالنّحو نشأ أوّل ما نشأ في ظلّ البحث عن الصّواب والخطأ في الأداء، يوم أن تفسّى اللّحن، فنهضت طائفة من اللّغويين وحملت على عاتقها عبء مُحاربتة بغية الحفاظ على الأداء السّليم وكذا الفصيح للنّص القرآني. فبيّعت النّحو العربي عماد اللّغة العربيّة في استقامة لسانها وتوحيد العرب على قوانينها حتّى تظهر وحدتها على لسان عربيّ واحد، مصدره كلام العرب الّذي به نزل القرآن الكريم. وقد اهتمّ العرب منذ العصور الأولى بالنّحو العربي، وكانوا قبل نزول القرآن الكريم يجرون في كلامهم وأشعارهم وخطبهم على السّليقة ولغتهم لم تكن مضبوطة في قواعدها لأنّهم لم يحتاجوا إليها أصلاً. ولما انتشر اللّحن واختلط العجم بالعرب، ظهرت الجهود العلميّة العربيّة لتجاوز هذه المحنة

ووضعوا قواعد النّحو بضبط حركات الإعراب والبناء. وهذا ما سمّي بـ"علم النّحو"، فما المقصود به؟ وكيف تمّ التّأسيس للقاعدة النّحويّة التي هي المرتكز المعياريّ المعتمد في تقويم اللّسان العربيّ والمحافظة عليه؟ كلّ تلك التّساؤلات سنحاول الإجابة عليها من خلال كشفنا عن القضايا التي تناولها البحث في ظلّ المبتغى الذي سعى إليه علماء العرب وحققوه.

النّحو العربي بين الظهور والنشأة:

إنّ ما يستعصى على الدّارس لأيّ مادّة علميّة هو البحث عن ماهيتها أو نشأتها أو ظهورها، وإذا ما أسهم في ذلك عن طريق استظهار حقيقتها مستعينا بأراء العلماء فيها، فإنّه سيواجه بالضرّورة ظاهرة الاختلاف أحيانا في هذه الآراء أو الاتّفاق حول عامّتها و التّفرّق حول تفاصيلها أحيانا أخرى، وهذا الأمر ذاته هو حدث حول ماهية النّحو العربيّ و وجوده، ولعلّه من الضرّورة بمكان أن نقع فيما أرشدنا إليه إذا ما حاولنا الوقوف على حقيقة النّحو العربيّ سيرا على ما جاءت به التّأليف في مضمون تاريخيّ ساقته الأحداث في تفسير إقامة العرب للنّحو العربيّ، والتّأسيس له والبحث عن الماهية، لا بدّ أن يمرّ عن طريق التّسمية إذا قصدنا الإحاطة الشّاملة لدلالات النّحو ومقصديه.

ولعلّ من بين التعاريف التي جاد بها فكر العلماء لهذه التّسمية هو قوله:

" مصدر نحا ينحو إذا قصد واتّجه ، يقال نحا نحو كذا أي اتّجه ، و قصد ، و يكون

بمعنى المثل يقال هذا النّحو، أي مثله¹. النّحو: الطّريق و الجهة جمع أنحاء ونحو.

¹ العلم والعلماء: أبو بكر جابر الجزائري، دار الشّهاب للطباعة والنّشر، باتنة، الجزائر، سنة 1985 م

و القصد يكون ظرفا واسما، ومنه: نحو العربيّة، و جمعه: نحو كعتل،
و نحيّة كدلو

ودلية. نحاه ينحوه وينحاه: قصده، كانتحاه. ورجل ناح من
نحاة: نحوي. ونحا

مال على أحد شقيّه، أو انحنى في قوسه وتنحى له: اعتمد، كما تنحى
في الكلّ.

وانحنى عليه ضربا: أقبل. و الانتحاء: اعتماد الإبل في سيرها على
أيسرها كالإنحاء ونحاه: صرفه، ونحا بصره إليه ينحا هو ينحوه:
ردّه و أنحاه عنه: عدله. و النّحواء كالغلواء: الرّعدة، و التّمطي. بنى
نحو: من الأزدا¹. نحا: الزّهرى: ثبت عن أهل يونان فيما يونان فيما
يذكر المترجمون العارفون بلسانهم ولغتهم، أنّهم يسمون علم الألفاظ
و العناية بالبحث عنه نحوا، و يقولون كان فلان من النّحويّين. ولذلك
سميّ يوحنا الإسكندرانيّ يحيى النّحوي للذي كان حصل له من
المعرفة بلغة اليونانيّين.

وإذا كانت خلاصة الاصطلاح لدلالة النّحو في مقصده العام هو "
ذلك العلم الذي يبحث في كلام العرب"².

ويصبح القول: حدّه: علم بقواعد يعرف بها أحكام الكلمات العربيّة
حال تركيبها من الإعراب والبناء، وما يتبعهما من شروط النّواسخ
وحذف العائد.

عرّفه السيوطي (ت 911ه) في كتابه: الاقتراح في أصول النّحو:

ص 72.

¹ _ القاموس المحيط : الفيروز أبادي. مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط.7، 2003 م،
ص1337.

² _ علم الدّلالة و المعجم العربي: عبد القادر بورشيه، دار الفكر للنّشر
والتّوزيع، 1989 م، ص39.

" هو صناعة علمية ينظر بها في ألفاظ كلام العرب من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم لتعريف النسبة بين صياغة النظم، وصورة المعنى، فيتوصل بأحدهما على الأخرى"¹.

وعرفه السكاكي: (ت625ه) في كتابه مفتاح العلوم: "هو أن تتحو معرفة كيفية التراكيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب، وقوانين مبنية عليها لتحرز بهما عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية، أو عني بكيفية التركيب تقديم بعض الكلم على بعض ورعاية ما يكون من الهيئات"².

وموضوعه: الكلمات العربية، من حيث البحث عن أحوالها. وغايته وفائدته: التحرز عن الخطأ، والاستعانة على فهم كلام الله، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. وشرفه: بشرف فائدته.

واستمداده: من كلام العرب.

وفضله: فوقانه على سائر العلوم بالنسبة والاعتبار.

ومسائله: قواعده كقولك: الفاعل مرفوع.

وواضعه: أبو الأسود الدؤلي، بأمر من الإمام عليّ كرم الله وجهه.

ونسبته لباقي العلوم: التباين.

واسمه: علم النحو، و علم العربية.

"وحكم الشارع فيه: وجوبه الكفائي على أهل كل ناحية، و العيني على قارئ التفسير والحديث"³. و هذا التعريف يحتوي على

¹ الاقتراح في أصول النحو: جلال الدين السيوطي: أحمد محمد قاسم مطبعة السعادة، القاهرة، ط1 1976 م. ص7.

² مفتاح العلوم: الإمام أبو يعقوب السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، ص33.

³ شرح الأجرومية: أحمد زيني دحلان: شركة غراس للنشر والتوزيع، الكويت. ط1 1426 هـ. 2007 م، ص8.

مجموعة من المصطلحات هي مفاتيح أساسية لمباحث علم النحو، هذه المصطلحات هي: أصول، قواعد، أحوال أو آخر الكلم، إعرابا، بناء، مقاييس، استقراء كلام العرب.

والنحو: إعراب الكلام العربي، والنحو: القصد و الطّريق، يكون ظرفا اسما، نحاه ينحوه و ينحاه نحوا و انتحاه، ونحو العربيّة منه. "إنّما هو انتحاء سمت به كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتّحقير والتّكبير والإضافة والنّسب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربيّة بأهلها في الفصاحة فينطلق بها وإن لم يكن منهم، و إن شدّ بعضهم عنها ردّ به إليها"¹.
و هو في الأصل مصدر شائع أي، نحوت نحوا كقولك قصدت قصدا ثمّ خصّ به انتحاء هذا القبيل من العلم"².

يستفاد من كلّ ما تقدّم من التّعريف اللّغوي، و التّعريف الاصطلاحي، أنّ النحو هو في مفهومه العامّ اتّباع كلام العرب في أمة اللّغة العربيّة منذ أن اجتمع حول هذه اللّغة أعلام معروفون بعد نزول القرآن الذي جاء على لغة العرب.

إنّ الهدف الأساسي من تعليم القواعد النّحويّة يتحدّد مداره في استعمال اللّغة العربيّة استعمالا سليما حيث يؤسّس النحو العربيّ مرتكزا في تاريخ الثقافة العربيّة

و الفكرية منذ أن استقام في بنائه على قواعد ثابتة و محدّدة للسان العربيّ، و النحو هو الأساس الأوّل الذي يحافظ على سلامة اللّغة في أداء التّواصل وأداء المعاني في مجال التّخاطب والتّأليف والكتابة، فكلّ طالب للثقافة العربيّة لا بدّ له أن يتسلّح بسلاح النحو العربيّ،

¹ الخصائص: ابن جنّي. تحقيق محمّد عليّ النّجار، دار الكتب العلميّة، بيروت، د.ت. ج1، ص56. نقلا عن ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص360.

² لسان العرب: ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1994، م3، ج15، ص360.

سواء أتعلق الأمر بمعرفة ثقافة العرب من لغتها وأدبها من شعر و نثر و خطب و أخبار و آثار أم بدينها و عقيدتها الإسلامية، من فهم للإسلام عن طريق فهم معاني القرآن أو الحديث النبوي الشريف و هو مطلب ملزم لطالب هذه القضايا. فقد تتعطل اللغة العربية بانعدام معرفة النحو، و يعدّه المفسّرون الشرط الأوّل في تفسير القرآن وكذلك الأصوليون و المناطقة و هو بالنسبة لغير هذه الطائفة فرض في اللغة عند طائفة الشعراء و الأدباء و الكتّاب. هذا الشرط الأوّل القائم عند مفسّري القرآن الكريم، مرتبطاً في فهم اللغة العربية والتمكّن الكلي منها بتمكّنهم من النحو أولاً فالثابت في علم التفسير أنّ علماء التفسير أنّهم جعلوا من النحو العربي مخرجاً في استنباط دلالة الآية و معاني النص في القرآن الكريم، و قدّموا الاعتماد النحو الإعرابي على غيره في تحديد مقاصد العبارة أو النص.

الجهد العلمي في وضع النحو العربي:

لقد استمدّ العرب لغتهم من بيئتهم التي وجدوا فيها كجنس ينتمي إلى هذه القومية (أي قوم عرب) يحملون لساناً اشتهر بالفصاحة والبلاغة بما اكتسبوه من هذه البيئة الصافية الخالصة والتي تسمى بجزيرة العرب دون أن تخالطهم فيها أجناس أخرى، ولما كان لسانهم عربياً خالصاً فصيحاً بليغاً كانوا يحافظون على بيانه ويتفاخرون فيما بينهم وبين قبائلهم بهذه القيم اللسانية من فصاحة وبلاغة وبيان ويتجادبون الفخر بأشعارهم وخطبهم وأمثالهم في محافلهم وأسواقهم ونواديهم، فلما نزل القرآن الكريم نزل بلغتهم بحروفها وألفاظها فزادتها هذه اللغة بياناً ومجداً وفخراً، غير أنّ هذا البيان الذي نزل بلغتهم كما فيه استعمال للفظهم ببيان يخالف بيانهم، فالألفاظ هي ذاتها ألفاظهم لكن ترتيبها في الكلام وتأليفها

وتركيبها يختلف عن استعمالهم لها فكان هذا الأمر هو التّحدّي بذاته وهو ماخلص إليه عبد القاهر الجرجاني بأنّ هذا التّحدّي هو النّظم الذي كان سببا في الإعجاز.

ومن هنا جاءت الحماية القويّة للغة العرب بعد نزول القرآن الكريم فسارت الألسنة تنسج كلامها على قواعد على القرآن في لغته ونحوه. ولمّا توسّعت الرّقعة الجغرافيّة الإسلاميّة باتّساع الحضارة الإسلاميّة اتّسعت معها جنسية الأمم التي دخلت الإسلام ، وكانت كثرتها أعجميّة كما يفسّر ذلك ابن جنّي بقوله: "لأنّ الإسلام أظّل بظله أمما أعجميّة، و كان من نتائج الدّمج البشري أن فقد العرب شيئا من السّليقة اللّغوية الفطريّة. و من مظاهره أنّ رجلا لحن بحضرة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، فقال الرّسول الكريم:

" أَرَشِدُوا أَخَاكُمْ إِنَّهُ قَدْ ضَلَّ".¹

فإذا أخذنا هذا الأمر على ظاهره دون تأويل فإنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم نظر إلى اللّحن بأنّه ضلالة ويستنتج من هذا كلّه أنّه مصطلح اللّحن قديم وكان موجودا دون أن يتغيّر بدليل ما روي عن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال:

" أَنَا مِنْ قُرَيْشٍ وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ، فَأَنَّى لِي اللَّحْنُ؟".²

لقد استنقل قدماء العرب اللّحن واعتبروه نقصا في النّاس: حتّى تعابروا به، فقالوا عن مرتكبيه "لَيْسَ لِلأَحْنِ حُرْمَةٌ".³

¹ الخصائص: ابن جنّي: تحقيق محمّد علي النّجار، دار الهدى، بيروت، ط2، د.ت، ج2. ص8. و ينظر: الفسيح في ميلاد اللّسانيات العربيّة: دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع الجزائر، ط2، 2009 م، ص68.

² فيض القدير شرح الجامع الصّغير: محمد عبد الرؤوف المناوي ، ط 1، 1356هـ، 1938 م، ج3. ص38.

³ في أصول النحو: سعيد الأفغاني: دار الفكر، د، ط، 1964 م، ص14.

وربما تسامح العرب عن بعض الأخطاء التي هي من اللحن أحيانا فيما يتعلّق بقراءة الشعر وأوجدوا لذلك تأويلا يجيز لفظة بالرفع وهي في الأصل بالنّصب أو الجرّ. وقالوا هي من الضّرورة الشعرية في ممنوع من الصّرف مثلا أو هي من الإقوياء في علم العروض إلى غير ذلك من التّفسيّرات. أمّا إذا تعلّق الأمر بالقرآن الكريم وبقراءة كلام الله فإنّهم لا يغفرون لصاحبه الخطأ ويعدّون ذلك من الزّلات لذلك أمر عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في عهد خلافته " أَلَّا يُقْرَأَ الْقُرْآنَ إِلَّا عَالِمٌ بِاللُّغَةِ " ¹

و لعمر تُنسَبُ المقولة المأثورة:

"تَعَلَّمُوا الْعَرَبِيَّةَ، فَإِنَّهَا تُنْبِتُ الْعَقْلَ وَتَزِيدُ فِي الْمُرُوءَةِ" ².
ويستخلص من هذا الأثر التاريخي للغة العربية: "أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ مَدِينَةٌ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِحِفْظِهَا وَبِبَقَائِهَا" ³.
وقد ظلّت هذه الحصانة قائمة إلى الآن في مرجعيتها الأصيلة دون منازع.

و قد يخلص النقاش أنّ البوادر الأولى لظهور النحو العربيّ كانت بسبب تفشّي ظاهرة اللحن، و اللحن في تحديده هو الزّيف عن الصّواب، حيث أنّ أوّل مشروع نحويّ بدأ مع أبي الأسود الدوّلي بطلب من الإمام عليّ كرم الله وجهه مخافة بأن يتسرّب اللحن، و يمسّ القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف، و اجتناب المتحدّثين باللّغة العربيّة من الوقوع في الأخطاء اللّغويّة.

و تذكر الروايات حين تتوسّع في سرد الأخبار أنّ سبب وضع أبي الأسود الدوّلي لهذا الفنّ: أنّه كان ليلة على سطح بيته، و عنده بنته،

¹ تهذيب تاريخ دمشق الكبير: ابن عساكر: هذبّه ورتبّه، عبد القادر بدران، بيروت، ط، د، ج 7، ص 113-

² في أصول النحو: سعيد الأفغاني: ص 8

³ نظريّات في اللّغة: أنيس فريحة، الألسنية الثالثة: ط 1981، 2، م، ص 76.

فرأت السّماء و نجومها، و حسن تلالؤ أنوارها، مع وجود الظّلمة،
فقال: يا أبت ما أحسن السّماء !بضمّ النّون
و كسر الهمزة. فقال:أي بنيّة، نجومها، و ظنّ أنّها أرادت: أيّ شيء
أحسن منها.

فقال: يا أبت ما أحسن السّماء، بضمّ النّون و كسر الهمزة.
فقال: قولي ما أحسن السّماء! و افتحي فاك.

فلما أصبح، غدا على سيّدنا عليّ كرم الله وجهه، و قال: يا أمير
المؤمنين، حدث في أولادنا ما لم نعرفه، و أخبره بالقصّة، فقال: "هذا
بمخالطة العجم العرب" ثمّ أمره فاشتري صحيفة و أملى عليه بعد
أيام: أقسام الكلام: ثلاثة، اسم و فعل و حرف جاء لمعنى، و جملة من
باب التّعجب، و قال انح نحو هذا، فلذلك سميّ بعلم النّحو"¹. تمثّل
هذه الضّروب من أخبار اللّغة العربيّة.

يعدّ أبو الأسود الدّؤليّ أوّل من وضع النّحو، و شكّل المصحف و
ضبط قواعد النّحو العربيّ من خلال وضعه باب الفاعل، المفعول
به، المضاف، و حروف النّصب الرّفْع و الجزم، و وضع النّقاط على
الأحرف الأربعة بدأ العلماء يأخذون عليه شتىّ المعارف ممّا دفع إلى
اتّساع علم النّحو شيئاً فشيئاً. و يكاد إجماع العلماء على أنّ اللّحن هو
الباعث الأوّل على تدوين اللّغة و جمعها، و على استنباط قواعد
النّحو

¹ _ شرح الأجروميّة: أحمد زيني دحلان ، ط 1 ، 1428هـ، 2007م، حقوق الطّبع
محفوظة لشركة غراس للنّشر و التّوزيع، الكويت، ص9.

و تصنيفها، فقد كانت حوادثه المتتابعة نذير الخطر، لذلك هبّ أولوا
الغيرة على العربيّة و الإسلام إلى محاربته، بوضع النّحو و استنباط
قواعده.¹

مسميات النّحو:

عرفت نشأة النّحو العربيّ، مصطلحات مختلفة مرادفة لمصطلح
النّحو، وهي تؤدّي معناه و من بينها:

اللّحن:

فهو من الأصوات المصوغة الموضوعة، وجمعه ألحان و لحون،
ولحن في قراءته: إذ غرّد و طرّب فيها بألحان، وفي الحديث "
اقرؤوا القرآن بلحون العرب"² أي بلغاتها.
واللّحن: ترك الصّواب في القراءة و النّشيد. ورجل لحن و لحن:
يخطئ، و لحن الرّجل فهو لحن: إذا فهم و فطن لما لا يفطن له غيره،
وفي الحديث " ولعلّ بعضكم ألحن بحجّته من بعض"³.⁴
يقول ابن فارس (ت395هـ)، في تعريفه: " فأما اللّحن بسكون الحاء
فإمالة الكلام عن جهته الصّحيحة في العربيّة. يقال: لحن لحنًا. وهذا
عندنا من الكلام المولّد، لأنّ اللّحن محدث لم يكن في العرب العاربة
الذين تكلموا بطباعهم السّليمة"⁵.

¹ ينظر من تاريخ النّحو: سعيد الأفغاني ، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص8،
وينظر: بوادير الحركة اللّسانية الأولى عند العرب عبد الجليل مرتاض، مؤسّسة
الأشرف، بيروت، لبنان، 1988م، ص56.

² النّذير للسّيوطي: الجامع الصّغير في أحاديث البشير النّذير: 52/1، دار
الفكر، د.ط، د.ت.

³ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث: 1/ 422.

⁴ لسان العرب: ج3، ص379. (لحن).

⁵ معجم مقاييس اللّغة لابن فارس: (ت 239هـ)، تحقيق و ضبط عبد السّلام محمّد
هارون، دار الجيل بيروت، ط1، 1411هـ، 1991م.

وفي حديث عمر رضي الله عنه: (ت23ه): "تعلموا الفرائض والسنة واللحن"¹ فقال أبو عبيد (ت244ه)، في قول عمر: "تعلموا اللحن أي الخطأ في الكلام لتحرزوا منه"².

ويذكر ابن الأنباري أنّ "يزيد بن هارون" حدّث بهذا الحديث، فقيل له:

ما اللحن؟ فقال: النحو³. يستفاد من مضمون النص ومنظومه أنّ النحو كان يسمّى اللحن.

العربيّة:

إنّ مثل هذه العبارة التي تتحدّث عن إسهام أبي الأسود الدؤلي في قولهم:

"و كان أوّل من أسّس العربيّة، و فتح بابها و أنهج سبيلها و وضع قياسها" أبو الأسود الدؤلي". فهي ظاهرها و باطنها تتكلّم عن النحو العربيّ الذي يقابل مصطلح العربيّة و يظهر مصطلح العربيّة بمعنى النحو، فلمّا سئل "أبو عمر بن العلاء"، و كان السائل "ابن نوفل" بقوله: أخبرني عمّ سميته عربيّة، أيدخل فيه كلام العرب كلّهم؟ فقال: لا. قال: فقل لي: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب و هم حجة؟ فقال أعمل على الأكثر، و أسمي ما خالفني لغات"⁴.

و نلتقي بمصطلح آخر هو "علم العربيّة"، و كان العرب يطلقونه على "النحو" أيضا، يقول ابن فارس: "و كذلك الحاجة إلى علم

¹ _ لسان العرب: 13/ 379 (لحن).

² _ المصدر نفسه: 13/ 379 (لحن).

³ _ الأضداد: محمّد القاسم ابن الأنباري، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة 1407ه/ 1987م، ص14.

⁴ _ طبقات فحول الشعراء: ابن سلام الجمحي، تحقيق وشرح: محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني، د.ط، د.ت، ج1، ص12.

العربيّة، فإنّ الإعراب هو الفارق بين المعاني، ألا ترى أنّ القائل إذا قال: "ما أحسن زيد" لم يفرّق بين التّعجب

و الاستفهام و الجزم إلّا بالإعراب".¹ و في تعليق على قراءة نافع:

□◆◊◊→◊◊◆◊ ◊◊◊◊◊◊◊◊ ◊◊◊◊◊◊◊◊

◊◊◊◊◊◊◊◊ ◊◊◊◊◊◊◊◊ ◊◊◊◊◊◊◊◊

◊◊◊◊◊◊◊◊ ◊◊◊◊◊◊◊◊ ◊◊◊◊◊◊◊◊

"قال المازني: أصل هذه القراءة عن نافع و لم يكن يدري ما العربيّة

و كلام العرب التّصحيح في نحو هذا.

و أمّا قول المازني أصل هذه القراءة عن نافع فليس بصحيح لأنّها

نقلت عن ابن عامر و عن الأعرج و زيد ابن عليّ و الأعمش و أمّا

قوله إنّ نافعاً لم يكن يدري ما العربيّة فشهادة على النّفي، و لو

فرضنا أنّه لا يدري ما العربيّة و هي هذه الصّناعة التي يتوصّل بها

إلى التّكلم بلسان العرب فهو لا يلزمه ذلك إذ هو فصيح متكلم ناقل

للقراءة عن العرب الفصحاء، و كثيرون من هؤلاء النّحاة يسيئون

الظنّ بالقراء و لا يجوز لهم ذلك".³

و مضمون هذا التّعليق من هؤلاء العلماء و القراء أنّ المقصود

بالعربيّة هو النّحو.

الإعراب:

لا يختلف اثنان من أهل العربيّة من أنّ الإعراب هو النّحو. فإذا عثرنا

على مثل هذا القول و ليعلم " أبو الأسود " أهل البصرة الإعراب _

¹ _ الخصائص: ابن جني: تحقيق محمّد عليّ النّجار، دار الكتب، القاهرة، 1952م، ج1، ص34.

² _ سورة الحجر: الآية: 20

³ _ الصّاحبي: ابن فارس، تحقيق، أحمد حسن بيج، دار الكتب العلميّة، ط1، 1418هـ، ص66.

أي فليعلمهم انتحاء سبيل العرب في الكلام و الإبانة_ و قال "مالك بن أنس": الإعراب حلي اللسان، فلا تمنعوا ألسنتكم حليها"¹.
و الإعراب لغة:

يذكر ابن منظور: " الإعراب هو الإبانة، يقال: أعرب عن لسانه و عرب أي أبان

و فصح، و يقال: أعرب عمّا في ضميرك، أب أبن و أعرب الكلام، و أعربه، بيّنه و عربّ منطقته، أي هدّبه من اللّحن، و الإعراب الذي هو النّحو: إنّما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ "².

فالإعراب: " بمعنى الإفصاح و الإيضاح، ومنه قوله صلّى الله عليه وسلّم الثّيب تعرب عن نفسها، أي تفصح، و يقال: أعرب عمّا في ضميرك أي أبن "³.
أمّا اصطلاحاً:

هو تغيير أواخر الكلم، لاختلاف العوامل الداخلة عليها: لفظاً أو تقديراً.

يقول ابن الأنباري: " أمّا الإعراب فحدّه: اختلاف أواخر الكلم باختلاف العوامل لفظاً، أو تقديراً"⁴، و هذا الوجه يكاد يتّفق لفظاً و معنى مع ما حرّره و اختاره أبو

البقاء العكبري في مسائل الخلاف"¹. فقد حدّد العلماء الإعراب بمتابعة أواخر الكلمات في ضبطها النّحو الذي تصنعه العوامل.

¹ _ المصطلح النّحويّ نشأته وتطوّه عوض: حمد القوزي، د.ب.ط، الجزائر، 1983م، ص9.

² _ لسان العرب: ابن منظور، ج1/589، 588.

³ _ ظاهرة الإعراب في النّحو العربيّ وتطبيقها في القرآن الكريم: أحمد سليمان ياقوت، ص19.

⁴ _ أسرار العربيّة: ابن الأنباري عبد الرّحمن بن محمّد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات كمال الدّيندار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1420هـ، 1999م، ص45.

و حين يتحدّث أهل اللّغة عن بدء النّحو و أسبابه يطلقون عليه هذا الاسم. بصريحه و هو الإعراب.

النحو عند الأصوليين:

يقول ابن حزم (ت 456هـ) في الإحكام: "فرض على الفقيه أن يكون عالماً بلسان العرب، ليفهم عن الله عزّ وجلّ و عن النبي صلّى الله عليه وسلّم و يكون عالماً بالنحو الذي هو: ترتيب العرب لكلامهم الذي به نزل القرآن، و به يفهم معاني الكلام التي يعبر عنها باختلاف الحركات وبناء الألفاظ..."²

فالنحو عنده لا يتجاوز: "ترتيب العرب لكلامهم" و إنّ الغاية منه: "فهم معاني الكلام" و إنّ الحركات والأبنية ما هي إلاّ معبرة عن هذه المعاني وليست هي النّحو.

ويقول الرشتني في شرحه للكفاية، و هو ما يحدّد ما تجب معرفته من علوم العربيّة.

"و من علم النحو معانيها النّحويّة التي وضعت لها تراكيب الألفاظ الإعرابية كالفاعليّة، و المفعوليّة، و الإضافة و نحوها، وتختلف باختلاف التّراكيب، حتّى إنّّه ربّما يختلف معاني لفظ واحد عند اختلاف حركاته نحو: "ما أحسن السّماء" بضمّ النون، و ما أحسنها بفتحها، حيث إنّ الأوّل استفهام والثّاني تعجب، "وما أحسن زيدياً" و "ما أحسن زيدياً". ودلالة هذه الحركات على المعاني المختلفة تستفاد من علم النّحو"³.

¹ ينظر: مسائل خلافيّة في النّحو: العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله البغداديّ محبّ الدّين، تحقيق محمّد خير الطلواني، دار الشّرق العربيّ، بيروت، ط1، 1412هـ، 1992م، ص112.

² الإحكام في أصول الأحكام: الأمدي، مؤسّسة الحلبي، القاهرة، د.ط، د.ت ج1، ص9.

³ الرّماني النّحوي في ضوء شرح سيوييه: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، سوريه، ص249.

نستنتج بأنّ هناك معانٍ نحويّة وضعت لها تراكييب مختلفة مثل: الفاعليّة، و المفعوليّة و الإضافة، و التّعجب، والاستفهام والنّفي، ونحوها." و وظيفة الأصوليّ إلّا إدراك هذه المعاني النّحويّة المختلفة باختلاف التّراكيب، أمّا الحركات فهي علامات وضعت للدّلالة على اختلاف هذه المعاني عند اختلاف الحركة"¹.

التأثير القرآني في النحو العربي:

اهتمّ العرب منذ العصور الأولى بالنّحو العربي، وكانوا قبل نزول القرآن الكريم يجرون في كلامهم و أشعارهم وخطبهم على السّليقة ولغتهم لم تكن مضبوطة في قواعدها لأنّهم لم يحتاجوا إليها أصلاً. و لمّا انتشر اللّحن و اختلط العجم بالعرب ظهرت الجهود العلميّة العربيّة لتجاوز هذه المحنة و وضعوا قواعد النّحو، بضبط حركات الإعراب و البناء، و هذا ما سمّي بـ "علم النّحو".

و لمّا امتزج العرب بغيرهم من الأمم فشا اللّحن في قراءة القرآن الأمر الذي أفزع أبا "الأسود الدّولي" إلى وضع قواعد النّحو التي هي أساس ضبط المصاحف بالشّكل حفاظاً على قراءة القرآن من اللّحن و الخطأ"². و سار العلماء على هذا المنهج ولجّؤوا إلى أوّل شيء احتاجوا إليه في ضبط القراءة هو "النّحو"، و قد وردت روايات كثيرة تدلّ على تفشّي ظاهرة اللّحن في اللّغة العربيّة سبق و أن ذكرناها في المبحث السّابق. فكلّما شوهد من لحن النّاس في قراءة القرآن بعد انتشار العرب كانت باعثاً لوضع و ضبط القواعد. و على الرّغم من أنّ النّحو هو الذي ضبط القراءة و وضع لها قواعد فقد بقي اللّحن و الخطأ مرتبطين بصياغة كثير من المفردات، فاحتيج

¹ البحث النّحوي عند الأصوليّين: مصطفى جمال الدّين، وزارة الثّقافة والإعلام، دار الرّشيد للنّشر، 1980م، 1475 هـ، بغداد، العراق، د.ط، ص31.

² المرجع نفسه: ص361.

حينئذ إلى وضع قواعد أخرى لضبط أبنية الكلم و معرفة أحوالها
غير الإعراب و البناء

و تلك القواعد تعرف ب"علم الصّرف". و لم ينفصل علم النّحو مع
علم الصّرف

و كان الصّرف وقت نشوئه مندمجا في النّحو و اللّغة و الأدب تحت
اسم "علم العربيّة"، ثمّ أطلق سيبويه عليه و على النّحو اسم "علم
النّحو" و قد تبعه من جاءوا بعده فعرفوا النّحو بأنّه: علم تعرف به
أحوال الكلم العربيّة أفرادا و تركيبا، وما نلاحظه هو أنّ هذا
التّعريف يشمل النّحو و الصّرف ثمّ التّفريق بينهما فأصبح الأوّل
يسمى "علم الصّرف".

و الآخر يدعى "علم النّحو".

يقول الحملاوي حول علم الصّرف: " ما انتظم عقد علم إلّا و
الصّرف واسطته، و لا ارتفع مناره إلّا وهو قاعدته إذ هو دعائم
الأدب، و به تعرف سعة كلام العرب وتتجلّى فوائد مفردات الآيات
القرآنيّة و الأحاديث النّبويّة و هما الواسطة في الوصول إلى السّعادة
الدّينيّة و الدّنيويّة"¹.

و كان للتأثير القرآني في توجيه النّحو يأخذ الصّفة العامّة على
سلامة الاستعمال للنّحو له قياسا في اتّخاذ النّصّ في القرآن معيارا
في ضبط القواعد، و في هذا المفهوم يقول مصطفى صادق الرّافعي:
" بلغ العرب في عقد القرآن مبلغا من الفصاحة يعرف في تاريخهم
من قبل، فإنّ كلّ ما ينتج منهم قبل هذا التّاريخ كان أدوارا من نشوء
اللّغة و تهذيبها و تنقيحها و اطرادها على سنن الاجتماع، و أخذهم في
هذا السّمت ما جعل الكلمة نافذة في أكثرها لا يصدّها اختلاف من
اللسان ولا يعترضها تناكر في اللّغة، فقامت فيهم بذلك دولة الكلام

¹ شذا العرف في فنّ الصّرف: أحمد الحملاوي ، ط6 ، 1384،
هـ، 1965م، ص17، 18.

، ولكنها بقيت بلا ملك حتى جاءهم القرآن¹. يتبين من هذا النص أنّ المفهوم العام في استقامة اللسان العربي كان اقتداءً بلغة القرآن في بيانه وفصاحته والفصاحة لا تخرج عن استقامة الإتيان في سلامة اللغة من جهة النحو الذي سار عليه العرب في تأليف قواعدهم على النحو الذي نزل به القرآن فجعلوه قياساً من طريقة النطق به سليماً كسلامة آيات الله الكريمة، و من هنا جاء التأثير القرآني في النحو العربي على أن تكون العبارة في السنة العرب قياساً على استعمالات القرآن الكريم للغة العربية في أعرابها بالرفع والنصب والجرّ.

قال المبرّد: " و القرآن محيط بجميع اللغات الفصيحة"² ويقصد باللغات الفصيحة لغات القبائل العربية التي نزل بها القرآن، واستقامت على مبدأ التأثير حين استعملها القرآن الكريم، و قد وافق مصطفى صادق الرافعي المبرّد في رأيه ، فالمبرّد يرى أنّ في القرآن إعراباً للفظه، و يقصد من وراء ذلك أنّ المتكلم في النحو لا بدّ عليه أن يقتدي بالأسلوب القرآني على هذا النحو في إعراب كلامه. يقول المبرّد :

" و أفضل ما قصد به من العلوم كتاب الله جلّ ذكره والمعرفة بما حلّ فيه من حلاله وحرامه وأحكامه وإعراب لفظه، وتفسير غريبه"³.

وجاء التأثير القرآني تماشياً مع كلام العرب، ولم تكن القواعد النحوية موجودة إلاّ بعد نزول القرآن ودراسته لدى اللغويين

¹ _ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، الجزائر، مكتبة رحاب ط3، 1993م، ص159.

² _ الكامل : المبرّد: ج1، ص97.

³ _ الفاضل : المبرّد :تحقيق : عبد العزيز المهيني، القاهرة، مصر، دار الكتب، ط2، 1956م، ص4.

والمفسرين والبلاغيين والنحاة فأسسوا القاعدة النحوية وصارت معيارا ، وتوسعت هذه القواعد لتشمل قضايا المرفوعات والمنصوبات والمجرورات في الأسماء ، والصفات والمرفوع والمنصوب والمجزوم في الأفعال، واتصلت جهود العلماء إلى جزئيات المسائل التي تتعلق بالاسم أو بالفعل من ذلك مثلا استعمالات القرآن لنون القرآن كما جاءت في الألفاظ يهديني- يطعمني- يسقيني...

فجاءت القاعدة أنّ الأفعال تختصّ بدخول نون الوقاية وبين هذه الأحكام في الاقتداء بالأسلوب القرآني ما يصنعه النحاة وهذا ابن الأنباري يقول: "ونون الوقاية إنّما تدخل على الفعل لا الاسم، ألا ترى أنّك تقول في الفعل أرشدني وأسعدني... ولا تقول في الاسم مرشدني.."¹

_ البصرة والكوفة مذهباً النحو العربي:

لقد مرّ النحو العربي بمراحل يمكن تقسيمها على الآتي:

- ✓ مرحلة أبي الأسود الدؤلي.
- ✓ مرحلة تلاميذه الذين طوّروا الدراسات النحوية كنصر عاصم، و يحيى بن يعمر و غيرهما، و امتدادها يدخل في فترة عبد الله بن أبي إسحاق، و لكنّها لم تفتقر. و إنّما هذا الأخير برز عليهم وفاقهم.
- ✓ مرحلة عيسى بن عمر و أبي عمرو.
- ✓ مرحلة عبد الله بن إسحاق.
- ✓ مرحلة خلف الأحمر و يحيى بن المبارك و أبي الخطاب الأخفش.

¹ _ الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد بيروت مكتبة صيدا العصرية. د. ط، 1429هـ، 1998م، ج1، ص80.

✓ فترة الجمع والتأليف والتصنيف اعتماداً على الفترات الخمس السابقة¹.

و قد مهّد هذا العمل الجليل من الجمع إلى التصنيف توطئة الانطلاق لمذاهب النحو العربيّ و قد تحدّدت هذه المذاهب في اتجاهات، و أشهر هذه المذاهب في التاريخ العربيّ اختصّ كلّ مذهب في مسلك التنظير هما:

المذهب البصري:

ارتبطت البصرة في انتمائها الإقليميّ بالعراق، باعتبارها ولاية تاريخيّة في الحضارة العربيّة الإسلاميّة التي سادت في العصر العبّاسي، و البصرة ثالثة ثلاثة بعد عاصمة الحضارة بغداد، و الثالثة هي الكوفة، و الذي يظهر في تاريخ النحو العربيّ أنّ حقيقة الامتزاج بين العرب والعجم كان في العراق بعد الفتح الإسلامي². و هذا الامتزاج بالعجم تسبّب في انتشار اللّحن، فكانت وظيفة العرب التّصحیح دوماً و لاسيما بالاعتماد على الأسس المنهجية التي تولّدت عن الحضارة العربيّة الإسلاميّة حتّى أصبحت مرتكزات في رعاية النحو العربيّ.

مرتكزات الدراسة لدى علماء البصرة:

ما يأتي من أسس الاعتماد على دراسة النحو العربيّ عند البصريين ما يأتي:

استحضار القرآن الكريم:

¹ ينظر: بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب: عبد الجليل مرتاض:ص111.
² المفيد في المدارس النحوية: إبراهيم عبّود السامرائي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعةالأردن.ط،1427.1هـ،2007م،ص23.

يعدّ الشعر الجاهلي مصدرا أصيلا من مصادر اللّغة العربيّة و ركبا متينا في دراساتهم العامّة من لغة و بلاغة و أساليب الكلام، و لذلك جعلوه حافظا للغة العربيّة

و صاغوا قواعدهم على منوال ما وجدوه في الشعر بشّار بن برد¹، و إن تجاوز عصر الحقبة التي وقفوا عندها في الجاهلي، و ذلك باتخاذهم هذا الشعر شاهدا تستند عليه القاعدة النحويّة، و تمكّنوا من جعل الشعر الجاهلي أصلا من أصولهم في تاريخ حياتهم في حقبةا الزمّنيّة ثمّ قاربوا بين الشعر الجاهلي والشعر في العصر الإسلامي من نزول القرآن إلى زمن نهاية الدولة الأمويّة و بدايات الدولة العبّاسيّة إلى غاية منتصف القرن الثاني الهجري أي في حدود مائة و خمسين للهجرة، فنجد البصريّين تجاوزوا العصر الجاهلي إلى هذا العهد الإسلامي فاستشهدوا بشعر الفرزدق وجرير

و أراجيز العجاج و رؤبة، و أبي النّجم، و قد وصلوا أحيانا في شواهدهم إلى اعتماد شعر بشّار بن برد و إن تجاوز استشهداهم، فقد ذكر صاحب وفيات الأعيان ما جاء في "الاقتراح" للسيوطي فيما رواه ثعلب عن الأصمعي: إنّ إبراهيم بن هرمة* آخر من يحتجّ به، و من المعلوم أنّ ابن هرمة هذا قد ولد سنة تسعين للهجرة، و عمّر طويلا حتّى تجاوز منتصف القرن الثاني².

و الجدير بالملاحظة أنّ البصريّين لم يبعدوا قبول لغة من ليس بعربيّ في أصله. و كانوا يرتاحون و يطمئنون إلى سلامة لغة جماعة من ينتمون إلى أصول غير عربيّة. فقد جاء أنّ أبا عمرو بن

¹ ينظر: المرجع نفسه: ص23.

² ينظر: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزّمان: ابن خلكان، تحقيق، إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت

(د.ط.)، (د.ب.ت).

* إبراهيم بن هرمة: شاعر عبّاسي توفي 150هـ.

العلاء قد قال في الحسن البصري: "ما رأيتُ أفصحَ من الحسنِ البصريِّ و الحجاج بن يوسفَ الثَّقَفيِّ، ففيل له: فأَيُّهما أفصح؟ قال: الحسن.¹ و عليه يمكن القول إنَّ البصريين اعتمدوا لغة القرآن الكريم و الشَّعر القديم من جاهلي و إسلامي، "و استبعدوا الحديث الشريف من احتجاجهم.

و السَّبب راجع إلى كون الحديث يشمل عددا كبيرا رُوِيَ بالمعنى، و لم يضبط لفظه، و أنّ طائفة كبيرة من المحدثين لم يكونوا عربا.² و على الرَّغم من هذا الامتناع فإنَّ الحديث الشريف ظلَّ قائما في كلام النِّحاة ودراساتهم.

مرتکز القياس:

إنَّ القارئ لكتاب سيبويه يجد فيه القياس أصلا من أصول مصادر النُّحو لدى سيبويه، و هو لا يفارقه البتَّة والسَّبب في ذلك أنّ سيبويه اتَّبِع من سبقه من نحاة البصرة ، و من بينهم أبو إسحاق و الخليل بن أحمد و الحضرمي، بيد أنّ سيبويه أسَّس له و توسَّع فيه، و كان لا يجد حرجا في إقامة القاعدة النُّحويَّة عن طريق القياس، و يرى البصريُّون في مذهبهم أنّ النُّحو مبنيٌّ على القياس كما ذكر ابن الأنباري: " اعلم أنّ انكسار القياس في النُّحو لا يتحقَّق لأنَّ النُّحو كلُّه قياس فمن أنكر القياس فقد أنكر النُّحو و لا يعلم أحد من العلماء أنكره.

و ينسب إلى الكسائي أنه قال: إنّما النُّحو قياس يتبع و به في كل أمر ينتفع. "³ ولعلّ كلام الكسائي، و هو كوفيّ المذهب، بعبارته "و به

¹ _ المفيد في المدارس النُّحوية: إبراهيم السَّامرائي:ص34-

² _ الاقتراح في أصول النُّحو: السيوطي تعليق،محمود سليمان ياقوت:دار المعرفة الجامعيَّة،د.ط1426هـ،2006م،ص144-

³ _ ضحى الإسلام: أحمد أمين ،دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،ط،1.2005 م ،ص460-

في كلّ أمر ينتفع " إشارة إلى أنّ الأمر عام، لا ينتصر على النحو وحده، و إنّما هو أصل في الفقه و التشريع كما هو معلوم بأنّ القياس مصدر من مصادر الشريعة الإسلاميّة، و قد يتّسع ليكون منهاجاً من منهاج الحضارة الإنسانيّة كما يقول بعض الدارسين متكلّماً عن حقيقة القياس بأنّه " منهج أصيل في فكر الإنسان منذ وجد".¹ لذلك تفاوت النّحاة في اصطناعهم القياس، فمنهم من كان يتوسّع فيه، و يقيس كلّ ما وصل إليه، و منهم من كان يتشدّد و يتحرج، فلا يقيس إلاّ على ما كان يرى أنّه كثير. أمّا الخليل فقد أكثر منه، و توسّع فيه، فقد عرف بتصحيح القياس.

و كشف قناعه،" و الناظر لكتاب سيبويه يجد فيه أمثلة كثيرة للأقيسة المختلفة المتعدّدة، ممّا يدلّ على أنّ القياس وصل على يد الخليل إلى كامل نضجه، و تمام قوّته، و أنّه أصبح أساساً من أسس الدّراسة النّحويّة التي تبنى عليها القواعد و يوزن بها الكلام.² و يظهر جليّاً أنّ المذهب البصري هو المذهب المحافظ الذي يعتمد على تأسيس اللّغة العربيّة على قاعدة صلبة ترتكز على تاريخ اللّغة العربيّة رواية و دراية و يشترط هذا المذهب على دارس اللّغة العربيّة أن يجعل من القياس منهاجاً يتطلّب الشّاهد التّاريخي بأحداثه المرويّة بأمانة علميّة و توثيق هذا الشّاهد بشواهد الوثوق.

فمن مظاهر " تمسك البصريين بالقياس استدلالهم بالشّواهد الموثوق بصحّتها الكثيرة النّظائر، فبالغوا في التّحري و التّنقيب عن الشّواهد السّليمة، و كانوا يؤوّلون ما خالف القياس و القواعد تأويلاً

¹ في قضايا فقه اللّغة: بلعيد صالح، ديوان المطبوعات الجامعيّة بن عكنون، الجزائر، (د.ط). 1995م، ص109 -

² القياس في النّحو العربيّ (نشأته وتطوّره): الزّبيدي سعيد جاسم، دار الشّروق، د.ط، 1997م.

وكان سراة الناس يلحنون، فوضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر والرفع والنصب والجزم¹.
و توفيّ أبو الأسود الدّوّلي سنة تسع وستين في طاعون الجارف و هو ابن خمس وثمانين سنة.²

_ ابن أبي إسحاق الحضرمي (ت117ه):

هو أبو بحر عبد الله بن أبي إسحاق الزيّادي مولى آل الحضرمي، توفيّ (117ه).

و يعدّ ابن أبي إسحاق الحضرمي أستاذ المدرسة البصريّة، و أعلمها بالنحو. فرّع النّحو و قاسه، و هو أستاذ أبي عمرو بن العلاء، و عيسى بن عمر، و الأخفش.

" و هو أوّل من بعّج النّحو ومدّ القياس، و شرح العلل و اعترف له أبو عمرو بالفضل. و الأعلميّة بعد أن جمع بينهما في مسألة الهمز"³.

ومما يروى أنّه كان يتعقّب شعر الفرزدق ويخطئه من جهة النّحو ويصحح له ما يقع فيه من قضايا المرفوع والمنصوب في الاستعمال النّحوي، وما خالف فيه القياس حتّى ضجر الفرزدق فهجاه بقصيد مطلعها:

فلو كان عبد الله مولى هجرته ولكن عبد الله مولى مواليا⁴
وما كاد يسمعه منه حتى قال له: " أخطأت أخطأت ، إنّما هو مولى موالٍ " يريد أنّه أخطأ في إجرائه كلمة موال المضافة مجرى الممنوع من الصّرف، إذ جسّرها بالفتحة وكان ينبغي أن يصرفها قياساً على

¹ طبقات فحول الشعراء : ابن سلام الجمحي: دار المعارف القاهرة: ص12.

² الفهرست: ابن النّديم: الفهرست: ص189

³ ينظر: تطوّر النّحو العربيّ في مدرستي البصرة و الكوفة: طلال علامة: دار الفكر اللّبناني، بيروت. ط1، 1993م، ص134.

⁴ كان ابن أبي سحق مولى آل الحضرمي وكانوا بدورهم موالى لبني عبد شمس القرشيين.

ما نطق به العرب في مثل جوارٍ وغواش إذ يحذفون الياء منونين في
الجرّ والرّفْع" ¹.

_ عيسى بن عمر الثّقفي (ت149ه):

هو عيسى بن عمر أبو سليمان، مولى لآل خالد بن الوليد، بصريّ
من المقدّمين.

و كان ضريرا، توفيّ (149ه).² وهو أهمّ تلاميذ ابن أبي إسحاق في
الجانب اللّغوي. "مكّن للنحو و قواعد التي اعتمدها تلميذه الخليل و
من تلاه من البصريّين سواء في محاضراته و إملاءاته أو في
مصنّفاته"³. و قد ترك للخليل موروثه العلميّ بعد وفاته ليتمّ صرح
النحو و يكمل تشييده. وكان يسلك مسلك أستاذه الحضرمي ويهتم
بالقياس ، وقد نقل عنه سيبويه هذا الاهتمام " من أنّه كان يقيس
النّصب في كلمة " يا مطراً " في قول الأحوص:

سلامُ الله يا مطراً عليها وليس عليك يا مطراً السلامُ
على النّصب في " يا رجلاً " وكأنّه يجعل مطراً في تنويها ونصبها
كالنكرة غير المقصودة"⁴.

_ أبو عمرو بن العلاء (ت154ه):

هو زبان بن العلاء بن عمار، و اختلف في اسمه، في تسعة عشر
قولاً. ونقل السيوطي له واحداً و عشرين اسماً، أصحّها المذكور. و
هو تميميّ توفيّ (154ه).⁵

¹ _ الكتاب : سيبويه: ج2، ص58.

² _ طبقات النّحويّين: الزّبيدي، ص35.

³ _ ينظر: المدارس النّحويّة: شوقي ضيف: دار المعارف، ط2، 1982، م، مصر،
ص82.

⁴ _ الكتاب: سيبويه: ج1، ص313.

⁵ _ ينظر: شرح مقامات الحريري: الشّريشي: أحمد بن عبد المؤمن، بيروت، دار
الكتب العلميّة، ط1. 1979، ج2، ص187.

من جلة القراء، و هو أحد القراء السبعة المشهورين، و أوسع الناس علما بكلام العرب، و لغاتها، و غريبها أخذ القرآن عن مجاهد، و سعيد بن جبير، و عطاء.¹

ومن أخباره أنه كان يهتم بالقياس ويتشدد فيه ويجعله رأس القواعد ويأخذ بلغة العرب، ومما ورد في موافقته أنه سأله أحد معاصريه بقوله: " أخبرني عمّا وضعت ممّا سميته عربيّة أيدخل فيها كلام العرب كلّها؟ فقال: لا، فقال له كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ قال: اعمل على الأكثر، وأسّمِي ما خالفتني لغات"².
وقد أخذ عنه الخليل وسيبويه قواعد في الإعراب ومن ذلك أن ألف التثنية هي حرف الإعراب.

_ يونس بن حبيب (ت182ه):

حين نأتي إلى التعريف بشخصيّة يونس بن حبيب تستوقفنا عبارة وصفية جميلة كتبها الدكتور شوقي ضيف عن هذا العالم وهو يقدمه في غزارة علمه بقواعد النحو وأقيسته فيقول عنه: " وبذلك غدا يونس في نحوه وما وضعه من أقيسة أمة وحده "³.

فهو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي، من موالى بني ضبة، ولد سنة (94ه) "⁴". و كانت صحبتته بالبصرة يقصدها جلّ طلبة العربيّة، فصحاء الأعراب و البادية، حيث تطورّ الدرس النحويّ معه لمخالطته الأعراب ممّا جعله راويًا مهمًا من رواة اللّغة. وكان يقف على التقدير ليحقّق القياس في النحو على منوال سابقه فكان يقول أن الشّاعر:

1 _ المرجع السابق: ص188.

2 _ الخصائص: ج1، ص249.

3 _ المدارس النحوية: شوقي ضيف: ص28.

4 _ ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة: جلال الدّين السيوطي: تحقيق أبو الفضل إبراهيم القاهرة، 1964 م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، و طبعه دار الفكر، القاهرة، 1979م، و نسخة المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، ص426.

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فإننا معشر نُزلُ
أراد: أو أنتم تنزلون، فعطف الجملة الاسميّة على الجملة الشرطيّة،
وكان الخليل وسيبويه يذهبان إلى أن ذلك من باب العطف على
التّوهم¹.

وعاش طويلا لما يقارب ثمانية وثمانين عاما فقد توفي رحمة الله سنة
182هـ، وكان رواية للغة العربيّة.

الخليل (ت170هـ):

إذا ذكر الخليل بن أحمد الفارهيدي ذكرت معه العبقرية العربية في
أعلامها عبر تاريخ الحضارة العربيّة الإسلاميّة، فقد نال شهرة
التّأسيس لقواعد نظام اللّغة العربيّة في فنونها المختلفة من نحو
وصرف وخاصّة في علم العروض ويكفيه شهرة أنّه كان أستاذ
سيبويه.

فهو الخليل بن أحمد عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليماني، أبو
عبد الرّحمن من أئمّة اللّغة و الأدب، و واضع علم العروض، أخذ
من الموسيقى و كان عارفا بها.

و هو أستاذ سيبويه النّحوي. ولد ومات بالبصرة². و عاش فقيرا
صابرا، كان شعث الرّأس، شاحب اللّون، قشف الهيئة، متمزّق
الثّياب، متقطّع القدمين. مغمورا في النّاس لا يعرف. كان غيورا على
اللّغة العربيّة، ممّا دفعه إلى العمل على وضع قواعد مضبوطة للّغة،
حتّى عدّه العلماء الواضع الحقيقيّ لعلم النّحو في صورته النّهائيّة.
التي نقلها عنه تلميذه سيبويه في كتابه المسمّى (الكتاب).

1 _ الكتاب: سيبويه: ج1، ص429.

2 _ الأعلام: الزّركلي خيرالدين : دار الملايين، بيروت، لبنان، ط11، ماي، 1995م،
ج2، ص314.

_ سيبويه (ت181ه):

لقد بلغت شهرة هذا الاسم أقطار العالم بين عرب وأجانب في كلِّ عصر، وجدت على ألسنة النَّاس لفظة سيبويه، وهم يقصدون بها النَّحو دون سائر العلوم، فكان هذا الاسم يسمع في كلِّ علم يتَّصل باللُّغة العربيَّة سواء أكان نحواً أو بلاغة أو فقهاً أو تفسيراً وبذلك سار اسم سيبويه علماً من أعلام الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة.

فهو عمرو بن عثمان بن قنبر، من موالى بني الحارث بن كعب، ولد بقرية من قرى شيراز تسمَّى البيضاء¹. و يقال إنّ أمّه كانت ترقصه به، و هو طفل صغير مات بفارس و هو ابن ثلاث وثلاثين سنة(181ه). و في شيراز تلقَّن دروسه الأولى.

و طمحت نفسه للاستزادة من الثَّقافة الدِّينيَّة، فقدم البصرة وهو لا يزال غلاماً ناشئاً و التحق بحلقات الفقهاء و المحدثين.

عالم بالنَّحو واللُّغة و تصاريفها، درس على الخليل، واختصَّ به بعد دراسته على يونس بن حبيب، و حمّاد بن سلمة. و عن الخليل كان له ما حصَّل من علم جم. عبّر ما سأله عنه، و ما سجَّله في علوم العربيَّة سمع الأعراب، و رأس حلقة الخليل بعد وفاته. " و أقبل على وضع الكتاب الدِّي لم يسبقه إلى مثله أحد، و لم يلحق به بعده"². وقد ورد في كلام الدارسين أنّ الكتاب اكتسب تسمية " قرآن النَّحو".

وقد قال عنه تلميذه الأخفش " من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي ". وتبعه الجاحظ في هذا العام فقال: أردت الخروج إلى محمّد بن عبد الملك (الزيارات وزير المعتصم) ففكرت في شيء أهديه إليه، فلم أجد شيئاً أشرف من كتاب سيبويه، وقلت له : أردت أن أهدي إليك شيئاً، ففكرت ، فإذا كلُّ شيء عندك،

¹ إنباه الرّواة على أنباء النّحاة: القفطي ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، مصر، مطبعة دار الكتب المصريّة، د.ط، 1973م، ج 2، ص346.

² الفهرست: ابن النّديم:ص76.

فلم أر أشرف من هذا الكتاب، وقد اشتريته من ميراث الفرّاء، فقال ابن عبد الملك: والله ما أهديت إليّ شيئاً أحبّ إليّ منه¹.

الأخفش الأوسط (ت215ه):

اشتهر الأخفش بهذا التمييز بلفظة " الأوسط " بسبب ما يشار إليه من أنّ له من قبله ومن بعده فالذي هو قبله هو الأخفش الأكبر ويسمّى بأبي الخطاب الذي كان شيخاً لسيبويه ، وأمّا الذي جاء بعد فسمي بالأخفش الأصغر وهو أبو الحسن الأصغر وكان تلميذاً لكلّ من المبرّد وثعلب.

وأمّا الأخفش الأوسط فهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة فارسي الأصل مثل سيبويه، و قد لزمه وتلمذ له.

و أخذ عنه كلّ ما عنده، و هو الذي روى عنه كتابه بل كان الطّريق الوحيدة إليه. إذ لا يعرف أحد سواه قرأ على سيبويه أو قرأه سيبويه عليه. و عدّ من كبار النّحاة البصريّين. توفيّ عام(215ه)، و ذكر ابن النّديم أنّ وفاته كانت في سنة(221ه).²

وهو أكبر علماء النّحو البصريين بعد سيبويه ، وأكبر الظّن عند العلماء، أنّه هو الذي فتح أبواب الخلاف عليه، بل هو الذي أعدّ لتنشأ فيما بعد، مدرسة الكوفة ثمّ المدارس المتأخرة المختلفة، فإنّه كان عالماً بلغات العرب.³

قطرب (ت206ه):

"هو محمّد بن المستنير، و يقال أحمد بن محمّد، و يقال الحسن بن محمّد، توفيّ عام

1 _ ينظر:المدارس النّحويّة: شوقي ضيف: دار المعارف : مصر:القاهرة،د.ط،د.ت،ص59.

2 _ الفهرست : ابن النّديم:ص78،77.

3 _ ينظر: المدارس النّحويّة: شوقي ضيف:ص95.

(206هـ)¹. أخذ عن سيبويه و عن جماعة من البصريين. حاول الإجابة عن أسباب الإعراب مثلاً، إذ ركّز على محاولته الاقتناع بمسائله النحويّة. وتمثّلت جهوده في التّصنيف والتّأليف في قضايا النّحو والصّرف، وتعدّدت منها " كتاب العلل في النّحو وكتاب الاشتقاق في التّصريف، وصنّف بجانب ذلك كتباً متعدّدة في اللّغة مثل كتاب الأضداد وكتاب خلق الفرس وكتاب خلق الإنسان وكتاب المثلث، وهو مطبوع، وكتاب ما خالف فيه الإنسان البهيمة. وكانت له عناية بالذّكر الحكيم والحديث النبوي، فألّف كتاباً في إعراب القرآن، وكتاباً في غريب الحديث. وكتابه " الردّ على الملحدين في تشابه القرآن" يدل على صلته بالمعتزلة والمباحث الكلاميّة².

_ أبو عمر الجرمي (ت225هـ):

لجرم بن زبّان، وجرم من قبائل اليمن، وقيل هو مولى لبجيلة بن أنمار³. كان عالماً بالعربيّة و اللّغة، فقيها ورعا أخذ عن يونس بن حبيب العربيّة، و عن الأخفش الأوسط، أمّا اللّغة فأخذها عن أبي زيد الأنصاريّ و أبي عبيدة و الأصمعي، صنّف كتباً عديدة، توفيّ عام(225هـ)، في خلافة المعتصم. وكان صاحب مناظرة وحجة وقد ذكروا أنّه لقي الأصمعي وتعرّض له وسأله " كيف تصغّر مختاراً، فقال الأصمعي مخيّر، فقال له الجرمي : أخطأت، إنّما هو ، مخيّر لأنّ التّاء فيه زائدة. وحين نزل بغداد ناظر الفراء مناظرة دوّت شهرتها في الأوساط النّحويّة، وكان موضوعها ما يراه سيبويه من أنّ العامل في المبتدأ هو الابتداء وما يراه الفراء وغيره من الكوفيين

¹ نزهة الألباء: الأنباري:76.

² ينظر المدارس النّحويّة: شوقي ضيف:ص109.

³ معجم الأدباء: ياقوت الحموي: دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج6، ص5.

من أن العامل في المبتدأ هو الخبر، والمناظرة مروية على هذه الصورة¹.

_ أبو عثمان المازني (ت247ه):

"هو أبو عثمان بكر بن محمد بن بقة من بني مازن الشيبانيين، من أهل البصرة ولد في البصرة و مات بها عام (247ه). و تربى في بني مازن فنسب إليهم"². كان فطنا ذكياً و مناظراً أليماً، حيث كان إماماً في العربية، و خاصة في علم التصريف. حيث فصله عن النحو الذي كان مختلطاً في كتاب سيبويه، و أقام علماً مستقلاً بأبنيته. و أقيسته، و نظم قواعده و مسائله، و سهلها للباحثين.

قضى حياته في تدريس كتاب سيبويه، و صنف حوله تعليقات و شروحا، منها تفاسير كتاب سيبويه والديباج في جوامع كتاب سيبويه. وألف في علل النحو كتاباً، وخصّ التصريف بكتاب شرحه ابن جنّي سمّاه المنصف. وحدث له في المناظرة أنّ جارية كانت تغني في حضرة الخليفة العباسي الواثق حول الشاعر:

أظلم إن مصابكم رجلاً أهدى السلام إليكم ظلم

فردّ بعض الحاضرين وهو التّوزي العالم اللّغوي المعروف عليها نصبها رجلاً، وظنّ أنّه خبر إن، وإنّما هو مفعول به للمصدر "مصابكم" أي إصابتكم، وظلم في آخر البيت خبر إن. فقالت الجارية: لا أقبل هذا ولا غيره، وقد قرأته بهذه الصورة على أعلم الناس بالبصرة أبي عثمان المازني، فأمر الواثق بإحضاره فلمّا دخل عليه "بسرّ من رأى" أمر بإحضار التّوزي وكان قد قال، كما أسلفنا آنفاً، إن رجلاً خبر إن. فقال له المازني: كيف تقول "إن ضربك زيدا ظلم" فقال التّوزي: حسبي، وأدرك كلّ خطأه"³.

1_ نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ابن الأنباري: ص140.

2_ المرجع السابق: ص182.

3_ ينظر: المدارس النّحوية: شوقي ضيف: ص116.

_ المبرّد (ت285ه):

"هو ابن حسن بن سليمان بن سعد بن عبد الله بن يزيد بن مالك ابن الحارث بن

عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف بن أسلم وهو ثمالة، ثم ينتهي إلى الأسد بن الغوث و هو الأزدي، فهو الثماليّ الأزدي البصريّ أبو العبّاس النّحوي اللّغوي الأديب، ولد بالبصرة يوم الاثنين غداة عيد الأضحى سنة عشرة ومائتين¹. يعدّ إمام نحاة البصرة، اهتمّ بالنحو و الصّرف. وكما يثير الاهتمام العلمي بالنحو هو اهتمام المبرّد بكتاب سيبويه و عنايته له عناية بالغة حتّى كاد يسمّى الوارث الأوّل لعلم سيبويه.

يقول: ابن جنّي: (يعدّ جيلا في العلم، و إليه أفضت مقالات أصحابنا و هو الذي نقلها و قرّرها و أجرى الفروع و العلل و المقاييس عليها).² توفي رحمه الله سنة (285ه).

_ الرّجاج (ت310ه):

"هو أبو إسحاق إبراهيم بن السّري بن سهل، و كان في حدائته يخرط الرّجاج يخرط الرّجاج فنسب إليه"³، توفي (310ه). و له آراء مختلفة تدور في كتب النّحو، منها ما يتّصل بالعوامل و منها ما يتّصل بالتعليل، و منها ما يتّصل ببعض الأدوات.

و منها ما يتّصل ببعض المسائل النّحويّة و الصّرفيّة. ومنها كتاب شرح أبيات سيبويه، ومختصر في النّحو، وكتاب الاشتقاق، وكتاب ما

¹ معجم الأدباء: ياقوت الحموي شهاب الدّين، ج 19، ص111.

² سرّ صناعة الإعراب: ابن جنّي: أبو الفتح عثمان ، تحقيق السّقا وآخرين، د.ط، 1954م. القاهرة. ج1، ص130.

³ نزّهة الألباء في طبقات الأدباء: ابن الأنباري: ص244.

ينصرف، وما لا ينصرف، وكتاب فعلت و أفعلت وكتاب معاني القرآن، وكتاب القوافي وكتاب في العروض¹.

_ ابن السّراج (ت316ه):

"هو أبو بكر محمّد بن السّريّ، توفّي عام (316ه)"². درس على المبرّد منذ صغره

حتّى تزوّد بكلّ ما عنده من معارف نحويّة و لغويّة، ثمّ درس على الزّجاج ونهل من علمه، و كان يعنى عناية واسعة بعلم النّحو و مقاييسه. له مصنّفات نحويّة أبرزها:

" كتاب مجمل الأصول، و كتاب الاشتقاق، و شرح سيبويه، و كتاب احتجاج الفراء"³.

_ السّيرافي (ت368ه):

"هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المزربان، ولد بسيراف عام (280ه)، توفّي عام(368ه)"⁴.و كان أبوه ماجوسيّاً يسمّى بهزاد، فأسلم وسمي باسم عبد الله. ذاع صيته في بغداد، كان ذكياً متفوقاً على مناظريه حيث حرص على تفسير النّحو وحلّ مشاكله.

_ المذهب الكوفي:

تعدّ الكوفة المدينة الثّالثة في شهرة الحضائر العراقيّة منذ زمن العصر العبّاسي، فالكوفة حاضرة علم و تمدّن و سياسة و تأتي بعد البصرة في البحث النّحوي و اللّغوي.

و في الحقيقة التّاريخيّة أنّ الكوفة لم تكن مذهباً نحويّاً قبل المذهب البصري بل أخذت كلّ النّحو من البصرة ونظرت فيه باتّجاهها الخاصّ وأخذت الكوفة البصرة مرجعاً لها في النّحو العربيّ

¹ ينظر : المدارس النّحويّة: شوقي ضيف:ص135.

² المرجع نفسه:ص249.

³ المدارس النّحويّة: شوقي ضيف: دار المعارف بمصر، ط2، 1982م،ص141.

⁴ نزّهة الألباء في طبقات الادباء: الأنباري: ص307.

"فاشترك علماءها مع علماء البصرة في النهوض به من عهد شيخهم أبي جعفر الرّؤاسي(ت175هـ).¹ فلما أوتي الكوفيون سرّ النّحو العربيّ من علماء البصرة حاولوا إعادة قراءته على طريقتهم الخاصّة بالنّقد و التّحليل بين الموافقة و المخالفة و ترتّب على ذلك أسلوب التّنافس و سار للكوفيّين مذهب أو مدرسة كما يسمّيها علماء النّحو.

مرتكزات الدّراسة لدى علماء الكوفة :

إنّه لا توجد عبارة كافية عن ظهور المذهب الكوفي كعبارة : إنّ الكوفيّين كانوا عالة على البصريّين بسبب أنّ قصب السّبق للبصريّين من حيث النّشأة والظهور والتّقييد، ووصل النّحو العربي من البصرة إلى الكوفة بوساطة طلبة العربيّة، الذين يقصد بها النّحاة وهم يشبهون طالب العلم عامّة، الذي لا يتحدّد بمكان بسبب ما يعرفه من تنقّل ورحلة في طلب هذا العلم ،فقد يكون بصريّا ثمّ يصبح كوفيا ويمثّل هذا الأمر ما حدث للكسائي الذي كانت مدرسته البصرة وشارك في وجود المذهب البصري وتعلّم على يد أعلام البصرة، فقد جلس عند يونس بن حبيب ودرس على يد الخليل بن أحمد والفراء ثمّ أصبح مؤسساً للمذهب الكوفي في مصادر النّحو.²

الاستشهاد بلغات الأعراب:

إنّ الاستشهاد بلغات الأعراب خضع لما خضعت له اللّغة العربيّة في أوائل نشأتها عند العرب بسبب ما اشترطه أهل اللّغة من الرّواية للهجات وجمعها من مختلف قبائل العربيّة التي عرفت بالفصاحة فكانت البصرة تتشدّد في الوقوف على الفصح العربي

¹ ينظر: المفيد في المدارس النّحوية: إبراهيم عبّود السّامرائي، ص86 -

² ينظر: الفهرست: ابن النّديم: ص116، و: انباه الرّواة على أنباه النّحاة: القفطي: ج1، ص138-

بينما نرى أنّ الكوفيين يستشهدون " لغات سكان الأرياف.....فصاحتها"¹

لأنّ البصريين كانوا لا يرون في قبائل الأرياف فصاحة العربيّة ومن ذلك أنّهم لم يأخذوا عن أهل اليمن وهم من قبائل الأرياف وأنّ فصاحتهم ليست موثوقة بسبب " اختلاطهم بسكان الحبشة² وسار الكوفيون في الاستشهاد على منهج البصريين في الأخذ من أعراب البادية من قبائل تميم، وأسد، وقيس، وهذيل و شيء من كنانة و شيء من لغة طيء غير أنّ الكوفيين توسّعوا في الاستشهاد باللّهجات العربية التي يرفضها البصريون وكانت حجة الكوفيين أنّ هذه اللّغات موجودة في قراءات القرآن السّبع كما يرى ذلك الدكتور مهدي المخزومي. ولما كان الكسائي يتوسع في الأخذ بلغات من يراها أعرابا ولو وجدهم في بغداد تعرض للانتقاد بسبب خروجه عما كان نحصل عليه في المذهب البصري.

اعتماد الشّاهد من الشّعْر العربيّ:

أعتبر الشّعْر من المصادر الهامّة التي لم يستطع الكوفيون الإستغناء عنه فلو أمعنا النّظر في هذا المصدر نجد الصّبغة الشّعريّة تحظى أكثر من غيرها بالعناية و الرّعاية. فالشّعْر هو العنصر المسيطر على دراسات الكوفيين، و لعلّ ما يُفسّر ذلك اهتمام كثير من الرّواة بحفظه و نقله، حيث نجد حمّاد الرّاوية يقول: "أمر النّعمان فنسخت له أشعار العرب في الطّنوج، و هي الكراريس ثمّ دفنها في قصره الأبيض، فلمّا كان المختار ابن أبي عبيدة قيل له إن تحت القصر

¹ _ القرآن وأثره في الدّراسات النّحوية: عبد العال سالم مكرم، دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت -

² _ النّحو العربي: قضاياه ومراحل تطوّره: أحمد جميل شامي:ص159-

كنز فاحتفراه، فلما فتحه أخرج تلك الأشعار، فمن ثم أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة.¹

اعتماد الشاهد من القراءات:

إن ارتباط القراءات باللغة هو ارتباط أصيل بالنحو العربي، فحكم القراءات شبيه بحكم جمع اللغة من قبائل العرب الأقحاح في كلامها ولسانها ولغتها، وبهذه اللغة نزل القرآن الكريم فكان من الطبيعي أيضاً أن تكون قراءتها مصدراً من مصادر النحو العربي لدى علماء اللغة عامة وعند الكوفيين خاصة، وبسبب هذا اهتم علماء القراءات بالنحو العربي وجعلوه شرطاً من شروط قبول القراءات، وإن كانوا قد أدرجوه في قولهم ما وافق العربية.

كما يبين ذلك ابن الجزري في هذا النص من كتابة النشر في القراءات العشر " كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثماني ولو احتمالاً وصحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ولا يحلّ إنكارها بل هي من الأحرف السبع التي نزل بها القرآن.

ووجب على الناس قبولها"².

ويعدّ ابن الجزري مرجعاً أساساً في التنظير العلمي للقراءات والإحاطة بقضاياها فهو حين يتحدث عن أقسام القراءات الصحيحة يحدّد لها ثلاثة أركان في منظومته قائلاً:

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِي وَكَانَ لِلرَّسْمِ اِحْتِمَالاً يَحْوِي
وَصَحَّ إِسْنَادًا هُوَ الْقُرْآنُ فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَرْكَانُ³

¹ _المدرسة النحوية في مصر و الشام: سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ط2، 1992م ص199-

² _النشر في القراءات العشر: ابن الجزري: تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت. د.ط، د.ت، ج2، ص9.

³ _المرجع نفسه: ج2، ص9.

فقد جاء لفظ "نحوي" صريحا في هذين البيتين من المنظومة، و
خصّ ابن الجزري القراءة الصّحيحة بهذه الشّروط الثلاثة التي هي
الأركان وهي:

- أ. الموافقة على القراءة برأي النّحو.
- ب. الموافقة على القراءة بمطابقتها على الرّسم العثماني
للمصحف التي يمثل اجتماع الأُمَّ عليه.
- ج. تصحيح القراءة بصحّة السّند حتّى يصل هذا السّند إلى
رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، و قد توقّفوا عند القراءة الصّحيحة
، و حدّدوها في النّوعين النّوع الأوّل هو القراءة المتواترة ، و النّوع
الثّاني القراءات المشهورة.

فلم يختلف الكوفيون عن البصريين في اعتماد الشاهد من الشعر
العربي غير أنّ البصريين وقف اهتمامهم بالشعر الجاهلي
والإسلامي بتحديد زمنهما بينما كان الكوفيون يتجاوزون هذه
المرحلة إلى الشعر العربي الذي لا يشترط فيه هل هو شعر الطبع أم
شعر الصنعة كما كان ذلك في اختيار الشواهد لدى البصريين، ومن
هذا الجانب فقد تحرّر الكوفيون بالعناية بالشعر وأكثروا من الشواهد
به حتّى قيل:

"أهل الكوفة أعلم بالشّعر من أهل البصرة"¹

_ أعلام النّحو في المذهب الكوفي:

اختلف العلماء في تحديد مؤسسها و واضع قواعدها إلا أنّ أكثر
العلماء متفقون على أنّ أبا جعفر الرّوآسي هو المؤسس لهذه
المدرسة²، و يرى بعضهم أنّ الكسائي هو مؤسسها، كلّ تلك

1 _ المرجع نفسه: ص199-

2 _ بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة: السيوطي: "المجلد الأوّل، تحقيق: محمّد
أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصريّة، بيروت، ص35.

الاختلافات توحى لنا بأن المدرسة الكوفيّة كانت حقيقة تاريخيّة و علميّة، بحيث كان لها علماءؤها و مؤيّدوها، نذكر منهم:

_ الكسائي (ت189ه):

"هو أبو الحسن عليّ بن حمزة بن عثمان، مولى بني أسد"¹. فارسيّ الأصل، إمام

الكوفيّين في النّحو و اللّغة، و هو أحد القراء السّبعة المشهورين، حيث أخذ القراءة عرضاً عن حمزة الزيّات.

و أمّا تسميته بالكسائي فلأنّه أحرم في كساء، أو لأنّه كان يحضر مجالس حمزة القارئ و عليه كساء جيّد، فكان يميّزه به عن غيره و يقول إذا افتقده: " ما صنع

صاحب الكساء الجيّد"².

توفيّ الكسائي عام 189ه، في نفس اليوم الذي توفيّ فيه الحسن الشيباني.

_ هشام بن معاوية الضّرير (ت209ه):

"هو هشام بن معاوية الضّرير، و هو من تلاميذ الكسائي"³، كان يتصدّر للتّدريس و الإملاء على الطّلاب، و من يرجع إلى كتب النّحو يجد له آراء كثيرة تدور فيها. إذ اعتنى بالتّصنيف في النّحو فصنّف فيه ثلاثة كتب هي:

الحدود، المختصر، و القياس.

_ الفراء (ت207ه):

هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الدّيلمي، مولى بني منقر⁴، أو بني أسد من أهل الكوفة¹، ولد عام 144ه، و توفيّ

¹ _ الفهرست: ابن النّديم: ج2، ص72.

² _ طبقات النّحويّين واللّغويّين: الزّبيدي: ص128.

³ _ الفهرست: ابن النّديم: ص110.

⁴ _ المرجع نفسه: ج2، ص73 وما بعدها.

207هـ، فهو بذلك ينسب إلى الديلم، و هو إقليم فارسيّ. لُقّب بالفراء لأنّه كان طليقا في لسانه و يفري الكلام فريا. قال فيه ابن خلكان: "كان أبرع الكوفيّين و أعلمهم بالنحو و اللّغة و فنون الأدب"².

_ ثعلب (ت 291هـ):

هو أحمد بن يحيى النّحوي بن زيد أبو العبّاس، كان أبوه من موالي بني شيبان، ولد ببغداد سنة 200هـ، تعلّم في بغداد، و حفظ القرآن الكريم، و حفظ بعض الأشعار. و اختلف إلى حلقات العلماء، و خاصّة علماء اللّغة العربيّة، فكان مهتما باللّغة و النّحو خاصّة. أصبح إمام هذا النّحو، " و ظلّ يملي علمه على الطّلاب و هم يقصدونه من كلّ صوب أكثر من سنتين"³.

_ الأنباري (ت 327هـ):

هو أبو بكر محمّد بن القاسم بن محمّد بن بشّار الأنباري. أكبّ منذ نشأته على حلقات العلماء في عصره، و خاصّة حلقة ثعلب. كان من أعلم النّاس بنحو الكوفيّين و أكثرهم حفظا للّغة، صنّف في اللّغة و النّحو، و قد توسّع في العلل كثيرا هذا ما وجدناه في كتابه المشهور الإيضاح في علل الزّجاجي، حيث كان قادرا على التّعليل و البرهنة و الإدلاء بالحجج البينة. "توفّي عام 327هـ، ليلة عيد النّحر"⁴.

إنّ المتنبّع للنّحو البصريّ و النّحو الكوفي في موقفهما من النّصوص التي توصّلت إليهما كلتا المدرستين، يلاحظ اختلافا بينهم و هذا الاختلاف يكمن في كون البصريّين لا يقبلون من النّصوص، إلاّ ما

¹ نزّهة الألباء: الأنباري: ص 83.

² وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزّمان، شمس الدّين أحمد بن محمّد بن لأبي بكر ابن خلكان، تحقيق: محمّد محي الدّين عبد الحميد. د.ت، ج 6، ص 176.

³ إنباه الرّواة: ج 1، ص 138.

⁴ معجم الأدباء: ياقوت الحموي: ص 313.

أجمعت عليه لهجات العرب، أمّا الشّواذ فإنّهم يهدرونها، بل يخطئون العرب إذا ورد عنهم ما يخالف القواعد التي وضعوها. " أمّا الكوفيون فيقبلون كلّ ما وصل إليهم من العرب، و يحترمونه و لو كان شاذاً.

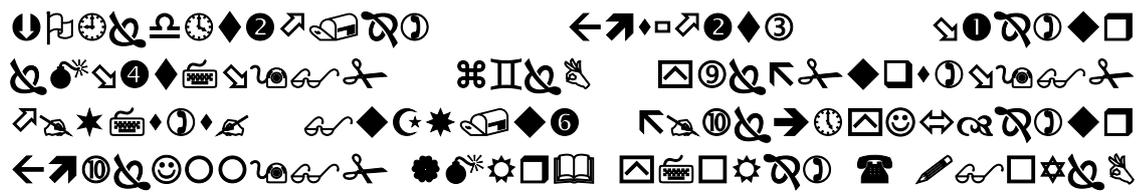
و يبيحون القياس عليه، و لو خالف القواعد العامّة التي وصلوا إليها، بل يضعون لكلّ شاذ قاعدة يجوز القياس عليها. و من هنا اختلفت المدرستان في المنهج اختلافا أدّى بهما إلى اختلاف في النتيجة. فكان النّحو البصريّ أكثر تنظيماً.

و أدقّ قياساً من النّحو الكوفي في حين كان النّحو الكوفي أشدّ تمثيلاً للهجات العرب، و أكثر تقديساً لكلّ ما ورد عنهم".¹

القاعدة النّحويّة حسانة العربيّة:

تحدّد التعرّيفات معاني القاعدة ، بداية بالتّعريف اللّغوي ، فهي من أصل الأسّ

و القواعد: الأساس، و قواعد البيت أساسه. وواحد قاعدة، قال الزّجاج (ت311هـ): "القواعد أساطين البناء التي تعتمده"².
ومنه قوله تعالى:



المعترضة في آفاق السّماء، شُبّهت بقواعد

¹ _ مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللّغة والنّحو: مهدي المخزومي، دار الرّائد العربيّ، بيروت، ط3 1986م، ص398.

² _ ينظر: العين: (ع/ق/د) 143/1، المصباح المنير، تهذيب اللّغة، اللسان (ق/ع/د).

³ _ سورة البقرة: الآية 127.

البيت؛ كما جاء في الأثر : "كَيْفَ تَرَوْنَ قَوَاعِدَهَا وَبَوَاسِقَهَا؟" ¹ ،
فالقواعد أسافلها. و البواسق أعاليها².

و بناء على هذه التعريفات ندرك أنّ القاعدة: هي الأساس، و كل ما
يرتكز عليه فهو قاعدة، و هي أسس الشيء وأصوله حسياً كان ذلك
الشيء؛ كقواعد البيت. أو معنوياً؛ كقواعد الدين و دعائمه³.

يرى صاحب التعريفات أنّ القاعدة: هي قضية كُليّة منطبقة على
جميع جزئياتها⁴.

و قيل: هي قضية كلية من حيث اشتغالها بالقوة على أحكام جزئيات
موضوعها.

و تسمّى فروعاً، و استخراجها منها تفرّيعاً؛ كقولهم: كلّ إجماع
حق⁵.

و نجد يتوسّع مصطلح القاعدة عند بعض العلماء فيقول: " و قيل:
تطلق القاعدة على معانٍ ترادف الأصل، و القانون، و المسألة، و
الضابط. و المقصد⁶.

و في ضوء ما سبق يمكننا أن نعرّف قواعد النحو الكليّة: بأنّها
مجموعة من الأحكام النحوية العامّة، التي تشمل أبواباً مختلفة، و
يتخرّج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية. حتىّ تسير عليها
ضوابط الكلام العربيّ.

¹ في شعب الإيمان: أخرجه البيهقي: 469/3، وفي غريب الحديث: أبو عبيد القاسم
بن سلام

104 /3.

² غريب الحديث لابن سلام: 104/3. والنهاية في غريب الأثر: 87/4، الفائق في
غريب الحديث: 212/3، وتهذيب اللغة (ق/ع/د).

³ المفردات في غريب القرآن للأصفهاني: ص679.

⁴ التعريفات للجرجاني: ص219.

⁵ الكليات للكفوي: ص728.

⁶ كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي: 1176/5-1177.

و هذا ما يستفاد ممّا جعله ابن هشام (ت761هـ) رأس موضوعه و عنوانه عند حديثه عن هذه القواعد الكبرى- في كتابه (مغني اللبيب)؛ حيث قال: "باب في ذكر أمور كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية"¹.

و بناء عليه عرّفها مصطفى الأطهوي (ت1085هـ) بأنها: "قضية كلية يعرف منها أحكام جزئيات موضوعها؛ بأن يجعل ذلك الجزئي موضوعاً في الصغرى، و تلك القاعدة كبرى موضوعها غير محصور"².

و يظهر في هذا التعريف الأخير تأثر مصطفى الأطهوي واضحا بما سبقه إليه الجرجاني صاحب التعريفات.

و لعلّ ممّا يدعو إلى الملاحظة أنّ فكرة القاعدة النحويّة جعلت كثيرا من الدارسين يثيرون مشكلة التعقيدات النحويّة في قواعده بينما هناك من يرى أنّ مشكلة النحو

لا تكمن في المادّة النحويّة إنّما في القصور في فهم القواعد و وظائفها و عدم وضوح الأهداف التعليميّة و سوء استغلالها بتدريسها بمنأى عن العناية المنشودة"³.

فالتّعليم بطبيعته يرتبط بمعياريين:

أحدهما : صورة مجرّدة للتراكيب، و الأبنية، و هي ما تسمّى بالقاعدة، يصوغ وفقها المتعلّم أبنية، و تراكيب من إنشائه بعد الاستئناس بنماذج دالّة.

و الثاني: اعتماد القاعدة مقياسا من مقاييس الصّواب يستند إليها المعلّم، و لهذا فمن المألوف أن يتسلّح المعلّم بالعلل التي تبرهن

¹ _ مغني اللبيب: 779/2.

² _ نتائج الأفكار لمصطفى الأطهوي ، تحقيق: إبراهيم عمر سليمان زبيدة: ص175.

³ _ أثر اللسانيات في النهوض بمستوى معلمي اللغة العربية: الحاج صالح عبد الرحمن: دراسات في علوم اللسان، موقع للنشر الجزائر، 2007م، ص178.

صحّة ما يعلّمه وفق سنّ المتعلّم الذي تتبادر إلى ذهنه أسئلة التعليل، لماذا كذا؟ ولماذا؟ وكيف إلى آخر جملة من الأسئلة تتطلب الفهم و الإدراك.

و لابن الأنباري في كتابه "أسرار العربية" عناية خاصّة بأسئلة التعليل¹، فهذه الكتب غايتها التعلّم، و وسيلتها التعليل عن طريق طرح الأسئلة و الإجابة عنها إدراكاً لأهميّة التعليل في التعلّم. و لا يكون الخلاص النهائي في التعليل و الإجابة إلاّ إذا استند كلّ من المعلّم و المتعلّم إلى القاعدة التي تضبط الحدود.

يقول الدكتور علي أحمد مدكور: " إنّ جوهر المشكلة ليس في اللّغة ذاتها، و إنّما في كوننا نتعلّم العربية قواعد صنعة، و إجراءات تلقينيّة، و قوالب صمّاء نتجرّعها تجرّعا عقيما بدل من تعلّمها لسان أمة، و لغة حياة"²، و لا تقتصر الشكوى على ضعف النّاشئة فحسب، بل تجاوزتهم إلى خريجي الثّانويات و الجامعات. و هو أمر عايشه العرب القدماء و أثناء التّفعيد للّغة العربية، و تحديدها في النّحو العربيّ.

وهذه عائشة عبد الرّحمن بنت الشّاطي تحدّد مشكلة تتّبع القواعد النّحويّة و تشكو ضعف استيعابها لدى الجيل الحديث في التّعامل باللّغة فتقول: "بأنّ المشكلة هي إنّ التّلميذ كلّما سار خطوة في تعلّم اللّغة ازداد جهلا بها و نفورا منها، و قد يتخرّج من الجامعة و هو لا يستطيع كتابة خطاب بسيط باللّغة العربيّة"³. و قصدها بتعلّم اللّغة هو تعلّم القواعد، إذ إنّ تعليم النّحو يواجه مشكلات لغويّة، تربويّة

¹ أسرار العربية: ابن الأنباري: ص59، 49.

² تدريس فنون اللّغة العربيّة: علي أحمد مدكور، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1997م، ص325.

³ ينظر: تدريس النّحو العربي على ضوء الاتّجاهات الحديثة: ظبية سعيد السليطي، تقديم: د.حسن شحاتة، الدّار المصريّة اللّبنانيّة، ط2002، 1م، ص66.

ونفسية، تتمثل في صعوبات تتعلق بمادة النحو في ذاتها و ما نجده في المقررات الدراسية، بعدم مراعاة الفروق بين النحو العلمي و النحو التعليمي، و لذلك فإنّ "الشكوى من النحو ولدت مع التصنيف فيه، و ظلت تنتقل من جيل إلى جيل، و ترتفع الصيحات مطالبة بتيسير النحو التعليمي."¹ و قد كتب في الشأن جمهور كثير منهم شوقي ضيف، مصطفى إبراهيم، المهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي.

و لما كان الهدف من تعليم النحو هو تقويم اللسان من اللحن والانحراف اللغوي. و جب أن يراعي الباحثون جميع الكتب التعليمية في القواعد العربية من خلال وضعهم لمناهجهم النحوية مبنية على أسس لغوية صحيحة.

فالنحو العلمي هو المعرفة المجردة لنظام اللغة و أسرارها، باكتشاف نظامها اللغوي في أذهان متكلمي اللغة العربية، و تحليله، وكيفية الحصول عليه.

أما النحو التعليمي فيمثل المستوى الوظيفي لتقويم اللسان، و سلامة الخطاب.

و هو يركّز على أهداف المتعلّم الذي يختار المادة المناسبة التي يقدّمها النحو العلمي. مع تكييفها تكييفا محكما طبقا لأهداف التعليم و ظروف العملية التربوية. و هو يقوم على أسس لغوية و تربوية و نفسية.

فبتعلّم النحو يدرك التلميذ عدّة مهارات أساسية و هي:
مهارة لسانية من الناحية التطبيقية.

مهارة عقلية معرفية، و تتحقّق عن طريق إدراك التلاميذ الأسس العلمية التي تبنى عليها صحّة الكلام و سلامة التعبير.

¹ _ النحو التعليمي في التراث العربي: محمّد إبراهيم عبادة، دار المعارف، الإسكندرية، د.ط، د.ت، ص15.

مهارة تدويقيّة بإدراك النّواحي الجماليّة في الأمثلة التي تختار لاستنباط القاعدة.

و التّطبيق عليها.

إنّ خدمتنا للغة العربيّة تعني خدمتنا للقرآن الكريم ولو من وجه بعيد. و إنّ السّلف من علماء اللّغة، لم يقصّروا في خدمتها حيث جاهدوا بالجهد و المال و الوقت لخدمة لغة القرآن فقصوا سنين حياتهم في تقييدها و جعل النّحو العربيّ عمودها الفقريّ. و إنّ من أكبر محن هذه الأمة أن يكون تعليمها بغير لغتها.

بين الإعراب و القاعدة النّحويّة:

إنّ العربيّة بعلامات إعرابها تتميز عن باقي اللّغات الأخرى. فقد أثبتت لنا النّصوص التاريخيّة اعتناء العرب بلغتهم و إعرابها. فكان من المعلوم أنّه من أسباب ظهور النّحو العربيّ، تفشّي ظاهرة اللّحن على ألسنة النّاس ممّا أدّى إلى انحرافهم في نطقهم لعلامات الإعراب نطقاً سليماً، فعلماء اللّغة العربيّة كانوا ينظرون للعلامة الإعرابيّة أنّ لها أثراً كبيراً في تحديد المعنى.

"و الخطأ في الإعراب لا يعني الخطأ في علامته وحدها، و إنّما يعني الإضافة إلى ذلك الجهل بالحالة الإعرابيّة" الرّفْع و النّصب و الجرّ و الجزم" أي: الجهل بالموقعيّة و عدم إدراك وظيفة الصّيغة المعنيّة في التّركيب، فلا يدري أ هي فاعل أم مفعول، أهي اسم " إنّ" أم خبرها...، و من ثمّ تأتي العلامة غير مناسبة للموقعيّة الصّحيحة"¹.

المرفوعات:

الفاعل: هو اسم صريح أو مؤوّل به، أسند إليه فعل، أو ما يشبهه، أو ما يدلّ على من قام به الفعل نحو: فاز المجد، مات عمرو.

¹ دراسات في علم اللّغة: كمال بشر: دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر. ط. 9 1986م، ص 269.

وَ مَا كُلُّ مَنْ يُبْدِي الْبَشَاشَةَ كَائِنًا أَخَاكَ إِذَا لَمْ تُلْفِهِ لَكَ مُنْجِدًا
أخاك: خبر اسم الفاعل (كائنا) منصوب وعلامة نصبه الألف، لأنه
من الأسماء الخمسة، والكاف ضمير متصل في محل جرّ بالإضافة،
عمل اسم الفاعل (كائنا) عمل فعله الناقص (كان) فرفع الاسم و هو
الضمير المستتر، و نصب الخبر (أخاك).

3_حروف: و هي (إنّ) و أخواتها التي تنصب الاسم وترفع الخبر،
و (ما ولا ولات وإنّ) النافيات المشبهات ب (ليس) فترفع الاسم
وتنصب الخبر.

ه: الأفعال الناقصة: كان و أخواتها:

"كان وأخواتها" تدخل على الجملة الاسميّة فترفع المبتدأ اسما لها، و
تنصب الخبر خبرا لها، و من المعلوم أيضا أنّ خبر المبتدأ يكون
اسما، و يكون شبه جملة متعلّقة بمحذوف، و يكون جملة اسميّة أو
فعليّة، و بما أنّ "كان" تدخل على المبتدأ والخبر. إذا فحال خبرها
حال خبر المبتدأ، مع بعض ما يحدث من تغيير في بعض أحواله.
الأحرف النافية المشبهة ب (ليس):

و هذه الأحرف هي: ما، لا، إن. و هي أحرف نفي تعمل عمل ليس:
و تؤدّي معناها.

أفعال المقاربة:

أفعال ناقصة، تعمل عمل كان وأخواتها أي ترفع الاسم وتنصب
الخبر.

غير أنّ الخبر في أفعال المقاربة لا بدّ أن يشتمل على¹:

1.فعل مضارع، يكون مرفوعه (من فاعل، أو نائبه) ضميرا في
الغالب.

2.و أن يكون هذا المضارع مسبوqa "بأن المصدرية" مع الفعل:
"أوشك" و غير مسبوq بها مع الفعلين: "كاد"، و "كرب".

¹ _النحو الوافي: عباس حسن: دار المعارف بمصر، ط5، دبت، ج1، ص216.

ط: الأحرف المشبّهة بالفعل:

تدخل على المبتدأ و الخبر: فتتصبب الأول و يسمّى اسمها، و ترفع الثاني و يسمّى خبرها.

لا النافية للجنس:

"اعلم أنّ لا: تنصب النكرات بغير تنوين، إذا باشرت النكرة، ولم تتكرّر لا يعني أنّ لا النافية للجنس تنصب الاسم، وترفع الخبر"¹.

الأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر:

ظنّ وأخواتها أفعال تتعدّى إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر. وهي:

1_ أفعال الظنّ: و هي: ظنّ، خال، حسب، زعم، جعل، عدّ، حجا، هب.

2_ أفعال اليقين: و هي: علم، وجد، ألقى، درى، تعلم.

3_ أفعال التحويل: و هي: صير، ردّ، ترك، اتّخذ.

المتعدّي إلى ثلاثة مفاعل:

وهي: أعلم و أرى اللذان أصلهما علم و رأى المتعدّيان لاثنين، و ما ضمّن معناهما من نبأ و أنباء، و خبر و أخبر، و حدّث.

قال ابن مالك: و إذا كانت " أرى و أعلم" منقولتين من المتعدّي

لواحد تعدّي لاثنين: نحو قوله تعالى:.... ﴿لَا تَلْمِزْهُمَا﴾

﴿لَا تَلْمِزْهُمَا﴾ ﴿لَا تَلْمِزْهُمَا﴾ ﴿لَا تَلْمِزْهُمَا﴾ ﴿لَا تَلْمِزْهُمَا﴾

﴿لَا تَلْمِزْهُمَا﴾².

و حكمها حكم مفعوليّ "كسا" في الحذف لدليل و غيره، و في منع الإلغاء و التعليق قيل: و فيه نظر في موضعين، أحدهما أنّ "علم"

بمعنى عرف إنّما حفظ نقلها بالتضعيف لا بالهمزة. و بالتالي: إنّ

"أرى" البصريّة سمع تعليقها بالاستفهام نحو قوله تعالى:...

¹ شرح الأجروميّة: أحمد زيني دحلان: ص89.

² سورة آل عمران: من الآية: 152.

⑥◆③④⑤⑥⑦⑧⑨⑩⑪⑫⑬⑭⑮⑯⑰⑱⑲⑳㉑㉒㉓㉔㉕㉖㉗㉘㉙㉚㉛㉜㉝㉞㉟㊱㊲㊳㊴㊵㊶㊷㊸㊹㊺
 ①②③④⑤⑥⑦⑧⑨⑩⑪⑫⑬⑭⑮⑯⑰⑱⑲⑳㉑㉒㉓㉔㉕㉖㉗㉘㉙㉚㉛㉜㉝㉞㉟㊱㊲㊳㊴㊵㊶㊷㊸㊹㊺

و قد يجاب بالتزام جواز نقل المتعدّي لواحد بالهمزة قياساً نحو "ألبست زيدا جبّة" وبإدعاء أنّ الرّؤية هنا علميّة.²
 ضمير الفصل:

هو ضمير رفع منفصل يفصل بين ركني الجملة الاسميّة ليفيد أن ما بعده خبر لا نعت و ليؤكّد المعنى و يقوّيه.
 و مواضع فصله³، هي:

1_ بين المبتدأ والخبر، كقوله

تعالى:.....
 4

2_ بين اسم كان وخبرها، كقوله تعالى:.....
 5

3_ بين اسم إنّ وخبرها كقوله تعالى:.....
 6

4_ بين مفعولي "ظنّ" وأخواتها، كقوله

تعالى:.....
 7

المنصوبات:

1_ سورة البقرة: من الآية : 260.
 2_ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري: مطبعة المدني، مصر، القاهرة. ط1428، 1، 1، 2007م، ص82.
 3_ هداية السالك إلى ألفية ابن مالك: صبيح التّيمي: دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1410، 2، 1، 1990م، ج1، ص201.
 4_ سورة البقرة : من الآية : 5.
 5_ سورة الزّخرف : من الآية : 76.
 6_ سورة آل عمران : من الآية : 8.
 7_ سورة المزمل : من الآية : 20.

ضمير الشان:

ضمير الشان ضمير غائب مفرد، يكتى به عن الشان، أي الأمر الذي يراد الحديث عنه، فإذا قدر أنّ المراد به الشان كان مذكراً، نحو: هو الله عادل.

أطلق عليه عباس حسن "ضمير القصة، أو ضمير الأمر، أو ضمير الحديث، أو: ضمير المجهول"¹.

المفعول به:

يعرّف المفعول به عند النّحاة على أنّه: "ما وقع عليه فعل الفاعل"²، إذ جعله سيبويه ضمن أحداث الفعل في الجملة، لأنّه "الذي تعدّاه فعله إلى مفعول"³.

الاشتغال:

" إذا اشتغل فعل متأخّر بنصبه لمحلّ ضمير اسم متقدّم عن نصبه للفظ ذلك الاسم كـ " زيذا ضربته، أو لمحلّه كـ " هذا ضربته " فالأصل أنّ ذلك الاسم يجوز فيه وجهان:

أحدهما: راجح لسلامته من التّقدير و هو الرّفْع بالابتداء فما بعده في موضع رفع على الخبريّة، و جملة الكلام حينئذ اسميّة"⁴.

و الثّاني: مرجوح لاحتياجه إلى التّقدير و هو النّصب: فإنّه بفعل موافق للفعل المذكور محذوف وجوباً، فما بعده لا محلّ له، لأنّه مفسّر، و جملة الكلام حينئذ فعليّة.

التّنازع:

¹ ينظر: عباس حسن: النّحو الوافي: ج1، ص250.

² شرح كافية الشّافية: ابن مالك: تحقيق، عبد المنعم هريدي، دار المأمون للتراث، د.ط، 1982م. ج1. ص127.

³ الكتاب: سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، دت، ج1، ص34.

⁴ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري: ص95.

"يعدّ" باب التّنازع" من أكثر الأبواب اضطراباً، و تعقيداً، و خضوعاً لفلسفة عقلية خياليّة، ليست قويّة السّند بالكلام المأثور الفصيح، بل ربّما كانت مناقضة له¹.

هو عبارة عن توجّه عاملين إلى معمول واحد، نحو: ضربت و أكرمت زيدا، فكلّ واحد من العاملين (ضربت و أكرمت) يطلب (زيداً) بالمفعوليّة، فإنّ شئت أعملت المفعول به للفعل الأوّل وذلك لتقدّمه وهو مذهب الكوفيّين، وإن شئت أعملت المفعول به للفعل الثّاني، وذلك لقربه من المفعول به، و هو مذهب البصريّين. الإغراء:

هو نصب الاسم بفعل محذوف يفيد ترغيب المخاطب في أمر محمود ليفعله، نحو: الاجتهاد الاجتهاد، و يقدر الفعل المحذوف بما يناسب المقام نحو (الزم، اطلب افعل...)

و نجد ابن هشام الأنصاري يعرّفه في كتابه: " بأنّه تنبيه المخاطب على أمر محمود ليفعله، و حكم الاسم فيه حكم التّحذير الذي لم يذكر فيه "إيّا"، فلا تلزم حذف عامله إلّا في عطف أو تكرار كقولك: "المروءة و النّجدة" بتقدير "الزم"، و قوله: أخاك أخاك إنّ من لا أخا له².

التّحذير:

هو نصب الاسم بفعل محذوف يفيد تنبيه المخاطب وتحذيره من أمر مكروه ليجتنبهه نحو: إيّاك و الشرّ.

فإيّاك تعرب: ضمير نصب منفصل مبنيّ على السّكون في محلّ نصب مفعولاً به لفعل محذوف وجوباً تقديره (احذر).

الواو: للمعيّة.

الشرّ: مفعول معه منصوب و علامة نصبه الفتحة الظاهرة.

¹ ينظر: النّحو الوافي: عبّاس حسن: ج2، ص201.

² أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري: ص225.

الاختصاص:

و هو اسم معمول ل"أخصّ" واجب الحذف، فإن كان "أيّها"
أو "أيّتها" استعمالا كما يستعملان في التّداء فيضمان و يوصفان
لزوما باسم لازم الرّفْع محلّي ب"أل" نحو: "أنا أفعل كذا أيّها
الرّجل" و "اللّهم اغفر لنا أيّتها العصابة"، و إن كان غيرهما نصب
نحو: "نحن يا معاشر الأنبياء لا نورّث"¹.

المفعول له:

و هو الاسم المنصوب، الذي يذكر بيانا لسبب وقوع الفعل، نحو: قام
زيد إجلالا لعمره، و قصدتك ابتغاء معروفك. و يمكن للمفعول
لأجله أن يأتي معرفة أو نكرة.

المفعول معه:

هو اسم فضلة، يقع بعد واو بمعنى (مع) ليدلّ على ما وقع الفعل
بمصاحبته، نحو: اذهب و الشّارع الجديد، أي: اجعل ذهابك مصاحبا
للشّارع الجديد.

المفعول المطلق:

"تسمية يراد منها:" المصدر المنصوب المبهم، أو المختص". و قد
يراد منها: "النائب عن ذلك المصدر"، فهي تسمية صالحة لكلّ واحد
منهما، تنطبق عليه"².

المفعول فيه:

الظرف أو المحلّ يكون إمّا للمكان أو للزمان، و إنّما يراد به
معنى(في) التي تفيد الظرفيّة، إلّا أنّه لم يبين كالحروف، فهو معرب³.
الحال:

¹ المصدر السّابق: ص223.

² ينظر: النّحو الوافي: عبّاس حسن: ج، 2 ص210.

³ ينظر: أمالي ابن الشّجري: هبة الله علي بن محمّد بن حمزة الحسني العلوي، تحقيق
محمود محمّد الطّناحي، مكتبة الخانجي، دط، دت.

عرّف ابن الأنباري الحال قائلاً بأنه: "هيئة الفاعل و المفعول ألا ترى أنك إذا قلت جائي زيد راكبا، كان الرّكوب هيئة زيد عند وقوع المجرّد منه، و إذا قلت: ضربته مشدودا، كان أشدّ هيئة له عند وقوع الضّرب"¹.

التمييز:

هو الاسم المنصوب، المفسر لما انبهم من الدّوات، نحو، قولك: تصبّب زيد غرقا.

و تفاقأ بكر شحما، و طاب محمّد نفسا، و اشتريت عشرين غلاما، و ملكت تسعين نعجة، و زيد أكرم منك أبا، و أجمل منك وجها. "و لا يكون إلا نكرة. و لا يكون إلا لعد تمام الكلام"².

الاستثناء:

عرّف ابن الأنباري الاستثناء كغيره من النّحاة،³ فقال: هو إخراج بعض من كلّ بمعنى إلا، نحو جاءني القوم إلا زيدا .

المنادى:

هو اسم يذكر بعد "يا" و غيرها من أدوات النّداء استدعاء لمدلّوله، نحو: يا عبد الله.

و المنادى: خمسة أنواع، المفرد العلم، و النّكرة المقصودة، و النّكرة غير المقصودة.

و المضاف، و المشبّه بالمضاف.

المجرورات:

أ: الجر بالحرف:

¹ أسرار العربيّة: ابن الأنباري: ص111.

² شرح الأجروميّة: أحمد زيني دحلان: ص85.

³ المقتضب: أبي العباس المبرّد: تحقيق محمّد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت. ج4، ص389.

ورد في الأشباه والنظائر، قول أبي نزار: "إنّ الفعل قد يتعدّى بعدّة من حروف الجرّ على مقدار المعنى اللّغويّ المراد من وقوع الفعل، لأنّ هذه المعاني كامنة في الفعل.

و إنّما يثيرها و يظهرها حروف الجرّ"¹.

و حروف الجرّ قسمان: منها ما يدخل على الاسم الظّاهر و المضمّر. و هي: من إلى، عن، على، في، اللّام، الباء، عدا، خلا، حاشا، و منها ما يدخل على الاسم الظّاهر فقط، و هي: ربّ، مذ، منذ، حتّى، الكاف، واو القسم، تاء القسم، كي.

ب: الإضافة:

هي اسم نسب إليه اسم سابق ليتعرّف السّابق باللاحق أو يتخصّص به، نحو: كتاب سعد، و يسمّى الأوّل مضافا، و الثّاني مضافا إليه. "تكون الإضافة على معنى اللّام بأكثرية، و على معنى "من" بكثرة، و على معنى "في" بقلة. و ضابط التّي بمعنى "في": أن يكون الثّاني ظرفا للأوّل"².

¹ _ الأشباه والنظائر في النّحو: جلال الدّين السيوطي: راجعه وقدم له: فايز ترحيني، دار الكتاب العربيّ، لبنان، ط1، 1404هـ، 1984م، ج3، ص176.

² _ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري: ص148.

الفصل الثّاني:

الدّرس النّحوي

لدى عبد القاهر الجرجاني

وجد عبد القاهر الجرجاني أمامه تراثا علميا زاخرا بجهود العلماء الذين سبقوه في كلّ أمر يتعلّق باللّغة العربيّة، وبدراستها سواء أكان ذلك يختصّ باللّغة العربيّة ذاتها رواية ودراية أو ببلاغتها وفصاحتها وإعجازها أو استقلّ بدراسة النّحو العربيّ، ففي مجال النّحو سار على منهج السّابقين من حيث تأسيس القواعد العامّة التي رآها ثابتة بضوابط السّماع والقياس والإعراب، ولما تأكّد من تلك الضّوابط أنّها تبنى على أصول ثابتة هي للعرب دون سواهم كما وجد هذا التّأسيس عند السّابقين أمثال صاحب الكتاب وهو سيبويه الذي يعدّ عنده المصدر الأساس في كلّ ما كتب في النّحو وما أخذه من شيخه أبي عليّ الفارسي في شروحه لكتبه المختلفة التي سبقت الإشارة إليها في مقدّمة الرّسالة.

أمّا فيما يتعلّق بكتابه العوامل المائة فإنّه يُستعصى على دارس معيّن مهما أراد تلخيصه فإنّه لا يستطيع ذلك، لأنّ أصل الكتاب هو خلاصة في حدّ ذاتها

ولعلّ ما أوضح مثال على ذلك هو ما حاول به الدكتور صالح بلعيد في تقديم كتاب العوامل العامة ولم يستطع وعجز أن يزيد شيئاً على تلخيص أو ترتيب عبد القاهر الجرجاني، ولذلك نحن مضطرون على عرض هذه العوامل كما جاءت موجزة ومبيّنة على منهج عبد القاهر الجرجاني، إذ لا حيلة لنا في مجانية التقسيم الذي قام به صاحب العوامل المائة نفسه.

لعلّ خلاصة جهود عبد القاهر الجرجاني في النحو العربيّ، و القاعدة النحويّة هي ما أودعه في كتابه العوامل المائة.

و الملاحظ أنّ الدكتور صالح بلعيد لم يزد شيئاً على ترتيب عبد القاهر الجرجاني نفسه، فيتبيّن لنا أنّ العوامل مائة عامل، لفظيّة و معنويّة فاللفظية سماعيّة و قياسيّة.

فالسّماعية إحدى و تسعون عاملاً، و القياسيّة سبعة عوامل، و المعنويّة عاملان

و تتنوّع السّماعيّة على ثلاثة عشر نوعاً. تطرّق عبد القاهر الجرجاني في باب العامل¹ إلى دراسة تحليليّة، و قال عنه:

و هو ضربين: لفظي، ومعنوي.

فاللفظي على قسمين: سماعي، و قياسي.

فالسّماعي تسعة و أربعون، و أنواعه خمسة:

النّوع الأوّل: حروف تجرّ اسماً واحداً فقط تسمّى حروف الجرّ، و حروف الإضافة و هي عشرون: الباءُ، مِنْ، إلى، عَنْ، عَلَى، اللّامُ، فِي، الكافُ، حتّى، رُبّ. وَاوُ القسَمِ، تاءُ القسَمِ، حاشأ، مُدّ،

¹ العوامل المائة: عبد القاهر الجرجاني، ص81-

مُنْذُ، خَلَا، عَدَا، لَوْلَا، كَيْ، لَعَلَّ، في لغة عَقِيلٍ: نحو: لَعَلَّ اللهُ تَعَالَى
يَغْفِرُ ذَنْبِي.

النَّوْعُ الثَّانِي: حُرُوفٌ تَنْصَبُ الْأَسْمَ، وَ تَرْفَعُ الْخَبْرَ، وَ هِيَ ثَمَانٌ: إِنَّ
أَنْ، كَأَنَّ، لَكِنَّ لَيْتَ، لَعَلَّ، وَ هَذِهِ السِّتَّةُ الْحُرُوفُ تَسْمَى الْحُرُوفُ
الْمُشَبَّهَةُ بِالْفِعْلِ، وَ الْحُرُوفَانِ الْآخِرَانِ: إِلَّا فِي الْإِسْتِثْنَاءِ، لَا النَّافِيَةُ
لِلْجِنْسِ.

النَّوْعُ الثَّلَاثُ: "حُرُوفَانِ يَرْفَعَانِ الْأَسْمَ، وَ يَنْصَبَانِ الْخَبْرَ، وَ هُمَا: مَا وَ
لَا الْمُشَبَّهَتَانِ لَيْسَ"¹.

النَّوْعُ الرَّابِعُ: حُرُوفٌ تَنْصَبُ الْفِعْلَ الْمَضَارِعَ، وَ هِيَ أَرْبَعَةٌ أَحْرَفٌ:
أَنْ، لَنْ، كَيْ إِذَنْ.

النَّوْعُ الْخَامِسُ: كَلِمَاتٌ تَجْزِمُ الْفِعْلَ الْمَضَارِعَ، وَ هِيَ خَمْسَةٌ
عَشْرٌ: لَمْ، لَمَّا، لَأَمْ الْأَمْرُ. لَا النَّاهِيَّةُ، وَ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ تَجْزِمُ فِعْلًا وَاحِدًا،
وَ الْآخَرَى: إِنَّ، مَهْمَا، مَا، مَنْ. أَيْنَ. مَتَى أَنَّى، أَيُّ، حَيْثُمَا، إِذْمَا،
إِذَا مَا، وَ هَذِهِ الْإِحْدَى عَشْرَ تَجْزِمُ فِعْلَيْنِ. مُسَمِّينَ شَرْطًا وَ جَزَاءً.
وَ الْقِيَاسُ تِسْعَةٌ²:

الأوَّلُ: الْفِعْلُ مَطْلَقًا، فَكَلَّ فِعْلٌ يَرْفَعُ وَ يَنْصَبُ، وَ لَا يَدَّ لِكُلِّ فِعْلٍ مِنْ
مَرْفُوعٍ نَحْوُ: نَزَلَ الْفُرْآنُ نَزْلًا، فَإِنْ تَمَّ بِهِ كَلَامٌ يُسَمَّى فِعْلًا تَامًا، وَ إِنْ
لَمْ يَتَمَّ بِهِ كَلَامٌ بَلْ أَحْتَاجَ إِلَى خَبْرٍ مَنْصُوبٍ يُسَمَّى فِعْلًا نَاقِصًا نَحْوُ:
نُقِبِلُ النَّوْبَةَ مَا دَامَ الرُّوحُ دَاخِلًا فِي الْبَدَنِ.

الثَّانِي: اسْمُ الْفَاعِلِ: فَهُوَ يَعْمَلُ عَمَلُ فِعْلِهِ الْمَعْلُومِ.

الثَّلَاثُ: اسْمُ الْمَفْعُولِ: فَهُوَ يَعْمَلُ عَمَلُ فِعْلِهِ الْمَجْهُولِ.

الرَّابِعُ: الصِّفَةُ الْمُشَبَّهَةُ، فَهِيَ أَيْضًا تَعْمَلُ عَمَلُ فِعْلِهِ.

الخَامِسُ: اسْمُ التَّفْضِيلِ: فَهُوَ أَيْضًا يَعْمَلُ عَمَلُ فِعْلِهِ.

السَّادِسُ: فَهُوَ أَيْضًا يَعْمَلُ عَمَلُ فِعْلِهِ.

¹ المصدر نفسه: ص 83.

² المصدر السابق: ص 84.

السّابع: الاسم المضاف.

الثّامن: الاسم المبهم التّام، فهو يعمل النّصب.

التّاسع: معنى الفعل، أي كلّ لفظ يفهم منه معنى فعل.

و المعنوي اثنان: الأوّل: رافع المبتدأ والخبر.

و الثّاني: رافع الفعل المضارع. ثمّ أفرد دراسة مستقلة في باب المعمول.¹

إذ قال: هو على ضربين: معمول بالأصالة، و معمول بالتّبعية: أي إعرابه يكون مثل إعراب متبوعه.

الضّرب الأوّل أربعة أنواع: مرفوع، منصوب، مجرور، و هو مختصّ بالاسم، و مجزوم مختصّ بالفعل.

أمّا المرفوع فتسعة: الفاعل، نائب الفاعل، المبتدأ، الخبر، اسم كان وأخواته، خبر باب إنّ، خبر لا النّافية للجنس، اسم ما ، و لا المشبّهتين بليّس، الفعل المضارع الخالي عن النّواصب و الجوازم و أمّا المنصوب: فتلاثة عشر: المفعول المطلق، المفعول به المفعول فيه، المفعول له، المفعول معه، الحال، التّمييز، المستثنى، خبر باب كان، اسم باب إنّ، لا النّافية للجنس، خبر ما و لا المشبّهتين بليّس، الفعل المضارع الذي دخله إحدى النّواصب.

و أمّا المجرور فاثنتان: المجرور بحرف الجرّ، و الثّاني المجرور بالإضافة.

و أمّا المجزوم فواحد، و هو الفعل المضارع الذي دخله إحدى الجوازم.

و الضّرب الثّاني خمسة: الصّفة، العطف بأحد الحروف العشرة، التّأكيد، البدل. عطف البيان.

ممّا سبق نصل إلى معرفة أنّ ظاهرة الإعراب مثار جدل منذ زمن طويل، إذ كانت أوفر الحظّ من العناية و الاهتمام في جهود القدماء،

¹ المصدر نفسه: ص85.

فاستحوذت على تصوّر النّحاة عامّة في تراثنا إلى درجة التّرادف مع مصطلح النّحو، حيث أصبح النّحو إعراباً.

و الإعراب نحو¹، و قد استعمل الجرجاني عبارة " لا علم له بالإعراب" و لم يقل لا علم له بالنّحو ممّا يدلّ على أنّ مفهوم الإعراب عنده هو النّحو².

و قد يتوسّع الدّارس للنّحو العربي على قدر فهمه لعبارة الجرجاني : " لا علم له بالإعراب" أي لا علم له بلغة العرب التي تبني كلامها على النّحو، الذي جعلته لساناً لها و بما أنّه لسانها فهو ملكتها كما يقول ابن خلدون: " اعلم أنّ اللّغة في المتعارف هي عبارة المتكلّم عن مقصوده، و تلك العبارة فعل لساني، فلا بدّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها و هو اللّسان، و هو في كلّ أمة بحسب اصطلاحاتهم. و كانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات و أوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير المعاني"³.

يوضّح لنا ابن خلدون من خلال قوله أنّ العرب مثلها مثل باقي الأمم الأخرى التي اعتنت بالتّعليم، مثل ما فعل الخليل بن أحمد الفراهدي (ت175هـ)، حيث درّس النّحو و الصّرف و دلالات الألفاظ، كما قام بتعليم مخارج الحروف و الأصوات.

و اتّبعه في ذلك سيبويه(ت181هـ)، و أبو عليّ الفارسي، و أبو القاسم الرّجّاج.

¹ _الإيضاح في علوم النّحو: الزجّاجي:تحقيق:مازن المبارك: دار النّفائس، بيروت، ط4، 1984م ص91.

² _ظاهرة الإعراب في القرآن الكريم: أحمد سليمان ياقوت:دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية. مصر.د.ط، 1994م، ص16.

³ _مقدّمة ابن خلدون: ابن خلدون: اعتنى به هيثم جمعة هلال، مؤسّسة المعارف للطباعة والنّشر.بيروت. لبنان، ط1، 1428هـ، 2007م، ص583.

و ابن مالك ، و غيرهم من كبار النحاة، كلهم دفعوا إلى تسهيل العملية التعليمية لدى المتعلمين، و جعلهم أكثر مهارة و اكتسابا للغة العربية.

و لما كان الأمر يكتسب ضرورة التعلّم ، فقد صار النحو قواعد ثابتة في اكتساب العربية. و لما كان الأمر يكتسب ضرورة التعلّم فقد صار النحو قواعد ثابتة في اكتساب العربية، يمكننا استخدام مصطلح (الملكة التواصلية)¹، و نعني به قدرة المتكلم على التواصل اللغوي، بناء على توحيد القاعدة العربية فاللغة تحيا بالاستخدام و التواصل و تموت إذا نسيت و أبعدت عن دائرة الاستعمال.

و حادت عن صواب القاعدة العربية .

و حين نتأمل مثل هذا الأمر نقول: لعلّ صعوبة التّحكّم في القاعدة العربية هي التي جعلت الأجيال المعاصرة تواجه بعض الإشكال في تعلّم قواعد النحو العربيّ بسبب فصله عن سرّ الملكة التي هي في اللسان العربيّ، و المشكلة ترجع في أصلها الأساسي إلى عدم توجيه هذه الأجيال

و تدريبها منذ النشأة الأولى على التواصل بجمل و تراكيب صحيحة تراعى فيها سلامة القواعد و توظيفها توظيفاً صحيحاً.

و لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هناك فرقا بسيطاً بين الملكة اللغوية و الملكة التواصلية. كلّ منهما يتعلّق باللّغة و باكتساب القدرات المؤهّلة لفهمها و معرفة طبيعتها، أمّا الملكة التواصلية هي اكتساب قدرات إضافية تجعل المتعلّم قادراً على التعبير عن أفكاره و أغراضه، و

¹ المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها: نعوم تشومسكي، ترجمة و تعليق و تقديم، الدكتور محمّد فتيح، دار الفكر العربيّ، ط1، 1993م، ص116.

قادرا على التّواصل مع بني مجتمعه اللّغوي، ممثلا قابليّة الفهم و القراءة و الحوار و النّقاش... الخ

فالنّحو العربي في معدنه نحو تواصلّي، فحركات الإعراب فيه مؤشّرات إلى المعاني المخبّأة في النّصوص و التّراكيب، و اختلافها يوحي إلى اختلاف المعاني و الأفكار المعبر عنها.

تناول ابن خلدون في مقدّمته مجموعة من العلوم التي صنّفها تصنيفات كثيرة، و كان لعلوم اللّسان النّصيب الأوفر و الجزء الأهمّ. حيث أكّد في نظريته أنّ حقيقة العلاقة بين تراثنا و وعينا المعاصر كعلاقة السّبب بالنتيجة، إذ ليس للتّراث وجود مستقل خارج وعينا به، و أنّ الأخذ بقاعدته في تحقيق الملكة اللّسانية لدى الفرد، و تعلّم العربيّة سيكون لها شأن عظيم في تحقيق الرّقي بمنظومة العمليّة التّعليميّة التّعلّميّة.

و العمل على تطوير و ترقية تعلّم اللّغة العربيّة، من كلا الجانبين للناطقين بها، أو غير الناطقين بها.

و لا يستبعد الدّارسون اللّغويّون و النّحويّون أنّ المطالبة بتيسير النّحو تثير جدلا طويلا في محاولة تبسيطه في بعض قضاياها التي تستدعي تفهّما عميقا في فلسفة محذوفاته و تقديراته و يبقى البحث فيها قائما.

إنّ دراستنا للموروث النّحوي يسمح لنا أن نسجّل أهمّ النتائج التي توصلّ إليها هذا الفصل وهي:

_ إنّ النّحو هو في مفهومه العامّ اتّباع كلام العرب في أمّة اللّغة العربيّة منذ أن اجتمع حول هذه اللّغة أعلام معروفون بعد نزول القرآن الذي جاء على لغة العرب.

_ إنّ الهدف الأساسي من تعليم القواعد النّحويّة يتحدّد مداره في استعمال اللّغة العربيّة استعمالا سليما حيث يؤسّس النّحو العربيّ مرتكزا في تاريخ الثّقافة العربيّة.

و الفكرية منذ أن استقام في بنائه على قواعد ثابتة و محدّدة للسان العربيّ.

_ يجمع الدارسون في مجال الثقافة العربيّة على أنّ العرب كانوا قبل الإسلام ينطقون العربيّة على السليقة، و اشتهروا بالفصاحة و البلاغة و اصطنعوا لأنفسهم حياة ثقافية خاصة بهم للتباهي بهذه البلاغة و الفصاحة باللّغة العربيّة و اختاروا أسواقا.

و نوادي أدبية من الشّع و النثر من الخطابة و المناظرة الحكميّة حتّى أصبحت تلك اللّغة المصطفاة لغة رسميّة. و قد تعزّزت منه اللّغة بمجيء الإسلام، و نزول القرآن الكريم بلسانها.

_ إنّ البوادر الأولى لظهور النّحو العربيّ كانت بسبب تفشّي ظاهرة اللّحن و اللّحن في تحديده هو الزّيغ عن الصّواب، حيث أنّ أوّل مشروع نحويّ بدأ مع أبي الأسود الدّوّلي بطلب من الإمام عليّ كرم الله وجهه مخافة بأن يتسرّب اللّحن، و يمسّ القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف، و اجتناب المتحدّثين باللّغة العربيّة من الوقوع في الأخطاء اللّغويّة.

_ و يعدّ أبو الأسود الدّوّلي أوّل من وضع النّحو، و شكّل المصحف و ضبط قواعد النّحو العربيّ من خلال وضعه باب الفاعل، المفعول به، المضاف، و حروف النّصب، الرّفّع و الجزم، و وضع النّقاط على الأحرف الأربعة.

لقد مرّ النّحو العربيّ بمراحل يمكن تقسيمها على التّرتيب الآتي :

_ مرحلة أبي الأسود الدّوّلي.

_ مرحلة تلاميذه الذين طوّروا الدّراسات النّحويّة كنصر عاصم، و يحيى بن يعمر.

و غيرهما، و امتدادها يدخل في فترة عبد الله بن أبي إسحاق، و لكنّها لم تفترو. إنّما هذا الأخير برّز عليهم وفاقهم.

_ مرحلة عيسى بن عمر و أبي عمرو.

_مرحلة عبد الله بن إسحاق.
_مرحلة تلاميذه الذين طوّروا الدّراسات النّحويّة كنصر عاصم، و يحيى بن يعمر.
و غيرهما، و امتدادها يدخل في فترة عبد الله بن أبي إسحاق، و لكنّها لم تفتّر.
و إنّما هذا الأخير برّز عليهم وفاقهم.
_مرحلة عيسى بن عمر و أبي عمرو.
_مرحلة عبد الله بن إسحاق.
_مرحلة خلف الأحمر و يحيى بن المبارك و أبي الخطّاب الأخفش.
_مرحلة الجمع و التّأليف و التّصنيف اعتمادا على الفترات الخمس السابقة.
_موقف عبد القاهر من النّحاة في دلائل الإعجاز.
_هناك من يرى أنّ مشكلة النّحو لا تكمن في المادّة النّحويّة إنّما في القصور في فهم القواعد، و وظائفها و عدم وضوح الأهداف التّعليميّة و سوء استغلالها بتدريسها بمنأى عن العناية المنشودة.
إنّ الهدف من تعليم النّحو هو تقويم اللّسان من اللّحن، و الانحراف اللّغويّ، و عليه يجب أن يراعي الباحثون جميع الكتب التّعليميّة في القواعد العربيّة من خلال وضعهم لمناهجهم النّحويّة مبنية على أسس لغويّة صحيحة.
_إنّ العربيّة بعلامات إعرابها تتميّز عن باقي اللّغات الأخرى. فقد أثبتت لنا النّصوص التّاريخيّة اعتناء العرب بلغتهم و إعرابها. فمن أسباب ظهور النّحو العربيّ تفشّي ظاهرة اللّحن على ألسنة النّاس ممّا أدّى إلى انحرافهم في نطقهم لعلامات الإعراب نطقا سليما، فعلماء اللّغة العربيّة كانوا ينظرون للعلامة الإعرابيّة لها أثر كبير في تحديد المعنى.

_ يوضّح لنا ابن خلدون من خلال قوله أنّ العرب مثلها مثل باقي الأمم الأخرى التي اعتنت بالتّعليم، مثل شيخنا الخليل بن أحمد الفراهدي درّس النّحو و الصّرف و دلالات الألفاظ، كما قام بتعليم مخارج الحروف و الأصوات، و إمامنا سيبويه.

و أبو عليّ الفارسي، و أبو القاسم الرّجّاج، و ابن مالك، و الرّمخشري، و عبد القاهر الجرجاني، و غيرهم من كبار النّحاة، كلّهم دفعوا إلى تسهيل العمليّة التّعليميّة لدى المتعلّمين، و تجعلهم أكثر مهارة و اكتساباً للغة العربيّة.

_ إنّ خدمتنا للغة العربيّة تعني خدمتنا لانتمائنا الحقيقي للأمة العربيّة و خدمة لغة القرآن الكريم الذي يعدّ مصدر مواردها. و من اللّسان العربيّ و لغة القرآن تأسّس الشّاهد النّحوي كما تأسّست صناعة القاعدة النّحويّة و تثبيتها و توسيعها على قدر مرونة اللّغة ذاتها و احتوائها لجميع العلوم التي اتّصلت بحضارتها العربيّة الإسلاميّة. و إنّ من أكبر ما يصيب اللّغة العربيّة من التّفريط أن تكون في يد من لا يحسن استعمالها و لا يجعل تكوينها في الأمة بغير لغتها.

عناصر المناولة عند عبد القاهر الجرجاني :

تسير الدّراسة عند عبد القاهر الجرجاني في مناولته للنّحو العربيّ، وفق معايير لا يحيد عنها في منهجه العام ، وهي:

_ معيار تعليق الكلم:

يقوم عبد القاهر الجرجاني بدراسة النّحو على الطّريقة التّعليميّة التّقليديّة، كما جاء هذا النّحو في آثار السّابقين بحيث أنّه لم يتجاوز حكمهم على الكلام في ثلاثيّة تاريخيّة في لسان العرب، يقول الجرجاني " و معلوم أن ليس النّظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض و جعل بعضها بسبب من بعض و الكلم ثلاث: اسم و فعل. و حرف.

و للتعلّيق فيما بينها طرق معلومة، و هو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلّق
اسم باسم.

و تعلّق اسم بفعل، و تعلّق حرف بهما.¹

و يضرب أمثلة لكلّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة

و يعطي حكماً عامّاً يحدّد فيه رأيه في القاعدة العامّة للنحو العربي.

" فهذه الطّرق و الوجوه في تعلّق الكلم بعضها ببعض و هي كما

تراها معاني النّحو و أحكامه.²

و خلاصة ما ذهب إليه الجرجاني في هذا النّص أنّه لم يخرج عمّا

جاء به السّابقون من هذا التّحديد في التّقسيم لمفهوم الكلم، إذ أنّ

الكلام عندهم اسم، و فعل

و حرف ثمّ يتوسّعون في كلّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة و في

اتّصال كلّ قسم بالقسم الآخر، كما فعل عبد القاهر الجرجاني في

ضرب الأمثلة على ذلك.³

و بعد محاولة عبد القاهر في احتوائه للتّقافة النّحوية و إحاطة علمه

بها، ذهب إلى محاولة التّجديد و الإبداع إلّا أنّ عنصر التّجديد عنده

سما به إلى محاولة نقل النّحو العربي إلى مجال أوسع و هو ارتباطه

بالبلاغة خاصّة و تحقيق علاقة بينه و بينها في عمليّة البحث عن

العلائق في لسان العرب، فخرج بفكرة تعلّيق الكلام بعضه ببعض، و

انطلق من أساس بعيد و هو ربط اللّغة بالفكر لأنّ اللّغة تعبر عن

معان.

و المعاني هي في الأصل وليدة الفكر، و لكنّ تنظيم هذه المعاني

يمرّ بعلم النّحو في عمليّة التّركيب و البناء، فسّمى بذلك كلّ هذه

¹ _ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: ص:ف.

² _ المصدر نفسه : ص : ش.

³ _ ينظر : المصدر نفسه : من ص : ف ، ق ، ر ، ش .

العملية "معاني النحو" أو توحي معاني النحو، وها هو ذا يقول " و اعلم أنني لست أقول إن الفكر لا يتعلّق بمعاني الكلم المفردة أصلاً، و لكنني أقول إنه لا يتعلّق بها مجردة من معاني النحو و منطوقاً بها على وجه لا يتأتّى معه تقدير معاني النحو و توحيها فيها كالذي أريتك، و إلاّ فإنك إذا فكرت في الفعلين أو الاسمين تريد أن تخبر بأحدهما عن الشيء أيهما أولى أن تخبر به عنه و أشبه بغرضك مثل أن تنظر أيهما أمدح و أذمّ و فكرت في الشئيين تريد أن تشبه الشيء بأحدهما أيهما أشبه به كنت قد فكرت في معاني أنفس الكلم. إلاّ أنّ فكرك ذلك لم يكن إلاّ من بعد أن توحيت فيها معنى من معاني النحو.

وهو إن أردت جعل الاسم الذي فكرت فيه خبراً عن شيء أردت فيه مدحاً أو ذمّاً أو تشبيهاً أو غير ذلك من الأغراض و لم تجيء إلى فعل أو اسم ففكرت فيه فرداً و من غير أن كان لك قصد أن تجعله خبراً أو غير خبر فاعرف ذلك و إن أردت مثلاً فخذ بيت بشار¹.

كَأَنَّ مُثَارَ النِّقَعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا
وَ أَسْيَافُنَا لَيْلَ تَهَاوِي
كُؤَاكِبُهُ

و القصد من المصطلح لـ "معاني النحو" في استعمالات الجرجاني يأخذ دلالة واضحة تستنتج من الدلالات التي عرف بها علم النحو، و يقسمها بعض العلماء المحدثين إلى ثلاثة أقسام و منهم الدكتور تمام حسّان:

المعنى الوظيفي : و هو المعنى الذي تكشف عنه المباني التحليلية للغة، فالفاعلية و وظيفة الاسم المرفوع و الوقف و وظيفة السكون وهكذا .

¹ المصدر السابق: ص314، 315.

و القصد من المصطلح لـ"معاني النحو" في استعمالات الجرجاني يأخذ دلالة واضحة تستنتج من الدلالات التي عرف بها علم النحو، و يقسمها بعض العلماء المحدثين إلى ثلاثة أقسام و منهم الدكتور تمام حسّان:

المعنى الوظيفي : و هو المعنى الذي تكشف عنه المباني التحليلية للغة، فالفاعلية وظيفة الاسم المرفوع و الوقف وظيفة السكون و هكذا

المعنى المعجمي : و هو ما تدلّ عليه الكلمة المفردة كما في المعاجم.

المعنى المقامي (الدلالي) : و هو المعنى الذي لا يكفي بتحليل تركيب المقال و لا بمعنى كلماته المفردة و إنما يراه فوق ذلك في ضوء المقام .

و في إطار هذا التقسيم للمعنى يرى هؤلاء أن المعنى النحوي إنّما هو المعنى الوظيفي و بدا لهم أن النحاة القدامى و بينهم الجرجاني،¹ قد قصدوا بالمعنى النحوي المعنى الدلالي أو المعجمي لا المعنى الوظيفي و قد قصدوا بقولهم (الإعراب فرع المعنى). ذلك أيضا و صوابه عند المحدثين (الإعراب فرع المعنى الوظيفي)²

و إذا جننا إلى نصّ عبد القاهر الجرجاني الآتي أدركنا حقيقة المصطلح الخاصّ بمعاني النحو في وظيفته يقول: " و اعلم أنّك تجد هؤلاء الذين يشكّون فيما قلناه تجري على ألسنتهم ألفاظ و عبارات لا يصحّ لها معنى سوى توحي معاني النحو.

و أحكامه فيما بين معاني الكلم ثمّ تراهم لا يعلمون ذلك، فمن ذلك ما يقوله: الناس قاطبة من أنّ العاقل يرتّب في نفسه ما يريد أن يتكلّم

¹ ينظر مناهج البحث في اللغة: تمام حسّان: مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، 1955م، ص 204.

² المرجع نفسه: ص 194.

به و إذا رجعنا إلى أنفسنا لم نجد لذلك معنى سوى أنه يقصد إلى قولك ضرب فيجعله خبرا عن زيد

و يجعل الضرب الذي أخبر بوقوعه منه واقعا على عمرو و يجعل يوم الجمعة زمانه الذي وقع فيه و يجعل التأديب غرضه الذي فعل الضرب من أجله فيقول: ضرب زيد عمرا يوم الجمعة تأديبا له: و هذا كما ترى هو توخّي معاني النّحو فيما بين معاني هذه الكلم. و لو أنّك فرضت أن لا تتوخّي في ضرب أن تجعله خبرا عن زيد و في عمرو أن تجعله مفعولا به لضرب، و في يوم الجمعة أن تجعله زمان لهذا الضرب، ما تصور في عقل و لا وقع في وهم أن نكون مرتّبا لهذه الكلم. و إذ قد عرفت ذلك فهو العبرة في الكلام كلّ، فمن ظنّ ظنّا يؤدّي إلى خلافه ظن ما يخرج به عن المعقول.¹

_ معيار التّقديم والتّأخير:

إنّ من المعلوم عند الدّارسين العرب للنّحو و البلاغة أنّ تعريفاتهم لمسألة التّقديم لا تتفاوت و لا تختلف فهي عندهم من جهة اللّغة: " من قدّم الشّيء، أي وضعه أمام غيره و التّأخير نقيض ذلك"².

ذكره سيبويه في الكتاب: " كأنّهم إنّما يقدّمون الدّي بيانه أهمّ لهم، و هم بيانه أعنى، و إن كانا جميعا يهمانهم"³.

و أمّا الجرجاني فيهتمّ بالتفصيل في العناية بأهميّة هذا الباب حين يتناوله بقوله: " هو باب كثير الفوائد جمّ المحاسن واسع التّصرّف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعه، و يفضي بك إلى لطف عندك أن قدّم فيه الشّيء على وجهين: تقديم يقال إنّه على نيّة التّأخير. و ذلك في كلّ شيء على أن تنقل الشّيء من حكم إلى حكم و تجعله بابا

¹ _ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: ص 310.

² _ المعجم الفصل في علوم البلاغة النبوية: مصطفى صادق الرّافعي: ص 174.

³ _ الكتاب: سيبويه: ج 1، ص 14.

غير بابه و إعرابا غير إعرابه...¹ حيث تعرّض إلى انتقاد الغافلين لأهميّة مسألة التّقديم و التّأخير ولم يصرّح بالجهة التي يعنيها من طائفة النّاس، فهل هم النّحويّون أو البلاغيّون أو اللّغويّون عامّة فقال : " و قد وُضِعَ في ظنون النّاس أنّه يكفي أن يقال إنّه قدّم للعناية، و لأنّ ذكره أهمّ، و لتخيّلهم ذلك قد صغر أمر التّقديم و التّأخير في نفوسهم، و كذلك صنعوا في سائر الأبواب فجعلوا لا ينظرون في الحذف و التّكرار و الإظهار و الإضمار و الفصل و الوصل و لا في نوع من أنواع الفروق و الوجوه إلّا في نظرك فيما غيره أهمّ لك، بل فيما إن لم عمله لم يضرك، لا جرم أنّ ذلك قد ذهب بهم عن معرفة البلاغة، و منهم أن يعرفوا مقاديرها...²"

إنّ ذكر الجرجاني لباب التّقديم و التّأخير يفيد أنّ الدّين سبقوه لم يعطوا هذا الباب حقّه إذ يراهم يهتمّون به من جهة تركيب الكلام أو ترتيبه على غير عادة المعروف

و المألوف و المتفق عليه من أنّ الفاعل مثلا يسبق المفعول به في الترتيب المتداول بين المتكلّمين في العربيّة و نسوا أنّ لهذا التّقديم و التّأخير جانبا نظميّا هو من مقاصد المتكلّم في الدّلالات على المعاني.ومن اللاّفت للملاحظة أنّ عبد القاهر الجرجاني يعرّض في النّصّ السّابق بسببويه قبل أن يفسّر لنا أهميّة التّقديم و التّأخير وكيف فهمه سببويه في نظر عبد القاهر الجرجاني، فقد جاء في قوله صريحا ذاكرا لكتاب سببويه

كما هي عادته في ذكر العلماء، فإذا وقف عند كلام سببويه لا يقول ولا يسمّيه باسمه وإنّما يقول: " قال صاحب الكتاب وفي هذا النّصّ النّقدي الذي ورد في دلائل الإعجاز حول قضية التّقديم و التّأخير يقول عبد القاهر الجرجاني:

¹ _ دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني:ص83.

² _ المصدر السابق: ص85.

" و اعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل، غير العناية والاهتمام قال صاحب " الكتاب " وهو يذكر الفاعل والمفعول : " كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم " . ولم يذكر في ذلك مثلاً¹ . فهو يقصد سيبويه صراحة أي صاحب الكتاب.

فلعبد القاهر الجرجاني وقفات في تحليل قضايا نحوية سبقه إليها النحاة و البلاغيون غير أن منهجه في التحليل يختلف عن سابقه في مقاصد التفسير و التعليل، و هو في كل ذلك ينبّه إلى استقامة الكلام على النحو الذي يقتضيه العقل و المقام دون أن يذكر مصطلح النظم فهو ذا ينتهج منهج النحاة في عرض فكرة التقديم و التأخير و لكنّه يفضلهم في الشرح و التبيين. فهو يرى في تقديم المفعول به و تأخيره فيقول: " و ممّا ينبغي أن تعلمه أنّه يصحّ لك أن تقول: ما ضربت زيدا و لكنّي أكرمته فتعقب الفعل المنفي بإثبات فعل هو ضده و لا يصحّ أن تقول: ما زيدا ضربت

و لكنّي أكرمته: و ذاك أنّك لم ترد أن تقول: لم يكن الفعل هذا و لكن ذاك.

و لكنّك أردت أنّه لم يكن المفعول هذا و لكن ذاك، فالواجب إذن أن تقول:

ما زيدا ضربت و لكن عمرا: و حكم الجار مع المجرور في جميع ما ذكرنا حكم المنصوب فإذا قلت: ما أمرتك بهذا: كان المعنى على نفي أن تكون قد أمرته بذلك و لم يجب أن تكون قد أمرته بشيء آخر، و إذا قلت: ما بهذا أمرتك: كنت قد أمرته بشيء غيره.²

استقامة الكلام على معناه :

1 _ المصدر نفسه : ص84.

2 _ المصدر السابق: ص276.

حينما يأتي عبد القاهر الجرجاني بهذا المثال:
" ما ضربت زيدًا و لكنِّي أَكْرَمْتُهُ " فالكلام هنا قد وزعه المتكلم على
عبارة ذات شطرين أحدهما ينفي الحدث وهو في جملة ما ضربت
زيدا ، والثاني يثبت الحدث في جملة أكرمته " والتي استقامت على
ثلاثة عناصر وهي فعل و فاعل و مفعوله به .

فالمنفي هنا هو الفعل و هو بلغة تفسيرية نفي الحدث و التعقيب الذي
جاء بعد نفي الحدث هو الإثبات بضده هو جملة " أَكْرَمْتُهُ " التي
احتوت على فعل و فاعل و مفعول به .

الكلام الذي لا يستقيم على معناه:

فقد ورد المثال على لسان عبد القاهر الجرجاني في جملة: " ما زيداً
ضربت و لكنِّي أكرمته " فالسياق يختلف عن الجملة السابقة التي
قامت على نفي الحدث وهو الفعل (ضرب) في حين أنّ هذه الجملة
بدأت بنفي الاسم في قوله " ما زيداً " والقصد هنا تقديم المفعول به
على الفعل " ضربت " ليمرّ إلى إثبات الضرب على عمر كما جاء
في المثال ما زيداً ضربت ولكن عمراً " ففي منظور عبد القاهر أنّ
استقامة الكلام الصحيح يكون حسب قوله:

" و لكنّك أردت أنّه لم يكن المفعول هذا و لكن ذلك " . فالاستقامة في
الكلام الصحيح هو الإبقاء على حقيقة النفي بإثباتها في تقديم المفعول
المنفي و إثبات الضرب في صيغة التدارك . " ... و لكن عمراً " . أمّا
قوله في تحديد دلالة العبارة " مَا أَمَرْتُكَ بهذا " فالعبارة هنا تتوقف
على معنى النفي لهذا الأمر و لا يفهم منه: الأمر بشيء غيره أي
آخر، و أمّا إذا جاءت الصيغة على وجه التعبير و هي " ما بهذا
أمرتك " فهو نفي للموجود " هذا " و أمر بشيء غيره . و تحديد هذا
التوجيه النحوي لدى الجرجاني يستند في أصله إلى دلالة معاني
النحو في صيغتها المختلفة و منها باب التقديم و التأخير و النفي، و

هو موضوع شائك يكاد يكون فلسفة اللّغة العربيّة عامّة و النّحو العربي خاصة، هو كفيّة التّعبير النّحوي في تحقيق المعاني؛ و يظهر من هذا التّصحيح للتّراكيب النّحويّة التي تمثّل بها عبد القاهر الجرجاني أنّه يعتمد على فكرة ترتيب المعاني التي تخضع في الأساس إلى ترتيبها في الدّهن أو في النّفس، قبل أن تخرج ألفاظاً، و هو يرمي إلى أبعاد عميقة كما يقول: " و أمّا نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفي في نظمها آثار المعني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النّفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض

و ليس هو النّظم الذي معناه ضمّ الشّيء كيف جاء و اتّفق".¹ إلى أن يقول: "و دليل آخر هو أنّه لو كان القصد بالنّظم إلى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النّفس ثمّ النّطق بالألفاظ على حدّوها لكان ينبغي أن لا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النّظم أو غير الحسن فيه لأنّهما يحسان بتوالي الألفاظ في النّطق إحساساً واحداً و لا يعرف أحدهما في ذلك شيئاً يجهله الآخر".²

معيار التّعريف والتّكثير:

ينتقل الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى تطرّقه للكلام عن الفرق في المعنى، فبيّن الخبر المعرفة والخبر النكرة بعد انتهائه من الحديث على الفرق بين الإثبات في الخبر إذا كان بالاسم وبينه إذا كان بالفعل.

فيقول: "ومن فروق الإثبات أنك تقول زيد منطلق و زيد المنطلق و المنطلق زيد فيكون لك في كل واحد من هذه الأحوال غرض خاص وفائدة لا تكون في الباقي وأنا أفسر لك ذلك اعلم أنك إذا قلت زيد

¹ المصدر السابق: ص 40.

² المصدر السابق: ص 42.

منطلق كان كلامك مع من لم يعلم أن انطلاقاً كان لا من زيد ولا من عمرو فأنت تفيد ذلك ابتداءً وإذا قلت زيد المنطلق كان كلامك مع من عرف أن انطلاقاً كان إما من زيد وإما من عمرو فأنت تعلمه أنه كان من زيد ودون غيره "1.

نفهم من كلامه في المثال الأول أراد به التَّنكير للخبر لمتلق جاهل فأفاد به الابتداء فيما المثال الثاني أراد به التَّعريف للخبر لمتلق معروف، فعرف ما كان مجهولاً وأفاد المعنى فقال: "و النكته أنك تثبت في الأول الذي هو قولك زيد منطلق فعلا لم يعلم السامع من أصله أنه كان وتثبت في الثاني الذي هو زيد المنطلق فعلا قد علم السامع أنه كان ولكنه لم يعلمه لزيد فأفدته ذلك فقد وافق الأول في المعنى الذي له كان الخبر خبراً وهو إثبات المعنى للشيء وليس يقدر في ذلك أنك كنت قد علمت أن انطلاقاً كان من أحد الرجلين لأنك إذا لم تصل إلى القطع على أنه كان من زيد دون عمرو كان حالك في الحاجة إلى من يثبته لزيد كحالك إذا لم تعلم أنه كان من أصله"2.

ويفصل في المسألتين بخصوص التَّنكير والتَّعريف بقوله:
" أنك إذا نكرت الخبر جاز أن تأتي بمبتدأ ثان على أن تشركه بحرف العطف في المعنى الذي أخبرت به عن الأول وإذا عرفت لم يجر ذلك تفسير هذا أنك تقول زيد منطلق وعمرو تريد وعمرو منطلق أيضاً ولا تقول زيد المنطلق وعمرو ذلك لأن المعنى مع التعريف على أنك أردت أن تثبت انطلاقاً مخصوصاً قد كان من واحد فإذا أثبته لزيد لم يصح إثباته لعمرو"3.

1 _ المصدر نفسه:ص136.

2 _ المصدر السابق:ص136،ص137.

3 _ المصدر نفسه:ص137.

نستنتج ممّا قاله عبد القاهر الجرجاني أنّه يجوز العطف على النّكرة، ولا يجوز على الخبر المعرفة حتّى يتّضح الفرق بينهما بالتّعريف والتّنكير.

ذكر أحمد سعد محمد في كتابه التّوجيه البلاغي للقراءات القرآنيّة: " كان يلحقها

(أل) التّعريفية أو تضاف إلى معرفة، و لذلك جعلها اللّغويون أخف من المعرفة

و أصلا لها، أمّا المعرفة فهي ما دلّت على معيّن أو معهود، إمّا بذاتها كالعلم، و إمّا بغيرها كالضمير و الموصول و الإشارة، و إمّا بغير ذلك ممّا ذكر في تعريف النّكرة"¹. و قد فصلّ فيه القول عبد القاهر الجرجاني كما سيأتي ذلك في فصل الخاص بمضامين دلائل الإعجاز.

الفروق في الخبر:

الخبر: لغة: خبرتُ بالأمر، أي: علمته، و خبرتُ الأمر أخبرُهُ إذا عرفتُه على حقيقته و الخَبْرُ بالتحريك _ واحد الأخبار، و الخبر: ما أتاك من نبا عن تستخبر، و الخبر النبا و خَبْرُه بكذا، و أخبره نبأه².

" فأهل اللغة فلا يقولون في الخبر من أنّه إعلام . تقول: «أخبرته، أخبره»، و الخبر هو العلم .

و أهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصديق قائله، أو تكذيبه. و هو إفادة المخاطب أمرا في ماض من الزمان أو مستقبل أو دائم"³.

¹ التّوجيه البلاغي للقراءات القرآنيّة: أحمد سعد محمّد : دار الآفاق العربيّة، مصر، 2008م، ص136.

²-لسان العرب: ابن منظور، مج4، ج4، ص264-265.

³-الصاحبي: ابن فارس، ص133.

و قد رُوي "أنه سأل أبو بكر الصديق أقواما قدموا عليه من بني حنيفة عن هذه الألفاظ ؟ فحكّوا بعض ما قلناه ، فقال أبو بكر : "سبحان الله ! وَ يُحْكَم ، إن هذا الكلام لم يخرج عن إلّ فأين كان يُذْهَبُ بِكُمْ ؟! . و معنى قوله : « لم يخرج عن إلّ » ، أي : عن رُبُوبِيَّة .

و من كان له عقل لم يشتبه عليه سُخْف هذا الكلام"¹ .

عوامل متفرقة:

الاسم والفعل في الخبر المثبت:

الاسم في الخبر المثبت:

يتناول عبد القاهر الجرجاني موضوع الخبر على أساس أنه جزء أصيل في استقامة الجملة أو العبارة أو الكلام السليم فلا بدّ أن يرتبط باسم آخر يتمّ به المعنى و هو المبتدأ، فيعطيه حقّه حين يكون الخبر اسما فيقول : " الاسم يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء"².

فإذا قلت: (زيد منطلق)، فقد أثبت الانطلاق فعلا له، من غير أن تجعله يتجدّد

و يحدث منه، شيئا فشيئا، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: (زيد طويل)

(عمرو قصير)، فكما لا تقصد ههنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدّد

و يحدث، بل توجبهما و تثبتهما فقط، و تقضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرّض في قولك: (زيد منطلق) لأكثر من إثباته لزيد"³.

1- إعجاز القرآن ، ص157-158 . وينظر : ص 281 .

2 _ دلائل الإعجاز:ص133.

3 _ المصدر السابق: 173.

الفعل في الخبر المثبت:

و يتناول عبد القاهر دراسة الفعل في الخبر المثبت على الطريقة التي تناول بها الاسم في الخبر المثبت من حيث التحليل في إعطاء الحقّ لوظيفة الفعل كما أعطاهما للاسم فيقول: "أما الفعل فموضوعه على أنه يقضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء"¹. و الأمثلة تحوم حول الخبر إذا كان جملة فعلية كقوله: زيد ينطلق وزيد انطلق.

الْحَذْفُ

يعرّف العلماء الحذف لغة، فهو عندهم: الإسقاط، و منه حذفت الشعر، إذا أخذت منه ويسمى اقتصار الرّأي النّحويين، و هو كما ذكر ابن منظور: "حذف الشيء يحذفه، حذفاً، قطعه من طرفه"². وإذا جاؤوا إليه يأخذونه اصطلاحاً: فهو إسقاط جزء الكلام، أو كلّه لدليل: "إسقاط حرف أو كلمة أو حركة من كلمة بشرط ألا يتأثر المعنى و الصياغة بذلك"³

يعرّفه الجرجاني في كتاب دلائل الإعجاز يقول: "باب دقيق المسلك لطيف المآخذ عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنك ترى به ترك الذّكر، أفصح من الذّكر والصّمت عن الإفادة، أريد للإفادة، و تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق و أتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبين، و هذه الجملة قد ينكرها من تخيير، و تدفعها حتّى تنظر"⁴.

ذكره الزّركشي (ت 794هـ): "إسقاط بعض الكلام أو كلّه لقرينة لفظية تدلّ عليه. هذا ما اتّفق عليه أصحاب علم المعاني، أمّا تعريفه

¹ المصدر نفسه : ص133.

² لسان العرب: ابن منظور: دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994م، ج1، ص591.

³ المعجم المفصل في النّحو العربي: بابي عزيزة قوال، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط 1. 1992م، ص454.

⁴ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: ص177.

فالشاهد في النص هو حذف المفعول به لكن هذا الحذف يتعدّد داخل هاتين الآيتين، ويقوم عبد القاهر بذكر هذا التعدّد بحذف المفعول به ويفصل فيه الكلام بالشرح والتفسير فيقول: " ففيها حذف مفعول في أربعة مواضع إذ المعنى وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم و امرأتين تذودان غنمهما و قالتا لا نسقي غنمنا فسقى لهما غنمهما. ثمّ أنّه لا يخفى على ذي بصر أنّه ليس في ذلك كلّه إلا أن يترك ذكره.

و يؤتى بالفعل مطلقا و ما ذاك إلا أنّ الغرض في أن يعلم أنّه كان من النَّاس في تلك الحال سقى و من المرأتين ذود و أنّهما قالتا: لا يكون مناسقى حتىّ يصدر الرّعاء: و أنّه كان من موسى عليه السّلام من بعد ذلك سقى. فأما ما كان المسقى أغناما أم إبلًا أم غير ذلك فخارج عن الغرض و موهم خلافه، و ذاك أنّه لو قيل: وجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما: جاز أن يكون لم ينكر الذود من حيث هو ذود بل من حيث هو ذود غنم حتّى و لو كان مكان الغنم إبل* لم ينكر الذود".¹

إنّ عبد القاهر غي هذا الشّاهد كان يقف عند مسألة الحذف للمفعول ولا يعنيه إتمام الآية كاملة فهو يأخذ مثلا قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَدْعُوا بِغَنَمِهِمْ كَمَا دُعُوا بِبَنَاتِهِمْ وَهُمْ لِيَعْلَمَنَّهُمْ فَيَحْتَفِلُونَ فِيهَا﴾² ويعلّل موطن الحذف في الفعل المتعدّي سقى الذي يطلب مفعولا به. وإلى جانب الاستشهاد بنصوص القرآن الكريم يذهب عبد القاهر في توضيح فكرة حذف المفعول به في الكلام العادي فيقول: " كما أنّك إذا قلت: مالك تمنع أخاك؟ كنت مُنكراً المنع لا من حيث هو منع

* هكذا في النّص الأصلي: لعلّ الصّواب: إبلًا.

¹ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: ص124.

² سورة القصص: من الآية: 24.

إثبات الفعل للفاعل وتخلص له وتنصرف بجملتها وكما هي إليه .
ومثاله قول عمرو بن معدي كرب :

فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت

"أجرت " فعل متعد ومعلوم أنه لو عداه لما عداه إلا إلى ضمير المتكلم نحو : " ولكن الرماح أجرتني " وأنه لا يتصور أن يكون هاهنا شيء آخر يتعدى إليه، لاستحالة أن يقول : " فلو أن قومي أنطقني رماحهم " ثم يقول : " ولكن الرماح أجرت غيري " . إلا أنك تجد المعنى يلزمك أن لا تنطق بهذا المفعول ولا تخرجه إلى لفظك . والسبب في ذلك أن تعديتك له توهم ما هو خلاف الغرض، وذلك أن الغرض هو أن يثبت أنه كان من الرماح إجرار وحبس للألسن عن النطق، وأن يصح وجود ذلك . ولو قال " أجرتني " جاز أن يتوهم أنه لم يعن بأن يثبت للرماح إجرارا، بل الذي عناه أن يبين أنها أجرتة . فقد يذكر الفعل كثيرا والغرض منه ذكر المفعول¹ ويتضح مما تقدم أن الدرس النحوي عند عبد القاهر الجرجاني ليس هو الإعراب وحده، لأن الإعراب لا يتطلب الفضل و المزية في مفهوم عبد القاهر الجرجاني

و ليس شرطا أن يصنع الفصاحة أو هو المسبب الأول للفصاحة بقدر ما كان الإعراب ضابطا للقاعدة النحوية.

يقول عبد القاهر عن الإعراب:

"ليس هو من الفصاحة التي يعينها أمرها في شيء".

ثم يعلل بقوله: " لأنه لا يتصور أن يكون للرفع و النصب في كلام مزية عليهما في كلام آخر ، و إنما الذي يتصور أن يكون ههنا كلامان قد وقع في إعرابها خلل، ثم كان أحدهما أكثر صوابا من الآخر، و كلامان قد استمر أحدهما على الصواب.

¹ _ دلائل الإعجاز: ص120،121.

الفصل الثالث:

الدّرس البلاغي

قبل عبد القاهر الجرجاني

الموروث البلاغي بين المفهوم و الاصطلاح:

شغلت البلاغة العربية فكر العرب واستقام لسانهم عليها ، وظلت على حقب الزمن تؤسس في حياتهم مظاهر الفخر في الوجاهة اللغوية، وفي الاتصال الاجتماعي والثقافي فيما بينهم وتكوّن عندهم ركنا من أركان الاحتفالية العامة في أشعارهم وخطبهم و أمثالهم، وجرت على ألسنتهم مجرى الدم في عروقهم ، ولما نزل القرآن بلغة بلاغتهم زادها بيانا و جمالا فتحدّاهم بدلالات الإعجاز ومعاني التفصيل والإيجاز، فسلبهم وجدانهم وملك قلوبهم فأمنوا به

عن طواعية واقتناع ورضوا به . لسانا عربيا مبينا، ولم تكن البلاغة مقصورة بهذا اللسان إلا على العرب وحدهم. وفي هذا الشأن يقول عبد القاهر الجرجاني: " ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل ما يدخله التفاضل، وأن للتفاضل فيه غايات ينأى بعضها عن بعض، ومنازل يعلو بعضها بعضا، وأن علم ذلك علم يخص أهله، وأن الأصل والقودة فيه العرب، ومن عداهم تبع لهم، وقاصر فيه عنهم، و أنه لا يجوز أن يدعى للمتأخرين من الخطباء والبلغاء عن زمان النبي صلى الله عليه وسلم _ الذي نزل فيه الوحي، وكان فيه التحدي أنهم زادوا على أولئك الأولين، أو كملوا في علم البلاغة أو تعاطيها لما لم يكملوا إليه"¹.

لقد اهتم الموروث العربي بتعريفات للبلاغة ، و تعددت في دراساتهم و معاجمهم لغة و اصطلاحا ، فالبلاغة لغة كما جاء في تاج العروس: بَلَّغَ الْمَكَانَ، بُلُوغًا، بِالضَّمِّ وصل إليه وانتهى، و منه قوله

تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ﴾²

أو بلغه:بشّار فعليه، و منه قوله تعالى:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ﴾²

¹ _ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: ص575.

² _ سورة النحل: الآية: 7.

أما في الصحاح: بَلَّغْتَ المكان بُلُوغًا: وصلت إليه، و كذلك إذا
شارفت عليه. ومنه قوله تعالى: " فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ، أَيَقَارِبْنَهُ، و بَلَغَ
الْعُلَامُ، أدرك.

و الإبلاغُ: الإيصال: و كذلك التَّبْيِيلُ: و الاسم منه: البَلاغُ. و البلاغُ
أيضًا: الكفائية².

فكما اهتم العلماء بتعريف البلاغة لغة وعرّفوها اصطلاحًا فالبلاغة
عندهم في المفهوم العربي هي الفصاحة، ومنها قولهم:

و البَلِغُ، و البَلِغُ: البليغ من الرّجال، و رجل بليغ و بَلَّغَ و بَلَّغَ
حسن الكلام فصيحته، يبليغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه. و الجمع:
بلغاء، و قد بَلَّغَ بالضّمّ، بلاغة: أي صار بليغًا، و قول بليغ: بالغ و قد
بلغ. و البلاغات كالوشايات. و البَلِغُنُّ: البلاغة عن السّيرافي و مثل
به سيبويه. و البَلِغُنُّ أيضًا: النّمام، و البَلِغُنُّ: الذي يُبَلِّغُ للنّاس بعضهم
حديث بعض. و تبلغ به مرضه: اشتدّ. و بَلَّغَ به البَلِغين بكسر الباء و
فتح اللّام، و تخفيفها، عن ابن الأعرابي، إذا استقصى في شتمه و
أذاه، و البَلِغين: الدّاهية³.

أعلام البلاغة قبل عبد القاهر الجرجاني:

لقد مرّ التّأليف البلاغي بمراحل: و " أوّل مرحلة اختلط فيها الدّرس
البلاغي مع غيره من وجوه المعرفة و العلوم الأخرى كالتفسير
والفقه و المنطق و علم الكلام، وفي اللغة عامة و غيرها، و هي

1 _ سورة الطّلاق: الآية:2.

2 _ الجوهري: "تاج اللّغة و صحاح العربيّة" تحقيق أحمد عبد الغفور عطار:1982م.

3 _ لسان العرب: ابن منظور: ج2، ص144.

مرحلة غلب عليها الاتجاه الديني لاهتمام المسلمين بالقرآن. فكان الدرس البلاغي بيانا و تفسيراً لظاهرة الإعجاز البياني فيه".¹ و قد كانت هذه المرحلة محاولة للكشف عن الوجوه البيانية الكامنة في القرآن بوصفها من وجوه الإعجاز لهذا النصّ، فاتّخذت هذه البحوث من القرآن موضوعاً لها: " حيث ارتبط التأليف البياني لهذه المرحلة بالتفسير و اللغة ارتباطاً كبيراً يدلّ على ذلك أسماء المصنّفات التي أنتجتها تلك الحقبة مثل: "غريب القرآن"، "مجاز القرآن". و "معاني القرآن"، و كلّها بحوث اختلطت فيها المباحث البيانية بمباحث التفسير، و غريب اللغة.²

لقد كان للفرق الإسلامية أثر كبير في تاريخ البلاغة العربية، منهم المعتزلة، الشيعة و الخوارج، فقد عملوا على فهم القرآن الكريم، فنهضت جماعة منهم باجتهاداتهم و تأويلاتهم.

و ممّن يستوقف دارس البلاغة قبيل الجاحظ، الفراء (ت207هـ) الذي ذهب إلى البحث عن معاني القرآن و سمّى كتابه بهذه التسمية "معاني القرآن" و اجتهد في فكرة التأويل للمعاني التي حواها كتاب الله إلى جانب الخصائص التي ميّزت بعض التراكيب و ذكر الصور البيانية.

و من هؤلاء الجاحظ (ت255هـ) الذي يعدّ أحد زعماء المعتزلة، فقد أسهم في ميدان البلاغة: " فأثرى به البيان العربيّ و انتقل به نقلة كبيرة في مجال نموّه

¹ دروس في البلاغة العربية: سعد سليمان حمّودة: دار المعرفة الجامعية، 2004 م، ص70.

² أثر القرآن في تطوّر النثر العربي إلى آخر القرن 4 هـ: محمّد زغلول سلام، قدّم له: محمّد خلف الله أحمد، " مكتبة الشّباب ط1، 1982م، ص207.

و تطوره"1.

التنظير البلاغي لدى الجاحظ:

يجمع الدارسون بمختلف مذاهبهم على أنّ الجاحظ هو الذي اختص في الدراسة البلاغية قبل الكثير ممن تبعوه و نقلوا عنه أشياء كثيرة و منهم عبد القاهر الجرجاني الذي يعتدُّ به كثيراً، فهو أول من وقف على مصطلح البيان، و ألف فيه كتابه المشهور: "البيان والتبيين"، فقد جمع أقوال العرب و السابقين لعهدده، و من بين ما نقل عن جعفر بن يحيى (187هـ) و هو يسأله: "قلت لجعفر بن يحيى ما البيان؟ قال: أن يكون الاسم يحيط بمعناك و يجلي عن مغزاك، و تخرجه عن الشركة، و لا تستعين عليه بالفكرة. و الذي لابدّ منه أن يكون سليماً من التكلّف، بعيداً عن الصنعة، بريئاً من التعقّد، غنياً من التأويل، و هذا هو تأويل قول الأصمعي: " البليغ من طبق المفصل و أغناك عن المفسّر"2.

و البيان عند الجاحظ واسع المعنى، و هو الكشف و الإيضاح و الفهم و الإفهام.

و يحتاج إلى تمييز و سياسة، و تمام الآلة، و إحكام الصنعة، و سهولة المخرج

و جهازة المنطق، و تكميل الحروف، و إقامة الوزن. يقول: "البيان: اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى و هتك الحجاب دون الضمير حتّى يضيفي السامع إلى حقيقته و يهجم على محصوله كأننا ما كان ذلك البيان و من أيّ جنس كان ذلك الدليل، لأنّ مدار الأمر و الغاية إليها يجري القائل و السامع إنّما هو الفهم و الإفهام. فبأيّ شيء

1_ في تاريخ البلاغة العربية: عبد العزيز عتيق:ص135.

2_ البيان والتبيين:ج1،ص106.

بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع" ¹.

و يظهر جليًا في المنهج البلاغي لدى الجاحظ أنه وقف عند قضية اللفظ و معناها و أعطاهما حقًا من الدراسة فتكلم عن اللفظ فقال: "كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميًا ساقطًا فكذا لا ينبغي أن يكون غريبًا وحشيًا إلا أن يكون المتكلم بدويًا أعرابيًا، فإنّ الوحشي من الكلام يفهمه من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي و كلام الناس في طبقات كما أنّ الناس في طبقات، فمن الكلام الجزل و السخيف و المليح و الحسن و القبيح و السمج و الخفيف و الثقيل وكله عربي" ².

و بهذا فقد جعل اللفظ الركن الأساس في صناعة الكلام و وقف عند المعنى و هو يستند إلى كلام أهل المعرفة و الخبرة و ينقل نظرياتهم في البلاغة. فيقول: " و قال من علم حقّ المعنى أن يكون الاسم له طبقًا و تلك الحالة وفاقًا، و يكون الاسم له فاضلاً و لا مفضولاً و لا مقصراً و لا مشتركاً أو مضمناً و يكون في ذلك ذاكرًا لما عقد عليه أول كلامه و يكون تصفّحه لمصادره في وزن تصفّحه لموارده و يكون لفظه موفقًا و مدار الأمر على إفهام كلّ قوم طاقتهم و الحمل على أقدار منازلهم" ³.

و قد ينهج الجاحظ المنهج التفسيري في توضيح قضية اللفظ و المعنى في الاستعمال البلاغي و يعطي للمتكلم الحقّ هذا الاستعمال في مجالاته و مواقفه و هو صاحب مقولة لكلّ مقام مقال فيقول في أنواع الكلام " و لكلّ ضرب من الحديث ضرب من اللفظ و لكلّ نوع من المعاني نوع من الأسماء. فالسّخيف للسّخيف، و الخفيف

¹ _ المرجع السابق: ج1، ص76.

² _ المرجع نفسه: ج2، ص8.

³ _ المرجع السابق: ج1، ص91.

للخفيف، و الجزل للجزل، و الإفصاح في موضع الإفصاح، و الكناية في موضع الكناية، و الاسترسال في موضع الاسترسال¹. فالجاحظ في منهجه البلاغي يحتكم إلى فنية الصنّاعة البلاغية التي تتولّد عن اللّغة

و أنّ عبقرية الأديب تتجلّى في تعامله مع اللّغة التي هي في أصلها ألفاظ يعبر بها عن معان في استخدامها، فإذا ما تأنّق في اصطفاء اللفظ و أجاد في التركيب.

امتلك قدرة على التعبير عن المعاني و جاء عطاؤه الفني ثراء لأنّ ظاهرة المزواعة بين اللفظ و المعنى صريحة في أدبيات الجاحظ، و في نقده الذي يضمن به أسباب التوازن بينهما كقوله في البيان و التبيين مثلاً:

" لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتّى يسابق معناه لفظه و لفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك."² و هذا التلازم و التداخل في الصّورة الطبيعية التي لا تقبل الفصل بين عنصري اللفظ و المعنى هي ذاتها قناعة منطقيّة في منهج عبد القاهر، و قد استعان بهذا المفهوم النقدي الذي يتبنّاه الجاحظ المحدّد لفاعلية التطبيق مع النصّ الأدبي في التحليل الشعري كما يتّضح ذلك في تطبيقاته الأدبية و منها دراسته لهذه الأبيات³:

و لما قضينا من منى كلّ حاجة
هو ماسخ
و شدّت على دهم المهاري رحالنا
و لم ينظر الغادي الذي
هو رائح

1 _ الحيوان: الجاحظ: ج3، ص39.

2 _ البيان والتبيين: الجاحظ: ج1، ص91.

3 _ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني: ص ه تحقيق ريتز.

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطيّ
الأباطح

و تجدر الإشارة أنّ هذه الأبيات قد مرّت دراستها مع كثير من
اللّغويين و النّقاد

و الدّارسين على مرّ العصور، و قد نسبت إلى الشّاعر كُثير عرّة، و
إلى يزيد بن الظّثرية، و إلى عقبة بن كعب بن زهير، و نُصيب، و
المُضرب. و ما من دارس لهذه الأبيات إلّا و قد استحسّن جمالها،
فمن القدماء ابن قتيبة في كتاب الشّعْر
و الشّعراء¹.

و ابن جنّي في الخصائص²، و أبو هلال العسكري في كتاب
الصّناعتين³، و قدامة بن جعفر في كتاب نقد الشّعْر⁴. و ابن طباطبا
في كتابه عيار الشّعْر⁵. و أمّا في العصر الحديث فنجد دراسة عبّاس
محمود العقّاد في كتابه مراجعات في الآداب
و الفنون⁶، و مصطفى ناصف في كتابه نظريّة المعنى في النّقد
العربي⁷.

فقد نال الجاحظ شهرة السّبق في طرح قضيّة اللفظ و المعنى في
نصّه المشهور، إذ يقول: " و المعاني مطروحة في الطّريق يعرفها
المعجمي و العربي، و البدوي و القروي و إنّما الشّأن في إقامة

1_ الشّعْر و الشّعراء : ج1، ص 9، 10، 11، 12.

2_ الخصائص : ابن جنّي: ج1، ص 217، 218، 219، 220.

3_ كتاب الصّناعتين : أبو هلال العسكري: ص42.

4_ نقد الشّعْر : قدامة بن جعفر: ص33، 34.

5_ عيار الشّعْر: ابن طباطبا: ص84، 85.

6_ المجموعة الكاملة مراجعات في الآداب والفنون: دار الكتاب اللّبناني ط1، 1983م
: ص495، 494.

7_ نظريّة المعنى في النّقد العربيّ: مصطفى ناصف: دار الأندلس للطباعة و النشر و
التوزيع، ط3، دت. بيروت، لبنان : ص95، 96، 97.

الوزن، و تخير اللفظ، و سهولة المخرج و كثرة الماء، و في صحة الطبع و جودة السبك"¹.

و ربّما يظنّ القارئ لهذا النصّ في أوّل وهلة أنّ الجاحظ من مناصري اللفظ على حساب المعنى فقد جانب الصّواب في تفسيره لمقصد الجاحظ كما وقع الكثير في هذا الظنّ إذ أنّ منطوق النصّ لا يقتصر على اللفظ وحده بل يعدّد عناصر فنيّة تقتضيها صناعة الشّعر و هب متنوّعة كإقامة الوزن و هي من خصوصيات الشّعر و إيقاعاته و تخير اللفظ و سهولة المخرج للصّوت و جرسه. و بهذا يكون الجاحظ قد أسّس للبلاغة طرقها و منهجها في لسان العرب.

و للجاحظ تصوّر عميق في إدراك ما تحقّقه البلاغة في النّفوس و ما تجري به ألسنة النّاس في الاعتقاد و هو يقف موقف الناقد لثقافة الاعتقاد الفاسد بسبب الجهل بمعرفة دلالات البلاغة، و ينقل هذا الانتقاد في كتابه: " الحيوان ما نصّه و هو يتكلّم عن النّاس: "يقولون في الإبل أقاويل عجبية... و ذهبوا إلى الحديث إنّهم إنّما كرهوا الصّلاة في أعطان الإبل لأنّها خلقت من أعناق الشّياطين، فجعلوا (المثل) و (المجاز) على غير جهته فللعرب (أمثال) و اشتقاقات و أبنية و موضع كلام يدلّ عندهم على معانيهم و إرادتهم، و لتلك الألفاظ مواضع آخر، و لها حينئذ دلالات آخر فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب و السنّة و الشّاهد و المثل، فإذا نظر في الكلام و في ضروب من العلم و ليس هو من أهل هذا الشّأن هلك و أهلك"².

و قد رصد الجاحظ دلالات هذا المضمون في مقاصد البلاغة بما تحويه من وظيفة كلاميّة، في مراعاة المتكلّم أثناء إرسال المعاني و قدرة المتلقّي في عمليّة الاستيعاب. حين نقل لنا نصّا لطيفا و عميقا

¹ _الحيوان: الجاحظ: ج3، ص131، 132.

² _المرجع السّابق: ج1، ص152، 153.

لبشر بن المعتمر (ت210هـ) حيث جاء في هذا النصّ قوله : " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"¹.

وشهد القرن الثالث الهجري جمع المسائل الجزئية و التأليف فيها، فقد ظهرت بعض الكتب التي تُعنى بقضايا البلاغة و النقد و الشعر و الأدب بصفة عامّة.

و من الذين ذهبوا هذا المذهب ابن قتيبة (ت276هـ) في كتابه الشعر و الشعراء.

و المبرّد (ت285هـ) في كتابه الكامل.

المنظور البلاغي لدى ابن قتيبة:

و لقد تمكّن ابن قتيبة (ت276هـ) في كتابه "الشعر و الشعراء" في التنظير للبلاغة، و في كلّ كتبه، سواء في كتاب الشعر و الشعراء أو في كتابه تأويل مشكل القرآن أو في كتابه أدب الكاتب و عزّز هذا التنظير للبلاغة بضرب الأمثلة من القرآن الكريم، و الحديث النبوي الشريف، أو من أصحاب النثر الفني في الخطب

و الرسائل ذاك أنّ ممّا يعتدّ به ابن قتيبة في انتقائه للنماذج الأدبية التي بلغت ذروة استحسانه في القيم البلاغية ما يختاره في كتاباته معللاً بقوله:

" و أجمع الكثير ممّا تريد في القليل ممّا تقول يريد الإيجاز و هذا ليس بمحمود في كلّ موضع، و لا بمختار في كلّ كتاب، بل لكلّ مقام

¹ _ الجاحظ : البيان والتبيين: ج1، ص139.

مقال، و لو كان الإيجاز محمودا في كلّ الأحوال لجرده الله تعالى في القرآن، و لم يفعل الله ذلك، و لكنّه أطل تارة للتوكيد، و حذف تارة للإيجاز، و كرّر تارة للإفهام، و لا يجوز لمن قام مقاما في تحضيض على حرب، أو صلح بين عشائر أن يقلل الكلام و يختصره، و لا إلى من كتب إلى عامّة الناس كتابا في فتح أو استصلاح أن يوجز، و لو كنت كاتباً إلى أهل بلد في الدّعاء إلى الطّاعة، و التّحذير من المعصية كتاب يزيد بن الوليد إلى مروان حين بلغه عنه تلكوه ببيعته:

" أمّا بعد، فإنّي أراك تقدّم رجلا، و تؤخر أخرى، فاعتمد على أيّهما شئت.

و السّلام" لم يعمل هذا الكلام في نفوسهم عمله في نفس مروان، و لكن الصّواب أن يطيل و يكرّر، و يعيد و يحذر"¹.

و لعلّ جهود ابن قتيبة العلميّة حول القضايا البلاغيّة تظهر جليّة في كتابه تأويل مشكل القرآن أثناء عمليّة الاستعراض للآيات القرآنيّة و محاولة دراستها باستعماله لجميع الوجوه البلاغيّة و لاسيما ما تعلق بالمجاز خاصّة الذي يوجبه في كلام العرب الذي نزل به القرآن و هو عن أسرار العربيّة فيقول: " و للعرب مجازات في الكلام و معناها طرق القول و مأخذه، ففيها: الاستعارة و التّمثيل، و القلب، و التّقديم

و التّأخير، و الحذف، و التّكرار، و الإخفاء و الإظهار، و التّعريض و الإفصاح

و الكناية و الإيضاح، و مخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، و الجميع خطاب الواحد

¹ أدب الكاتب: ابن قتيبة: ص16.

و الواحد و الجميع خطاب الاثنين، و القصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، و بلفظ العموم لمعنى الخصوص، مع أشياء كثيرة سترها في أبواب المجاز¹.

منهج المبرد البلاغي :

إنّ منهج المبرد في بحثه للبلاغة، يجمعها بالدراسة الأدبية و اللغوية و لا يحدّد موضوعاً مختصاً بعينه كدراسته للشعر و النثر، فهو يؤلّف و يكتب في كلّ شيء يستهويه من فنون بلاغية و أمور لغوية و أغراض أدبية، و هو يوضّح ذلك في مقدّمة كتابه فيقول:
"هذا كتاب ألفناه يجمع ضرباً من الآداب ما بين كلام منثور، و شعر مرصوف.

و مثل سائر، و موعظة بالغة، و اختيار من خطبة شريفة، و رسالة بليغة.."²

فهو يظهر جلياً بأنّه صاحب منهج انطباعي يعتمد الذوق مسلماً في عملية الاختيار في كلّ فنّ يروقه إلاّ أنّه يجعل البلاغة مقياسه في كلّ هذه الأمور.

فكرة التحديد البلاغي عند أبو هلال العسكري:

و أمّا أبو هلال العسكري (ت395هـ)، فإنّه يقدّم كتابه المعروف بالصناعتين.

و يحدّد مضمونه بقوله: " رأيت أن أعمل كتابي هذا مشتملاً على جميع ما يحتاج إليه في صنعة الكلام نثره و نظمه و يستعمل مما محلوله و معقوده"³.

¹ ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن: تحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1 1373هـ، 1945م، ص15.

² المبرد: الكامل في اللغة والأدب: المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة مصر، ط3، 1417 هـ - 1997 م ص2.

³ الصناعتين: أبو هلال العسكري: ص13.

و إنَّ صراحة أبي الهلال العسكري في تعظيم البلاغة ليس لها حدود فهو ينزلها المنزلة الثانية بعد تعظيم الله سبحانه و تعالى، فالبلاغة عنده هي أولى العلوم بالتَّعلُّم بعد معرفة الله وهو يبني اعتقاده على فكرة الإعجاز التي يصل إليها طالبها بواسطة البلاغة فيقول: " فينبغي من هذه الجهة أن يقَدِّم التماس هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله"¹.

وإذا عاد تناول قضايا البلاغة فإنَّه يفصّل جزئياتها فيتحدث عن الانجاز والإطناب والتشبيه والسّرقات الشعرية والسّجع . والازدواج وأضاف بعض أنواع البديع إلى ما ذكره سابقوه². ومن ذلك وقوف أبي هلال عند مسألة التشبيه على صفة التعريف به والتقريب له والتّوضيح ويأتي تفسيره له بأنه :

"تشبيه الشيء بالشيء ولو شابها من جهة واحدة ، وعلى هذا قال عز وجل:

﴿ تَشْبِيهِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ لَوْ شَابَهَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ ﴾³ ، وعلى هذا قال عز وجل:

﴿ تَشْبِيهِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ لَوْ شَابَهَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ ﴾⁴ وقد قسم أبو هلال التشبيه إلى ثلاثة أقسام :

أولاً: - تشبيه شيئين متفقين من جهة اللون ، مثل تشبيه النهار بالنهار والماء بالماء.

ثانياً: - تشبيه شيئين متفقين يعرف اتفاقها بالدليل ، كتشبيه الجوهر بالجوهر والبياض بالبياض.

¹ _ المرجع نفسه: ص9.

² _ في تاريخ البلاغة العربية: عبد العزيز عتيق : ص210.

³ _ سورة الرّحمن : الآية: 24.

⁴ _ الصّناعيتين: أبو هلال العسكري: ص261.

ثالثاً: - تشبيه شيئين مختلفين لمعنى بجمعها ، كتشبيه البيان بالسحر و الشدة بالموت ثم وصف أجود التشبيه ورأى انه يقع على أربعة أوجه:

الوجه الأول : إخراج ما لا تقع عليه الحاسة وهو في قول الله عز وجلّ :

يُحس إلى ما يُحس ، والمعنى الذي جمعها بطلان المتوهم مع شدة الحاجة، وعِظَم الفاقة إليه وأعظم حرصاً .. وهكذا قوله تعالى:

الوجه الثاني: تجد إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جارت به العادة كقوله تعالى:

والمعنى الجامع بين المشبه والمشبه به الانتفاع بالصورة.ومن هذا الباب قوله تعالى: ...
 ولين الجوهرة وفيه الدلالة على عظم الشأن، ونفوذ السلطان.

1 _ سورة النور: من الآية: 37.
 2 _ سورة إبراهيم : من الآية: 18.
 3 _ سورة الأعراف: من الآية: 171.
 4 _ سورة الرّحمن: من الآية: 37.

الوجه الثالث: إخراج ما لا يعرف بالبدئية إلى ما يعرف بها، فمن هذا قوله عزّ وجلّ:

.....

قد أخرج ما لا يعلم بالبدئية إلى ما يعلم بها، والجامع بين الأمرين العظم.. والفائدة فيه التشويق إلى الجنّة بحسن لفظه.

الوجه الرابع: إخراج ما لا قوة له في الصّفة على ما له قوّة فيها كقوله عزّ وجلّ:

.....

والجامع بين الأمرين العظم.. وعلى هذا يجري أكثر تشبيهات القرآن.³

والجدير بالملاحظة أنّ رؤية أبي هلال العسكري لقضايا البلاغة مرتبطة عنده بقضايا اللّغة عامّة وهو يؤسّس هذه الطّريقة في كلّ ما كتب، ويركّز أنّ بلاغة الكلام مرتبطة باستعمال اللّغة، ويجري عنده هذا المفهوم في كتابه (الفروق في اللّغة) حيث يجعل أوّل باب مدخلا دلاليا في الاستعمال اللّغوي، ويسمّيه " الإبانة عن كون اختلاف العبارات والأسماء موجبا لاختلاف المعاني في كلّ لغة " ومن ذلك قوله : " واضع اللّغة حكيم لا يأتي بما لا يفيد"⁴. وهو يرمي إلى نمط هذا الاستعمال البلاغي في جميع اللّغات.

و كتاب طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي، و كتاب "الشعر و الشعراء" لابن قتيبة (ت276ه) ، و البديع لابن المعتز(ت296ه).

1_ سورة آل عمران: من الآية:133.

2_ سورة الرّحمن: الآية:24.

3_ ينظر: كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري: ص165،166.

4_ الفروق في اللّغة: أبو هلال العسكري: دار الآفاق الجديدة ،ط4،بيروت لبنان،1400ه،1980م،ص13

و ممّن اهتمّ بالدّرس البلاغي في القرن الرّابع الهجري قدامة بن جعفر (ت337ه) صاحب كتاب "نقد الشّعْر"، حيث أضاف إلى ما ذكر ابن المعتز من أنواع البديع ثلاثة عشر نوعاً قدّمها في ثلاثين نوعاً¹. وألّف القاضي الجرجاني (ت 392ه) كتاب "الوساطة بين المتنبيّ و خصومه". حيث اهتمّ فيه بالاستعارة الحسنة و القبيحة، و الجناس، و التشبيه. و ما تبعه من أنواع الكلام. أمّا القرن الخامس الهجري ، فظهرت البلاغة عند الباقلاني (ت403ه) في كتابه "إعجاز القرآن" الذي عقد فيه فعلاً وصف وجوه البلاغة، فبيّن فيه جوانب الإعجاز البياني في القرآن الكريم². أمّا القيرواني (ت456ه) فذكر أبواباً في البلاغة و البيان، في كتابه "العمدة في محاسن الشّعْر و آدابه".

كذلك نجد ابن سنان الخفاجي (ت466ه) صاحب كتاب: "سرّ الفصاحة".

و في هذا الكتاب تظهر فكرة ابن سنان في مناصرته للفظ، و قد أعطى للفظ المفردة ثمانية شروط³ حتّى تكون فصيحة ، و هو يعرف الفصاحة في قول موجز هي (الظهور و البيان⁴) ، و أمّا الشّروط فقد فصلّ فيها القول و بحث عن سرّ عربيّة اللفظة كما نطقت بها العرب.

و قد تعرّضت جهود ابن سنان الخفاجي في هذا الشّأن حول مناصرته للفظ إلى نقد و انتقاد في عصره ، و بعده عند كلّ دارس تعرّض لمسألة اللفظ و المعنى. و قد فسح المجال أمام معاصره، و

¹ البلاغة و الأسلوب: يوسف أبو العدّوس: ص15.

² المرجع نفسه: ص210.

³ ينظر: سرّ الفصاحة : ابن سنان الخفاجي: ص66_69.

⁴ المرجع نفسه: ص59.

هو عبد القاهر الجرجاني الذي استفاد من دراسة السابقين في حقول البلاغة.

واستطاع أن يضع أساسا علميا للمعاني و البيان و جمع متفرقات البلاغة في كتابيه المشهورين "أسرار البلاغة"، و "دلائل الإعجاز". و هو موضوع بحثنا.

محور الجدل بين ثنائية اللفظ والمعنى:

و قد رأينا كيف أنّ قضية اللفظ و المعنى برزت لأول مرة في شكل ملاحظات عابرة في صحيفة بشر ابن المعتز (ت201هـ) ثم آثارها الجاحظ(ت255هـ) في البيان و التبيين، وتبعه ابن قتيبة(ت276هـ) في كتابه الشعر و الشعراء، ثم المبرد (ت285هـ) في كتابه الكامل، ثم اسحاق بن وهب (ت335هـ) و قدامة بن جعفر (ت337هـ) في نقد الشعر، و أبو هلال العسكري (ت395هـ) و ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) في سرّ الفصاحة. حتى ظهر ابن الأثير(ت637هـ)، و تناول القضية في كتابه المثل السائر، و اقتدى بابن سنان في اهتمامه بالألفاظ، و لم ينهج منهج عبد القاهر، ممّا عطلّ من حركة تطوّر البلاغة.

و في استمرارية البحث فيها و مواصلة المنهج الذي تنبّه إليه عبد القاهر على الطريقة الميسرة التي ارتبطت في عملية التوافق بين اللفظ والمعنى، و التحامها في جمالية التعبير البلاغي، و التي احتدم حولها الصراع بين النقاد أمدا طويلا، و أخذت مساحة واسعة في حقول البلاغة، و شغلت اهتمام النقاد في الموازنة بين الاتجاهات الشعرية من حيث مقياس المحافظة و التجديد في المعاني و الألفاظ، و دواعي الصياغة بين القديم و الحديث¹.

إنّ محاولة الفصل بين اللفظ و المعنى كانت قد سبقت مرحلة الجرجاني في الحكم على العمل الأدبي سواء أكان كلاما نثريا أم

¹ ينظر : الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني: ص56.

شعريًا. و كان هذا الحكم في كيفية التّغليب للفظ أو المعنى، و سار
البلغاء في إتباع الجاحظ في مقولته: " المعاني مطروحة في
الطّريق " . كما سبقت الإشارة إلى ذلك، و لذلك جاءت المبالغة: " في
تقديم المبنى على المعنى بعدا واسعا، ممّا جعل النّقاد يقصرون مقدرة
الشاعر على استحضار الألفاظ دون المضمون، و يرون أنّ الأداء
اللفظي هو دليل المعنى و آلة البيان، و لولاه لما وقفنا على نفس
الأديب من معان و أخيلة و عواطف و صور أدبيّة، إذ أنّ براعة
الشاعر تتمثّل في أن يأتي بالمعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا.
أو الكبير فيجعله بلفظه خسيسا، كما يذهب إلى ذلك الأصمعي.¹
و نستنتج ممّا سبق أنّ عبد القاهر قد أخذ بعين الاعتبار هذا النّزاع
القائم بين أنصار اللفظ و أنصار المعنى، و أوجد له حولا بعد
قراءته الواسعة لأعمال الدّين سبقوه
و دفعه كلّ هذا إلى التّفكير في إقامة نظريّة تخرج البلاغيين من
الصّراع المحتدم.

و يقضي على الاختلاف بينهم برؤية جديدة تتلخص صفاتها في عدم
التّمييز بين اللفظ و المعنى في أسباب المفاضلة في الحسن و الجمال
الذي يراه القارئ في النّصّ عامّة سواء أكان شعرا أم نثرا. فالمقياس
عنده هو الارتكاز على صحّة القاعدة النّحويّة و سلامة التّعبير في
نظم الكلام. و بذلك استطاع أن يُحوّل مجال البحث من قضية اللفظ و
المعنى إلى مجال النّظم، الذي أصبح عنده شبيها بنظريّة نقدية تتّصل
بالخطاب الأدبي كبناء فنّي قائم بذاته اتّصالا مباشرا، فهو لا يتعامل
بالألفاظ مجردة من الفنّ و لا بالمعاني منعزلة عن هذا البناء دون
إقامة العلاقات الداخليّة². و هو ما تتبناه النظريّة النّقدية الحديثة حاليّا
النّي: "تحتكم رأسا إلى البعد اللّغوي في النّصّ الإنشائي، و ذلك

¹ ينظر : كتاب الصّناعتين: ص57، 58.

² ينظر: المرجع السّابق: ص57.

بالبحث عن نوعيّة علاقة الرّابطة بين حدث التّعبير و مدلول محتوى صياغته، و لهذه الضّوابط الأوّليّة التّزم النّقد الحديث بالنّصّ أو بعبارة أدقّ إنّهُ يقصر نفسه على نصّ النّصّ¹. و إنّ فكرة هذا الاتّجاه تتمحور أساسا على اعتبار النّصّ الأدبي صناعة لغويّة ترتبط بالفكرة و أسلوبها التّعبيري الموحى، و هذا ما يؤمن به عبد القاهر الجرجاني في تعامله مع الدّراسة الأدبيّة، و يفيد اتّجاهه هذا خلاصة تصوّره النّقدي كما يقول:

" و جملة ما أريد أن أبينه لك أنّه لا بدّ لكلّ كلام تستحسنه و لفظ تستجده من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة و علّة معقولة، و أن يكون لنا إلى العبارة عن ذلك سبيل، و على صحّة ما ادّعينا من ذلك دليل"². فالعبارة في هذا الاستعمال تشمل اللّغة و الإيحاء، و هي في نظره السّند في الحكم، و ما يحتويه من مظاهر الاستحسان و دلائل الجمال، و هي نظرة متقدّمة جدّا في الرّؤية النّقديّة سبقت عصرها، لأنّ الفصل في الأثر الأدبي بين شكله و مضمونه يعرض النّقد الأدبي إلى ممارسة عميقة لا طائل من ورائها، لذلك يجد الباحث الاتّجاهات النّقديّة الحديثة تسعى إلى إقامة الأحكام في العمل الأدبي: " على محور الرّوابط بين الصّياغة التّعبيريّة، و هو الجانب الحسيّ الفيزيائي، من الحدث اللّغوي و الخلفيّة الدّلاليّة التي تمثّل الجانب التّجريدي المحض"³.

فالمسألة النّقديّة تتوزّع بين محورين أساسين هما اللّغة و الصّورة التي تنتجها، فأما اللّغة فهي التي تصنع التّركيب للخطاب الأدبي داخل نظام من الجمل و الألفاظ و الرّوابط من الحروف كما يشير إليها هذه اللّغة، و توحى إلى ذهن المتلقي ببواعث الانفعال

1 _ النّقد والحدّاتة : عبد السلام المسدي:ص36.

2 _ عبد القاهر الجرجاني :دلائل الإعجاز:ص33.

3 _ عبد السلام المسدي:ص37.

و التأثير بالسياق الكلي المؤلف من تلاحم أجزاء النص من معان و صور.

و لذا كان موقف عبد القاهر يحفل بمؤهلات نقدية بعيدة عما كان يؤمن به السابقون من الدارسين حول عناصر مناصرتهم للألفاظ حينا و للمعاني حينا آخر

و إنّ موقف عبد القاهر من أنصار اللفظ صريح في رفضه لمنهجهم كما تبين من نصّه:

" و أمّا رجوع الاستحسان على اللفظ من غير شك من المعنى فيه و كونه من أسبابه و دواعيه فلا يكاد يعدو نمطا واحدا، و هو أن تكون اللفظة ممّا يتعارفه الناس في استعمالهم و يتداولونه في زمانهم و لا يكون وحشيا غريبا أو عاميا سخيفا...سخفه بإزالته عن موضوع اللّغة، و إخراجها عمّا فرضته من الحكم.

و الصّفة..فإنّه ربّما استسخر اللفظ بأمر يرجع إلى المعنى دون مجرد اللفظ، كما يحكى من قول عبيد الله بن زياد لما دهش: "افتحوا لي سيفي"، فحقه أن يتناول شيئا هو في حكم المغلق و المسدود و ليس السيف بمسدود"¹.

فالنّصّ عند عبد القاهر الجرجاني عبارة عن ردود نقدية على قراءات أدبية و بلاغية للرّصيد الثقافي المحصور في زمنه و إسقاط الضّروب من المعارف التي كادت تحكمها قاعدة مقيدة بشروط كالتّي ذهب إليها ابن سنان في تحديد فصاحة اللفظة المفردة

و سار على طريقته كلّ من جاء بعده، فلم يجاوز عملهم حدّ التّنقل و التّفسير

و التلخيص لكتابه (سرّ الفصاحة) و قد استفاد ابن سنان كثيرا من أعمال الجاحظ البلاغية، و خاصّة ما يمسّ قضية اللفظ و المعنى، و

¹ _الأمدي: الموازنة:ص505.

لئن كانت هذه المرحلة عرفت ملاحظات من التطور البلاغي و
النقدي. و كان الارتكاز على عنصر اللفظ

و المعنى شيئاً ضرورياً لمقاييس النقاد حين يقومون الشاعر في
تجاوبه مع الألفاظ

و المعاني كما فعل الأمدي في حكمه على أبي تمام بقوله: " و ليس
أبو تمام ممن يذهب هذا عليه، و لكن يسامح في ألفاظه فيقع الغلط
عليه عند كلال خاطره"¹.

و من هذه العتبة النقدية كانت زوبعة الخصومة بين القدماء و
المحدثين، و كانت المفاضلة، و كان التقييم للقيمة الفنية التي يحظى
بها كل شاعر في اتباع المؤلف المطبوع أو في انتهاج المبتدع
المصنوع، و قد اقتنع بعض الدارسين الغربيين بهذه الأحكام على
التراث الشعبي العربي، و أقام عليه مقاييس على قدر تفهمه للنقد
العربي و استيعابه لباب الموازات الأدبية كقوله:

" إذا ما قارنا المتنبي...بأبي نواس فإن المتنبي يظلّ مخلصاً بشكل
أساسي لتقاليد الشعر العربي، تلك التقاليد التي تقوم على إيجاد تعبير
شخصي متقدم، نابع أساساً من الشكل مع مضمون معترف به، و
معتمد من خلال الاستعمال"².

إلا أنّ هذه الأحكام قليلة النفع في السير بالبلاغة قدما على وجه
التوجه الذي التفت إليه عبد القاهر حين استفاد هو كذلك بدوره من
سابقه، و استطاع أن يتحكم في حلقة البحث على طريقة الاستمرار
في عملية الاكتشاف و الإبداع في التنظير النقدي و البلاغي و
التطبيق عليهما، حيث غير مباحث اللفظ و المعنى على اعتبارهما
دعامتين من دعائم النصّ الأدبي و أداتين ضرورتين في تكوين
ظاهرة النظم و أكد على حتمية المطابقة بين اللفظ و المعنى فقال:

¹ ابن سنان: سرّ الفصاحة:ص71.

² المرجع نفسه: ص71.

" إذ الألفاظ خدم المعاني و المصرفة في حكمها، و كانت المعاني هي المالكة سياستها، المستحقة طاعتها فمن نصر اللفظ على المعنى كان أزال الشيء عن جهته، و أحاله عن طبيعته و ذلك مظنة من الاستكراه، و فيه فتح أبواب العين و التّعريض للشين"¹.

يقرّر عبد القاهر في هذا المنطلق ضرورة التّلاحم بين الألفاظ و المعاني و ينفي فكرة عزل اللفظ عن المعنى و ينقد بشدّة أصحاب هذا الاتّجاه الذين يهتمّون بطرف دون الآخر، و ربّما أحسن الدّارس من موقف عبد القاهر من هذه القضية ردّا نقديًا خاصًا بالجاحظ باعتباره مؤسسًا للفكرة بقوله المشهور الذي تداوله الدّارسون على ظاهره أحيانًا. " و المعاني مطروحة في الطّريق يعرفها العجمي و العربي و البدوي و القروي و المدني، و إنّما الشّأن في إقامة الوزن و تخيّر اللفظ و سهولة المخرج و كثرة الماء و صحّة الطّبع و جودة السّبك"².

و لعلّ الذي يحكم على نصّ الجاحظ بأنّه من مناصري اللفظ على حساب المعنى فقد جانب الصّواب في تفسيره لمقصد الجاحظ كما وقع الكثير في هذا الظنّ، إذ إنّ منطوق النصّ لا يقتصر على اللفظ وحده، بل يعدّد عناصر فنيّة تقتضيها صناعة الشّعر، و هي متنوّعة كإقامة الوزن، و هي من خصوصيات الشّعر و إيقاعاته. و تخيّر اللفظ، و سهولة المخرج للصّوت و جرسه، و في صحّة الطّبع، و جودة السّبك، فالطّبع عنده من دواعي الأصالة في التّعبير الفنّي دون التّكّلف و السّبك هو ما كان من أحكام الأسلوب، و تركيب في العبارة، و الدليل على هذا التّصوّر يعزّزه قول الجاحظ نفسه:

¹ الموازنة: الأمدى: ص505.

² أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني: ص256.

" فإنما الشعر صناعة، و ضرب من الصيغ، و جنس من التصوير"¹.

فإذا ما اطمأنّ الدارس إلى قبول هذا الرّأي فإنّه يستنتج أنّ الجاحظ يحتكم إلى فنيّة الأدب المتولّدة عن اللّغة، و أنّ عبقرية الأديب تتجلّى في تعامله مع اللّغة التي هي في أصلها ألفاظ يعبر بها عن معان في استخدامها، فإذا ما تأنّق في اصطفاء اللفظ

و أجاد في التّركيب، امتلك قدرة على التّعبير عن المعاني، و جاء عطاؤه الفنّي ثرّاً لأنّ ظاهرة المزاجية بين اللفظ و المعنى صريحة في أدبيات الجاحظ و في نقده الذي يضمن به أسباب التّوازن بينهما، كقوله في (البيان والتّبيين) مثلاً:

"لا يكون الكلام يستحقّ اسم البلاغة حتّى يسابق معناه لفظه و لفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"².

و هذا التّلازم و التّداخل في الصّورة الطّبيعيّة التي لا تقبل الفصل بين عنصري اللفظ و المعنى، هي ذاتها قناعة منطقية في منهج عبد القاهر، و قد استعان بهذا المفهوم الجاحظي النّقدي المحدّد لفاعليّة التّطبيق مع النّص الأدبي في التّحليل الشعري كما يتضح ذلك في تطبيقاته الأدبيّة، و منها دراسته لهذه الأبيات:

ولما قضينا من منى كل حاجةٍ ومسح بالأركان من هو مسحُ
وشدّت على دهم المهارى رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائحُ
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا و سالت بأعناق
المطيّ الأباطحُ

فيقول: " ثمّ راجع فكرتك و اشحذ بصيرتك، و أحسن التأمّل، و دع عندك التّجوز في الرّأي، ثمّ انظر هل تجد لاستحسانهم و حمدهم و ثنائهم و مدحهم منصرفاً إلّا إلى استعارة وقعت موقعها و أصابت

¹ المصدر نفسه: ص5.

² الجاحظ: الحيوان: ج3، ص131.132.

غرضها، أو حسن تكامل معه البيان حتّى وصل المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السّمع، و استقرّ في الفهم مع وقوع العبارة في الأذن"¹.

فبعد القاهر في هذا الحكم النّقدي يحذو حذو الجاحظ في المنطلقات القياسيّة التي نظر لها في التّرتيب الهادي إلى عمليّة القبول كما يجري في مجالات الإبداع الفنّي سواء أ كان شعرا أم نثرا، و يتابعه حتّى في توظيفه لمسميات الأشياء الماديّة التي يعوّل عليها الدّارسون في مضارب الموقع، و الاستجابة كالقلب و السّمع و الأذن، و قد حاول عبد القاهر أن يعطي إضافات في هذا الصّدّد ، و في كيفية جريان عمليّة التّفاعل مع الأثر الأدبي حينما يصل عند المتلقي ذلك الإحساس الواعي بالفهم.

و الإدراك بالشيء و بآثاره فيقول:

" و القياس يجري فيما تعيه القلوب و تستفتي فيه الأفهام و الأذهان لا الأسماع
و الأذان"².

فتأثر عبد القاهر بالجاحظ واضح في مبدأ الموافقة الذي يسير عليه، و يقابله في هذا الصّدّد مبدؤه الثّاني في المخالفة، و يظهر في نقده و مخالفته لرأي ابن قتيبة حتّى يقول: " و الذي له صاروا كذلك أنّهم حين رأوهم يفردون اللفظ عن المعنى

و يجعلون له حسنا على حدّة، و رأوهم قد قسّموا الشّعر فقالوا: إن منه ما حسن لفظه و معناه و منه ما حسن معناه دون لفظه"³.

و هذا انتقاد صريح لمنهج ابن قتيبة أن ينقد الشّعر من أربع زوايا تتلخص في الأوجه الآتية:

¹ _ المرجع السّابق: ج3، ص131.132.

² _ البيان والتبيين: الجاحظ: ج1، ص91.

³ _ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني: ص16.

لفظ جيّد يقابله معنى جيّد.

لفظ جيّد يقابله معنى تافه.

لفظ قاصر يقابله معنى جيّد.

لفظ قاصر يقابله معنى قاصر.

و تكون الحالة الأولى هي طموح الشاعر الحق، و هي مبتغاه بينما تبقى الحالات الثلاث الأخرى غير متوافقة في الطرفين¹.

و قد نهج أبو حيان التّوحيدي هذا المنهج في الاقتداء بابن قتيبة و حاول أن يخالفه بعض الشيء في محاولة طرحه للتمييز بين مصطلحي الجودة و الحسن تفضيله للشيء الجيّد على الشيء الحسن حين قرّر: "...أنّ مدار الكلام على أربعة أركان منها: ما جاد لفظه و معناه.

و ما حسن لفظه و معناه.

و ما جاد لفظه و حسن معناه.

و ما حسن لفظه و جاد معناه.

فإنّ ثلاثة أركان من هذه الأربعة قد تهدّمت و تداعت و أن المفرع إلى الأوّل².

و يواصل عبد القاهر الجرجاني عرضه لأفكار سابقيه بقوله:

" و أروهم يصفون اللفظ بأوصاف لا يصفون بها المعنى، ظنّوا أنّ اللفظ من حيث هو لفظ حسنا و مزية و نبلا و شرفا³.

و هذا انتقاد كذلك صريح لمنهج ابن سنان الخفاجي. إنّ الدوافع التي جعلت عبد القاهر يشدّد الخناق على أنصار اللفظ تعود بالدرجة الأولى إلى تحديد مفهومه من نظريّة النّظم التي لا تقبل في الأساس

¹ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني:ص275.

² الشّعْر والشّعراء: ابن قتيبة:ص27،24.

³ ثلاث رسائل لأبي حيان التّوحيدي رسالة في العلوم، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات الفرنسيّة، د.ط، 1951م، ص205.206.

هذه الانعزالية اللفظية في المشاركة في صناعة الكلام، كما ليس المعنى وحده في مرجعية هذا الجمال، وإنما يكون جمال كل ذلك في بنية السياق العام، إذ يقوم السياق بمهمة تنظيم أجزاء الصورة الأدبية وإخراجها بأدوات فنية متلاحمة تشترك فيها معاني النحو و بواعث لغوية و عوامل بلاغية كما يقول عبد القاهر مفسراً هذه العلائق المتداخلة المتلاحمة:

" و جملة الأمر أنه لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة

و صنعة، و إن لم يقدّم فيه ما قدّم و لم يؤخّر فيه ما أخّر، و بدأ بالذي ثني به، أو ثني بالذي ثلث له، لم تحصل لك تلك الصورة و تلك الصنعة"¹. و إذا كان كذلك فينبغي أن ينظر إلى الذي يقصد واضع الكلام أن يحصل له من الصورة.

و الصنعة، أ في الألفاظ يحصل له ذلك أم من معاني الألفاظ، و ليس في الإمكان أن يشك عاقل إذا نظر أن ليس ذلك في الألفاظ، و إنما الذي يتصوّر أن يكون مقصوداً في الألفاظ هو الوزن، و ليس هو من كلامنا في شيء، لأننا نحن فيما لا يكون الكلام كلاماً إلا به و ليس للوزن مدخل في ذلك"².

¹ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: ص254، 255.

² المصدر نفسه: ص278.

الفصل الرَّابِع:
الدَّرْسُ البِلاغِي
لدى
عبد القاهر الجرجاني

إنَّ اهتمام عبد القاهر الجرجاني بمفهوم البيان يتحقّق في المسائل البيانيّة الخمس. وهي التّشبيه ، التّمثيل ، المجاز ، الاستعارة ، الكناية. تحوم آراء علماء البلاغة العربيّة حول البيان في مقصد عام واحد على الرّغم من أنّ أساليب تعريفاتهم للسان، تتنوّع من حيث صياغة التّعريف، غير أنّهم يتّفقون في المعنى العام و هو أنّ البيان له معنى واسع يشمل البلاغة كلّها، و يكاد كلّ العلماء كما يرى الدّكتور أحمد مطلوب و هو المختصّ في البلاغة_ " يجمعون على أنّ البيان هو الإفصاح عمّا في النّفس من المعاني و الأحاسيس و هذا معنى أدبي جميل أعطى البلاغة حياةً وأكسبها رونقا و فتح أمامها السّبيل لتخوض في موضوعات أدبيّة بديعة"¹.

و إذا كان القصد من البيان لغة هو ما يبين به الشيء من الدلالة و غيرها ، و بان الشيء : اتضح فهو بيّن، و استبان الشيء : ظهر ، و البيان : الفصاحة و اللّسنُ مع الذكاء . و البيان : إظهار المقصود بأبلغ لفظ ، و هو من حسن الفهم.و ذكاء القلب مع اللسن ، و أصله الكشف و الظهور².

" و منه قيل : بانّت المرأة ، إذا انقطعت العِصمةُ بينها و بين زوجها . و قيل : منه غراب البين"³.

¹ _ فنون بلاغيّة : (البيان _ البديع) : أحمد مطلوب: دار البحوث العلميّة: ط1. 1395هـ. 1975م، ص20.

² - لسان العرب: ابن منظور ، مج13 ، ج13 ، ص 78 .

³ - نكت الانتصار لنقل القرآن: أبو بكر الباقلاني: تحقيق محمد زغلول سلام: منشأة المعارف: دراسات قرآنية: ط1. 2008م، ص 256 .

فالبیان فی معناه اللغوی لا یرج عن الكشف و الإیضاح ، و إظهار المقصود بأبلغ لفظ . و علیه اعتمدت اللغة العربیة بلاغتها و فصاحتها.

و أمّا اصطلاحاً فهو الكلام المُعبر عما یختلج فی نفس الإنسان و ما یدور فی خاطره ، مع وضوحه و سلاسته فی اللسان ، و حسن موقعه علی الأسماع ، و سهولة رسوخه فی الأذهان و ملاءمته فی كل زمان و مكان .
والتشبیه فی اللغة یحدث من اشتقاقه الواسع، وهو: الشبه و التشبیه لغة: المثل.

و أشبه الشيء: مائله و أشبهت فلانا و شابهته و اشتبه علی¹.

عرّفه الباقلائی: " و أمّا التشبیه فهو العقد علی أحد الشیئین یسدّ مسدّ الآخر فی حسن أو عقل"².

أمّا قدامة بن جعفر: عرّفه: "إنّ التشبیه یقع بین شیئین بینهما اشتراك فی معان تعمهما و یوصفان بها، و افتراق فی أشياء ینفرد كلّ واحد منها عن صاحبه بصفتها"³.

والقیروانی عرّفه ب: "التشبیه صفة الشیء بما قاربه و شاکله، من جهة واحدة أو من جهات كثيرة لا من جمیع جهاته، لأنّه لو ناسبه مناسبة کلیة لكان إیاه"⁴.

أمّا الجرجانی فعرّفه ب"التشبیه أن یتثبت لهذا معنی من معانی ذلك أو حکما من أحكامه"¹.

¹ _ لسان العرب: ابن منظور: مادة " شبه".

² _ إعجاز القرآن: الباقلائی، تعلیق محمد عبد المنعم خفاجی، دار الجیل، بیروت ط1. 1991م، ص125.

³ _ نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تحقیق کمال مصطفی، القاهرة، مكتبة الخانجی ط1. 1978م، ص159.

⁴ _ المرجع نفسه: ص159.

حيث قال عبد القاهر: " و هكذا كلّ متعاطٍ لتشبيهه ضريح لا يكون نقل اللفظ من شأنه ولا من مقتضى غرضه، فإذا قلت: "زيد كالأسد" و " هذا الخبر كالشمس في الشهرة" و "له رأي كالسيف في المضاء" لم يكن منك نقل للفظ عن موضوعه. و لو كان الأمر على خلاف ذلك لوجب أن لا يكون في الدنيا تشبيه إلا و هو مجاز.

و هذا محال لأنّ التشبيه معنى من المعاني و له حروف وأسماء تدلّ عليه فإذا صرّح بذكر ما هو موضوع للدلالة عليه كان الكلام حقيقة كالحكم في سائر المعاني فاعرفه².

و الناظر في بحوث عبد القاهر يرى أنّ التشبيه و لاسيما التمثيل لا يمكن أن يكون حقيقة و إنّما هو تخيل في أغلب صورهِ البديعية. و يتّضح ذلك في تقسيمه للتشبيه إلى ضربين: أحدهما أن يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج فيه إلى تأوّل، و الآخر أن يكون الشبه محصلاً بضرب من التأوّل³.

والتشبيه صريح و غير صريح، فالصريح مثل أن نقول: " كأن زيدا الأسد " فنذكر كلّ واحد من المشبه و المشبه به، و غير الصريح أن نسقط المشبه به من الذكر ونجري اسمه على المشبه مثل " رأيت أسداً " أي رجلاً شبيهاً بالأسد⁴

أمّا التمثيل هو التشبيه الذي يكون فيه الشبه فيه منتزعا من العقل و غير حقيقي و يحتاج إلى تأوّل، و إنّ تشبيهه خاص فكلّ تمثيل تشبيه و ليس كلّ تشبيه تمثيلاً.

و إنّ تشبيهه عقلي⁵.

1_ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني ص68.

2_ المصدر نفسه: ص221، 222.

3_ المصدر نفسه: ص80.

4_ المصدر نفسه: ص353.

5_ المصدر السابق: ص221، 223.

كما ذكر التمثيل المقلوب و التمثيل غير المقلوب، فالأول لا يحتاج إلى تأويل و الثاني يحتاج إلى تأويل و تخيل.

كما كان للمجاز حصّة الأسد في كتب البلاغة و النّقد، و أخذ تعريفه الدقيق حينما ألف كتابيه دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة، و قد أوضح معنى الحقيقة قبل كلّ شيء و قال: " اعلم أنّ حدّ كلّ واحد من وصفي المجاز و الحقيقة إذا كان الموصوف به المفرد غير حدّه إذا كان الموصوف به الجملة. و أنا أبدأ يحدّهما في المفرد: كلّ كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضح و إن شئت قلت في مواضع وقوعا لا تستند فيه إلى غيره فهي حقيقة. و هذه العبارة تنتظم الوضع الأوّل و ما تأخر عنه كلغة تحدث في قبيلة من العرب أو في جميع العرب أو في جميع النّاس مثلا أو تحدث اليوم. و يدخل فيها الإعلام منقولة كانت كزيد و عمرو أو مرتجلة كغطفان و كلّ كلمة استؤنف لها على الجملة مواضع أو ادعي الاستئناف فيها"¹.

عرّفه عبد القاهر الجرجاني قائلا: "المجاز مفعّل من جاز الشيء يجوزُه إذا تعداه.

و إذا عدل باللفظ عمّا يوجبه أصل اللّغة وصف بأنّه مجاز على معنى أنّهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الدّي وضع فيه أو لا"².

أمّا الاستعارة: فعرفّها قدامة بن جعفر: " هي استعارة بعض الألفاظ في موضع بعض على التوسّع و المجاز "³.
و الرّماني قال فيها: أنّها " استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللّغة.

¹ _ المصدر نفسه: ص324.

² _ المصدر نفسه: ص356.

³ _ علم البيان: عبد العزيز عتيق: ص169.

و مثل لها بقول الحجاج: " إني أرى رؤوسا قد أينعت و حان قطفها
1"

و الأمدي عرّفها: "هي استعارة المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه أو
يدانيه و يشبهه في بعض أحواله أو كان سببا من أسبابه"².

أمّا أبو هلال العسكري فعرّفها: " الاستعارة نقل العبارة عن موضع
استعمالها في أصل اللّغة إلى غيره بغرض"³.

و السّكاكي: " الاستعارة أن تذكر أحد طرفي التّشبيه و تريد به
الطرف الآخر مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبّه به دالًّا على ذلك
بإثباتك للمشبّه ما يخصّ المشبّه به"⁴.

و عرّفها الخطيب القزويني: " الاستعارة مجاز علاقته تشبيه معناه
بما وضع به، و كثيرا ما تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبّه
به في المشبه فيسمّى المشبّه به مستعارا منه. و المشبّه مستعارا له. و
اللفظ مستعارا"⁵.

و الجرجاني قال عنها:

"الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللّغوي
معروفا تدلّ على أنّه اختصّ به حين وضع، ثمّ يستعمله الشّاعر أو
غير الشّاعر في غير ذلك الأصل.

و ينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية"⁶.

1_ المرجع نفسه: ص173.

2_ المرجع نفسه: ص174.

3_ المرجع نفسه: ص174.

4_ المرجع نفسه: ص173.

5_ المرجع نفسه: ص175.

6_ المرجع السابق: ص173.

الكناية لغة : أن تتكلم بشيء و تريد غيره ، و كُنَى عن الأمر بغيره
يكنى كناية يعني : إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه ، و تَكْنَى : تستر
من كُنَى عنه إذا وَرَى ، أو من الكنية¹ .
أمّا اصطلاحاً : هو " أن يُريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا
يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، و لكن يجيء إلى معنى هو
تاليه وردّفه في الوجود ، فيومئ به إليه و يجعله دليلاً عليه"² .
عرّفها قائلاً:

" المراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني
فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، و لكن يجيء إلى معنى هو
تاليه وردّفه في الوجود. فيومئ به إليه و يجعله دليلاً عليه، مثال ذلك
قوله: "هو طويل النجاد" يريدون طويل القامة ، "و كثير رماد
القدر" يعنون كثير القرى و في المرأة "نؤوم الضحى" و المراد أنّها
مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها، فقد أرادوا في هذا كلّه كما ترى
معنى لم يذكره بلفظه الخاصّ به و لكنّهم توصّلوا إليه بذكر معنى
آخر من شأنه أن يردّفه في الوجود...أفلا ترى أن القامة إذا طالت
الطال النجاد، و إذا كثر القرى كثر رماد القدر، و إذا كانت المرأة
المترفة لها من يكفيها أمرها، ردف ذلك أن تنام الضحى"³.

التوافق بين علم المعاني و علم البيان عند عبد القاهر الجرجاني:
من الّلافت للانتباه أنّ مصطلح النّظم ظهر في مسيرته مع العلماء
الباحثين في قضايا الإعجاز على الرّغم من أنّه مصطلح لغوي قائم
على فكرة التّأليف عامّة، و قد يتحقّق هذا القول حين نستعرض
الأعلام الدّين كتبوا في النّظم و هم ممّن تعرّضوا في دراساتهم
للحديث عن بلاغة القرآن و إعجازه و جاؤوا بالشّواهد بالآيات

1- لسان العرب: ابن منظور ، مج15 ، ج15 ، ص270 .

2-دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني ، ص 66 .

3_المصدر السابق: ص 66.

القرآنيّة التي تدلّ على ذلك و ذهبوا إلى تفسيرها و خلصوا إلى أدبيّة التّفسير معتمدين على التّفسير البياني الذي أصبح فيما بعد منهجا من تفاسير القرآن الكريم، يرتكز على الأسس البلاغيّة ليصل إلى تحديد القيم الإعجازية.

ظهر النّظم عند: ابن المقفع، سيبويه، الجاحظ، ابن قتيبة، المبرّد، العسكري. القيرواني، الواسطي، الرّماني، الخطابي، الباقلاني، أبادي، الجرجاني.

و نجد النّظم قد ورد تعريفه في لسان العرب على أنّه: " يرادف التّأليف نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السّلك و التّنظيم مثله و منه نظمت الشّعرو كلّ شيء قرنته بآخر أو ضمنت بعضه إلى بعض، و النّظم نظمك الخرز بعضه إلى بعض في نظام واحد كذلك هو في كلّ شيء"¹.

و عرّفه فيروز أبادي في القاموس المحيط: " النّظم التّأليف و ضمّ شيء إلى آخر.

و نظم اللؤلؤ ينظمه نظما ونظاما ونظمه ألفه وجمعه في السّلك وانتظم وقد نظمتُ وانظمتُ وهي ناظم ومنظم"².

أما اصطلاحا: فهو "تنسيق دلالة الألفاظ و ثلاثي معانيها بما تقوم عليه من معاني النّحو المتخيّرة،الموضوعة في أماكنها على الوجه الذي يقتضيه العقل"³.

مصطلح النّظم:

¹ لسان العرب: جمال الدّين محمّد مكرم بن منظور، دار صادر للطّباعة والنّشر 1388هـ. 1968م، مجلّد 12، ص 578.

² القاموس المحيط: محمّد بن يعقوب: الفيروز أبادي، بيروت، المؤسّسة العربيّة للطّباعة و النّشر، د.ط. 1952م، ج4، ص 282، 283.

³ التّراكيب النّحويّة و سياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني: صالح بلعيد، ديوان المطبوعات الجامعيّة، د.ط، 1994م، ص 38.

لقد عالج قدماء اليونان ظاهرة النّظم منهم أرسطو في: "فنّ الخطابة"
وعالجه الهنود في كتبهم، وأقدم إشارة إلى فكرة النّظم كانت عند ابن
المقفع.¹

ثمّ تحدّث عنها الجاحظ في بعض كتبه، و ابن قتيبة في "مشكل تأويل
القرآن" أو سليمان الخطابي (ت388هـ)، ثمّ القاضي عبد
الجبار (415هـ) و هو القائل:

" اعلم أنّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، و إنّما تظهر في الكلام
بالضمّ على طريقة مخصوصة، و لا بدّ مع الضمّ من أن يكون لكلّ
كلمة صفة، و قد يجوز في هذه الصّفة أن تكون بالمواضعة التي
تتناول الضمّ، و قد تكون بالإعراب الذي لم يدخل فيه، و قد تكون
بالموقع".²

فكرة النّظم عند المتكلمين وأصحاب الإعجاز:

تناول الرّماني (ت 386هـ) الحديث عن النّظم في إشارات تفسّر
وظيفة النّظم:

في كتابه النّكت في إعجاز القرآن: في باب وسمه ب: " التّلاؤم"،
فالنّظم عنده هو

" التّلاؤم". " التّلاؤم نقيض التّنافر، و التّلاؤم: تعديل الحروف في
التّأليف

و التّأليف على ثلاثة أوجه: متنافر، و متلائم في الطّبقة العليا هو
القرآن كلّهُ.³

¹ نظريّة النّظم: وليد محمّد مراد: ص57.

² المرجع نفسه: ص61.

³ النّكت في إعجاز القرآن: الرّماني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: تحقيق: محمّد
خلف الله و محمّد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1968م، ص88.

أمّا الخطابي (ت388ه): قال فيه: " اعلم أنّ القرآن إنّما صار مُعْجَزًا
لأنّه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التّأليف، مضمّنًا أصحّ
المعاني " 1.

يقول محمّد مندور في كتابه: " في الميزان الجديد " أنّ الجرجاني: "
استمدّ نظريّة النّظم من الجاحظ في خطوطها العريضة" 2.

ففي بداية القرن الخامس الهجري ظهرت فكرة النّظم عند الجرجاني،
و النّظم في تصوّره " فلا يمكن تصوّر النّظم إلّا من خلال علاقات
متشابكة بين أجزاء الكلام " 3.

إنّ النّحو بينّ لنا فائدة الكلام، و معناه مباشرة، و لكنّ النّظم لا
يتوقّف عند هذا المعنى، و إنّما يجعلنا نصل إلى معنى المعنى:
فالقضيّة ليست معرفة النّحو

و الصّرف و إنّ الأمر معرفة بمعاني العبارات و وضعها
مواضعها، و فائدة

هذه العبارة_ إذا جاءت على هذا السّياق، أو ذاك، و مدى ما
استطاعت أن تحقّقه من الدّلالات" 4.

فالنّظم عنده هو : " ليس سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، و جعل
بعضها بسبب من بعض. و الكلم ثلاث: اسم، و فعل، و حرف، و

1_ بيان المجاز القرآني: الخطابي: تحقيق د. محمّد خلف أحمد، و د. محمّد زغلول
سلام، ص123.

2_ في الميزان الجديد: محمّد مندور: نهضة مصر للطباعة والنّشر
والتّوزيع:يناير، 2004م، ص428.

3_ من أسرار التّركيب البلاغي: من أسرار التّركيب البلاغي، المكتبة
التّوفيقيّة، القاهرة، ط1977، 1م، ص7.

4_ قضايا النّقد الأدبي: محمّد زكي العشماوي: ، طبعة دار الكتاب العربي، د.ط
، ص313.

للتعلق فيما بينها طرق معلومة و هو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم ، و تعلق اسم بفعل، و تعلق حرف بهما¹.

و من هذا النظم الذي لا يتعلّق إلاّ بالكلم كان ظهوره فكرة الإعجاز التي لا تتجاوز أسرار النظم و يعودُ قصب السبق في التأكيد على هذا الاكتشاف إلى الجرجاني بصورته الواضحة و قد جاء الدارسون من بعده و ساروا على مذهب الجرجاني في كلّ زمن ، و لعلّ من الذين يعلنون تأثرهم في القصر مع التعليل لذلك الدكتوراه عائشة بنت الشاطي، حيث تأثرت منهج عبد القاهر الجرجاني في قضية الإعجاز بمنهج عبد القاهر الجرجاني في قضية الإعجاز، و أحاطت المسألة بنوع من التّحديد البياني و هي تتابع فكرة الإعجاز عند علماء العرب و قصدت تحليل طريقة عبد القاهر في فهمه للإعجاز، فهي ترى أنّ الجرجاني قد استبعد ستّة احتمالات فيما يتعلّق بالإعجاز، فهو لا يتعلّق بالكلمات من حيث هي حروف و لا في معاني كلمات القرآن أو المقاطع و الفواصل في جمل القرآن، و لا في خفة الحروف أو في الآيات التي فيها استعارة².

إنّما الإعجاز في نظم القرآن و تستدلّ بنت الشاطي بنصّ عبد القاهر في حصره للإعجاز بقولها إنّما الإعجاز في نظم القرآن بقول عبد القاهر " فإذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن في شيء ممّا عدناه، لم يبق إلاّ أن يكون في النظم... و لا يمكن أن تجعل الاستعارة الأصل في الإعجاز و أن يقصر عليها، لأنّ ذلك يؤدي إلى أن يكون الإعجاز في أي معدودة في مواضع من السور الطوال

1_ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني:ص5.

2_ الإعجاز البياني للقرآن: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، دار المعارف، ط3، 1391هـ، 1971م. ص100.

مخصوصة...و كُنَّا قد علمنا أن ليس النّظم شيئاً غير توخّي معاني النّحو و أحكامه فيما بين الكلم.¹

و قد تولّد هن هذا التّوجيه سرّ عظيم في تفسير القرآن الكريم، و لاسيما ما يسمّى بالتفسير البياني الدّارسين من المفسّرين للقرآن الكريم مناهج تحدّدت بتعريفاتها لدى علماء التّفسير ، و تعدّدت في طبيعة تناولتها للنّص في القرآن الكريم ، و تجاذبت في التّقارب حول معاني القرآن و مقاصده بسبب الاعتماد على المرتكز اللّغوي الّذي تصنعه اللّغة العربيّة الّتي نزل بها الوحي ، و بها تستجمع هذه المناهج وحدثها دون الخروج عن اللفظ كما ألفت اللسان العربي مُثَبَّتًا في مصادر اللّغة العربيّة و آدابها.

و رافدا من روافد الحضارة العربيّة الإسلاميّة، فاعتماد اللّغة العربيّة شرط أساس في منهج كلّ تفسير، و بهذا السّبب ذاته كان أقرب المناهج ظهورا و نشأة هو المنهج اللّغوي، وردفه المنهج الفقهي يحمل وظيفة استنباط الأحكام الشرعيّة و اختص في أصله بدراسة الأحكام . و المادّة الأصليّة في كلّ تفسير هي اللّغة، فمنها يستمد كلّ منهج أدواته، و لمّا كان المنهج البياني أحد المناهج يأخذ عدّته من اللّغة عينها

و يميل بها إلى استقصاء البلاغة و يبتغي مرادا في مقصدية إبراز القيم الجماليّة

و ذلك باستكناه الصّور البيانيّة الحاملة لدلالات معاني الجمال و الإعجاز.

و نظم القرآن لدى عبد القاهر الجرجاني هو سرّ إعجاز و لاشيء بعده و لا قبله. ويقف الجرجاني عند قضايا بلاغيّة بيانيّة و يحدّدها في المجاز و الاستعارة و التّشبيه.

¹ _المرجع السّابق: ص110.

و الكناية و يجعلها الدّعاء و الأركان في الإعجاز فيقول: " و لم يتعاط أحد من النّاس القول في الإعجاز إلّا ذكرها، و جعلها العمدة و الأركان فيما يوجب الفضل و المزية، و خصوصا الاستعارة و المجاز، فإنّك تراهم يجعلونها عنوان ما يذكرون. و أوّل ما يوردون"¹.

إذ بدأ العلماء من القرن الثّالث الهجري إلى القرن الخامس الهجري يتعرّضون لنواحي الإعجاز البلاغي في أسلوب القرآن الكريم، و لدراسات تتطوّر و تنتج للبلاغة الشّيء الكثير، فتداخلت و امتزجت و أصبحت دراسة أسلوب القرآن تعتمد على البلاغة. حيث كان البلاغيّون يعمدون إلى الشّاهد القرآني ليستعينوا به في توضيح الاصطلاحات و تفرّعت أبواب البلاغة بعد الرّماني و معاصريه فقد بلغت عند أبي هلال العسكري سبعة و ثلاثين نوعا... و أغرق المتأخرون من البلاغيّين في هذه الأسماء و الفروع².

ربط الجرجاني النّحو بالبلاغة:

يوضّح لنا جعفر دك الباب في كتابه: "الموجز في شرح دلائل الإعجاز" أنّ عناية عبد القاهر الجرجاني بفكرة النّظم تعتمد على النّحو أوّلا و معانيه ثمّ تذهب إلى المقاصد التي يريدها المتكلّم فيقول: "و الواقع أنّ عبد القاهر الجرجاني يتطرّق إلى مشكلة نحويّة لا يبحث فيها بحدّ ذاتها، ولكنّه يتّخذها منطلقا إلى ما هو أعمق للوصول إلى دلالتها و دورها في تأدية النّظم المنوط بالرسالة التي يستقبلها المتلقّي، وليس بهدف أن يعلمنا الرّفعة و النّصب و الجزم فهذا مفروغ منه. إنّما ينبّهنا إلى معادن المعاني و تقرير حال

¹ المرجع السّابق: ص 329.

² ينظر: الرّماني و الخطابي و عبد القاهر الجرجاني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: تحقيق محمّد خلف الله أحمد و محمّد زغلول سلام، دار المعارف، ط3، مصر، دبت، ص 163.

الأوضاع، والمبادئ، وكيف تسري الأحكام في كلّ الأنحاء، وبيان ارتباط البلاغة بغرض المتكلم الذي يقصد إليه من كلامه والمعاني التي أراد إثباتها أو نفيها".¹ غير أنّ الأستاذ جعفر دك الباب لا يأتي بالأمثلة والنصوص الكثيرة التي سار عليها عبد القاهر الجرجاني في منهجه الشمولي لنظريّة النظم في عمليّة تحقيق الرّبط بين النّحو والبلاغة وفاته كثير من المقامات التي جاءت بها النّصوص الشّاهدة على ذلك، ومن هذه النّصوص التي يقف فيها عبد القاهر الجرجاني في تحليل الشّعري عن طريق ربط النّحو بالبلاغة أو النّحو بالنّظم. فاعتماده على هذا المنهج في عمليّة هذا الرّبط بين الطرفين أي النّحو والنّظم يحقّق في مذهب عبد القاهر رؤية نقدية جديدة تضاف إلى ما بذله نقاد العرب قبله من اهتمامات اتّصلت بالمنهج اللّغوي والمنهج البلاغي في دراسة الشّعري العربي. يُجري عبد القاهر الجرجاني دراسة في هذا المضمون في تحليله لبيت شعري للحطيئة فيقول:

دع المكارم لا ترحل لبغيتهما و اقعدي فإنيك أنت الطّاعم

الكاسي

ذرّ المفاخر لا تذهب لمطلبها واجلس فإنيك أنت الآكل
اللابس

وما كان هذا سبيله، كان بمعزل من أن يكون به اعتداد وأن يدخل في قبيل ما يفاضل فيه بين عبارتين بل لا يصح أن يجعل ذلك عبارة ثانية ولا أن يجعل الذي يتعاطاه بمحل من يوصف بأنه أخذ معنى . ذلك لأنه لا يكون بذلك صانعا شيئا يستحق أن يدعى من أجله واضع كلام، ومستأنف عبارة وقائل شعر . ذاك لأن بيت حطيئة لم يكن كلاما وشعرا من أجل معاني الألفاظ المفردة التي تراها فيه

¹ _ الموجز في شرح دلائل الإعجاز: جعفر دك الباب: مطبعة الأهالي: دمشق 1980م، ص35.

مجردة معرفة من معاني النظم والتأليف، بل منها متوخى فيها ما ترى من كون المكارم " مفعولا " ل " دع " وكون قوله : " لا ترحل لبغيتها " جملة أكدت الجملة قبلها وكون " اعد " معطوفا بالواو على مجموع ما مضى، وكون جملة " أنت الطاعم الكاسي " معطوفة بالفاء على " اعد " . فالذي يجيء فلا يغير شيئا من هذا الذي به كان كلاما وشعرا، لا يكون قد أتى بكلام ثان وعبارة ثانية، بل لا يكون قد قال من عند نفسه شيئا البتة"¹.

فهذا التحليل الذي يستعين بالنحو والقاعدة النحوية الإعرابية من حيث تحديد المفعول به، (المكارم) و جملة التوكيد، والمعطوف، والمعطوف عليه وعطف الجملة على الجملة بالرابط وهو حرف الفاء.

ويستجمع عبد القاهر كل المعاني في عملية الربط بين النحو والبلاغة في عملية النظم ويعطيها تمثيلا ماديا في ضرب الأمثلة في عملية النظم كالصورة الحقيقية التي تصنع من الفضة أو الذهب وهي عملية توخي معاني النحو فيقول:

" و جملة الأمر أنه كما لا تكون الفضة أو الذهب خاتما أو سوارا أو غيرها من أصناف الحلي بأنفسهما، ولكن بما يحدث فيهما من الصورة .

كذلك لا تكون الكلم المفردة التي هي أسماء وأفعال وحروف كلاما وشعرا من غير أن يحدث فيها النظم الذي حقيقته توخي معاني النحو وأحكامه.

فإذن ليس لمن يتصدى لما ذكرنا من أن يعمد إلى بيت فيضع مكان كل لفظة منها لفظة في معناها، إلا أن يترك عقله ويستخف"².

مبدأ التلاقي بين النحو والبلاغة:

¹ _ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني:ص372،373.

² _ المصدر السابق:ص373.

يوجّه عبد القاهر نقدا مباشرا وانتقادا لاذعا للذي يزهدون في النحو ، ويصفهم بالجهلة والسّفهاء ويشبّههم بالخارجين عن الدّين كمن يَصُدُّ عن كتاب الله ومعرفة معانيه، ويعلّل ذلك بقوله: " ذاك لأنهم لا يجدون بداً من أن يعترفوا بالحاجة إليه فيه؛ إذ كان قد علم أنّ الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبيّن نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه، لا ينكر ذلك إلا من ينكر حسّه، وإلا من غالط في الحقائق نفسه، وإذا كان الأمر كذلك، فليت شعري ما عذر من تهاون به وزهد فيه، ولم ير أن يستقيه من مصبّه، ويأخذه من معدنه"¹.

فهذه المعاني التي تحمله الألفاظ لا تدرك إلا بمعرفة بالبلاغة وقضاياها من بيان وكناية واستعارة وكيف ترتبط علاقة هذه القضايا إلا بمعاني النحو من تقديم وتأخير وفاعليه ومفعولية وحال وتمييز إلى غير ذلك من مبادئ والتّلاقي بين النحو والبلاغة.

ـ الألفاظ بين النّظم والتّضام:

يرى عبد القاهر الجرجاني أنّ معيار التّعليق للكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها من بعض حتّى يتمّ المعنى في علاقات الألفاظ ، وضمّها إلى بعضها لتصنع تركيباً كلياً وهذه العمليّة صورة ممّا يصنعه النّظم وهو يحمل ما يسمّى بالتّضام ، وهو ضمّ الشّيء إلى بعضه، وقد تناول المسألة قبل عبد القاهر الجرجاني الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن حينما يقول: " ومعنى رابع و هو أنّ كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بيننا في الفصل والوصل، والعلو والنزول، والتّقريب والتّبعيد، وغير ذلك ممّا ينقسم إليه الخطاب عند النّظم، ويتصرّف فيه القول عند الجمع والضمّ"².

¹ _ المصدر نفسه: ص24.23.

² _ إعجاز القرآن: الباقلاني: ص38.

وتوسّعت الرّؤية حول النّظام في الدّراسات العربيّة الحديثة ذلك
ماتناوله الدّكتور تمام حسّان في نصّه: " يمكن فهم التّضام من
وجهين نلخصهما فيما يأتي : الوجه الأوّل أنّ التّضام اصطلاح "
التّوارد " وهو بهذا المعنى أقرب إلى اهتمام دراسة الأساليب
التركيبية البلاغية الجمالية منه إلى دراسة العلاقات النّحويّة والقرائن
اللفظيّة، ومن ثمّ نتخطّاه ونتركه لمن شاء أن يوغل فيه"¹.
يحدّد عبد القاهر فكرة نظم الألفاظ بهذا النّص قائلاً: " اعلم أنّك كلّما
نظرت وجدت أنّ سبب الفساد واحد، و هو ظنّهم الدّي ظنوه في
اللفظ و جعلهم الأوصاف التي تجري عليه كلّها أوصاف له، في نفسه
من حيث هو لفظ وتركهم أن يميز بين ما كان وصفا له في نفسه
وبين ما كان وصفا له في نفسه وبين ما كان قد أكسبوه إياه عرض
في معناه"².

إنّما يذهب إليه عبد القاهر في موقفه من نظم الألفاظ لا يقصد به
اللفظة المفردة وإنّما ينظر للألفاظ كوحدات ضروريّة في البناء العامّ
في صناعة النّصّ ومعانيه، فهو يضطر إلى ذكر الألفاظ ، لا من
جهة ، مناصرة اللفظ وحده، وإنّما من جهة أنّ المعنى تكوّنه هذه
الألفاظ مجتمعة مع بعضها بعضاً. فلا مفاضلة عنده ولا مزية للّفظ
إلا داخل السّياق. ويتعدّد عنده هذا الطّرح في كلّ موقف بلاغيّ أو
دلالي ، ومنه قوله: " وهل يقع في وهم وإن جهد، أن تتفاضل
الكلمتان المفردتان، من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من
التأليف والنظم، بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك
غريبة وحشية، أو أن تكون حروف هذه أخفّ وامتزاجها أحسن
و مما يكدّ اللسان أبعد؟.

وهل تجد أحدا يقول: هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من

¹ تمام حسّان: اللّغة العربيّة معناها ومبناها: القاهرة عالم الكتب، ط4، 1425هـ،
2004م. ص216.217.

² دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: ص36.

النظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها"¹.

_النظم ومعاني النحو:

اعتمد الجرجاني في دراسته لمسألة النحو على أنّ الكلام لا يستقيم إلا إذا استقام على حدود النحو، ويراعي فيه ضوابطه. "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو و تعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهَجَّت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك فلا تُخِلَّ بشيءٍ منها."² فجانب التنظير علمي و واضح في فكر عبد القاهر الجرجاني من أنّ علم النحو ضرورة لازمة للمتكلّم لكون النحو ضابطاً يهدي إلى سلامة استقامة الكلام، فهو في نظره القالب الذي يوضع فيه الكلام والميزان الذي تقاس به قيمة معاني هذا الكلام التي تنتظم في ألفاظ وتراكيب، وهذا التنظيم هو النظم بعينه. وبذلك يكون الجرجاني قد سما بالنحو، وأبعده عن فكرة التعقيد من جفاف القاعدة، وجمودها إلى حيوية النظم، ومرونته.

_أركان التلاحم في أجزاء النظم:

إنّ النظم هو القاعدة الرئيسيّة الذي تميّزت به البلاغة العربيّة في بناء الكلام.

البناء:

يجعل عبد القاهر الجرجاني مصطلح البناء عنصراً ظاهراً وضرورياً في قيام النظم، بل إنّ اللغة عنده نظام وبناء، والألفاظ هي أدوات هذا البناء ووسائله، وبه يتم ترتيب الكلام وتنظيمه داخل النص، فإذا أختلّ هذا البناء اختلت صفته القائمة عليه، وأصل البناء يحدّد النحو في صناعة الجملة في اللغة العربية التي يراد بها بناء

¹ _المصدر السابق: ص36.

² _المصدر نفسه: ص64.

كلام ذي معنى ، فالبناء مثلا إذا ذكر الفاعل في هذه الجملة لابد له من فاعل يتبعه، وإذا ذكر اسم بدئ به وهو المبتدأ لابد له من خبر يتبعه في هذا البناء.

فكلما توسع البناء في الكلام توسعت معه المعاني، ولذلك يقولون الزيادة في المبنى هي زيادة المعنى، وهذا الأمر يعالجه عبد القاهر حول البناء فيقول: فيقول:

"وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كلّ باب وفروقه فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق وزيد ينطلق، وينطلق زيد ومنطلق زيد وزيد المنطلق والمنطلق زيد وزيد هو المنطلق وزيد هو منطلق."¹

الترتيب:

إنّ مصطلح الترتيب يشترك مع البناء في أداء الوظيفة في صناعة الكلام لأجل إعطاء المعاني فكما يتعلق البناء ببناء الألفاظ كذلك يقوم الترتيب في ترتيب هذه الألفاظ وتنظيمها داخل السياق بالترتيب في الأصل هو مراعاة علاقة الألفاظ بعضها ببعض كما يقتضي ذلك النحو والفعل في الجملة يسبق الفاعل في الأصل والخبر يتبع المبتدأ والمضاف يسبق بالضرورة المضاف إليه ، وكلّ هذه العملية في نظر عبد القاهر تمرّ بذهن المتكلم مرتبة قبل أن ترسم على اللسان في النطق بها.

التأليف:

يهتم عبد القاهر بمصطلح التأليف كثيرا ويكثر من استعمالاته له، ويجعله أساس نظريته و يُسوِّي بينه وبين التعليق أحيانا. وقد سبق التركيز على فكرة التعليق من ذلك قوله: "ومعلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من

¹ _ المصدر السابق: ص64.

بعض....."1 وأما تناوله للتأليف فيفصل فيه القول بمثل هذه النصوص " والألفاظ لا تُفيد حتى تُؤلف ضرباً خاصاً من التأليف، ويُعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب، فلو أنك عمدت إلى بيت شعرٍ أو فصلٍ نثرٍ فعددت كلماته عدّاً كيف جاء وانفق، وأبطلت نضده ونظامه الذي عليه بني، وفيه أفرغ المعنى وأجري، وغيّرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد، وبسّقه المخصوص أبان المراد نحو أن تقول في: " من الطويل قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل " منزل قفا ذكرى من نبك حبيب، أخرجته من كمال البيان، إلى مجال الهديان، نعم وأسقطت نسبته من صاحبه، وقطعت الرّحم بينه وبين منشئه، بل أحلت أن يكون له إضافة إلى قائل، ونسب يخصّ بمتكلم، وفي ثبوت هذا الأصل ما تعلم به أن المعنى الذي له كان هذه الكلم بيت شعرٍ أو فصلٍ خطابٍ، هو ترتيبها على طريقة معلومة وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة، وهذا الحكم - أعني الاختصاص في الترتيب - يقع في الألفاظ مرتباً على المعاني المرتبة في النفس، المنتظمة فيها على قضية العقل، ولا يتصور في الألفاظ وجوب تقديم وتأخير، وتخصّص في ترتيب وتنزيل، وعلى ذلك وُضعت المراتبُ والمنازلُ في الجمل المركبة وأقسام الكلام المدونة"2.

إنّه من الأهميّة بمكان، أن نجد عبد القاهر الجرجاني يسير بفكرة التداخل بين البلاغة والنحو، ويفرد كلاماً خاصاً في نهاية كتابه أسرار البلاغة وكأنّه خلاصة النتائج في بحثه ويزداد هذا الحكم قوّة وصواباً حين يرى القارئ أنّ هذه الرؤية حول التداخل بين البلاغة والنحو جاءت في آخر صفحات أسرار البلاغة وهو يتناول بالحديث

1_ المصدر نفسه: ص، ف.

2_ المصدر السابق: ص 2، 3.

قضية المجاز بقوله: " وعلى الجملة فإنه لا يعقل من المجاز أن تسلب الكلمة دلالتها ثم لا تعطىها دلالة أخرى وأن تخليها من أن يراد بها شيء على وجه من الوجوه ووصف اللفظ بالزيادة يفيد أن يراد بها معنى وأن يجعل كأن لم يكن لها دلالة قطّ.

فإن قلت: أو ليس يقال إن الكلمة لا تعرى من فائدة ما ولا تصير لغوا على الإطلاق حتى قالوا إن نحو (ما) في نحو " فيما رحمة من الله " تفيد التوكيد؟ فأنا أقول: إن كون (ما) تأكيدا نقل لها عن أصلها ومجاز فيها. وكذلك أقول إن كون الباء المزيدة في " ليس زيد بخارج " لتأكيد النفي مجاز في الكلمة لأن أصلها أن تكون للالتصاق- فإن ذلك على بعده لا يقدح فيما أدت تصحيحه لأنه لا يتصور أن تصف الكلمة من حيث جعلت زائدة بأنها مجاز ومتى ادعينا لها شئنا من المعنى فإننا نجعلها من تلك الجهة غير مزيدة، ولذلك يقول الشيخ أبو عليّ في الكلمة إذا كانت تزول عن أصلها من وجه ولا تزول من آخر " معتد بها من وجه غير معتد بها من وجه"¹.

ثم يخوض في تفسير هذا الطرح بقوله:

"وإذا ثبت أنّ وصف الكلمة بالزيادة نقيض وصفها بالإفادة علمت أنّ الزيادة من حيث هي زيادة لا توجب الوصف بالمجاز. فإن قلت: تكون سببا لنقل الكلمة عن معنى هو أصل فيها إلى معنى ليس بأصل-كدت تقول قولا يجوز الإصغاء إليه وذلك إن صحّ، نظير ما قدّمت من أنّ الحذف أو الزيادة قد تكون سببا لحدوث حكم في الكلمة تدخل من أجله في المجاز كنصب القرية في الآية وجر المثل في الأخرى فاعرفه"².

1- المصدر السابق:ص365.

2- المصدر نفسه:ص6.

إنَّ النَّظْمَ لا يتوقَّف في منظور عبد القاهر الجرجاني عند النَّحو فقط أو عند البلاغة وحدها وإنما هو الَّذي يحقِّق استقامة الكلام وليست المعرفة بقضايا الإعراب والنَّحو والصَّرْف هي التي تجعل الكلام مستقيماً إذا لم تجتمع هذه العناصر كلّها مع بعضها في صناعة هذا الكلام. وقد ذهب النُّقاد المعاصرون إلى مثل هذا القول فإنَّ بعضهم يرى: "ليست معرفة النَّحو والصَّرْف، وإنما الأمر معرفة بمعاني العبارات ووضعها مواضعها، وفائدة هذه العبارة _ إذا جاءت على هذا السِّياق، أو ذاك، ومدى ما استطاعت أن تحقِّقه من الدِّلالات"¹.

فالنَّحو يحافظ على سلامة الكلام من جهة الإعراب وذلك بتحديد الفاعل في موضعه والمفعول به في موضعه ويأخذ كلّ منهما حركاته الإعرابيَّة وهي الرَّفْع الأوَّل والنَّصْب للثَّاني، فهذه هي وظيفة النَّحو من جهة الإعراب، أمَّا وظيفة معاني النَّحو فهي التي تتَّسع لدى عبد القاهر الجرجاني فيدرسها في موضوع النَّظْم فهو عندنا يقف على المنظور الإعجازي في القرآن الكريم ويتأمَّل آية قرآنية من جهة توحيِّ معاني النَّحو يستعين بعلم النَّحو وبحث في سرِّ الإعراب من جانب بلاغي دلالي في الآية الكريمة:



فهو لم ينظر للوظيفة الإعرابيَّة بمعزل عن أسرار النَّظْم في الأسلوب القرآني كما يظنُّ النَّحوي في رؤيته للفعل والفاعل والمضاف إليه. أمَّا الفعل فهو: ربحت والفاعل التجارة والمضاف إليه. أمَّا الفعل فهو: ربحت والفاعل التَّجارة والمضاف إليه هو

¹ _ محمد زكي العشماوي: قضايا النُّقد الأدبي بين القديم والحديث، دار الشُّروق، القاهرة، ط1 1994م. ص313.

² _ سورة البقرة: الآية 16.

تعليق الرّبح والخسارة تعبيراً عن المعنى النّفسي الذي أقرّه استغلال المعاني النّحويّة..¹

فعبد القاهر حين تناول قضية تتعلّق بالقرآن لا يقصد بها تفسير آياته واستنباط أحكامه وإنّما تدرسها في مجال علم النّحو وعلم المعاني وهو يتّخذ من المفسّرين موقفاً مخالفاً لمذهب المفسّرين في طريقتهم في فهم النّصّ من القرآن فهو يصرّح بهذا الانتقاد فيقول: " ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم، أن يوهّموا أبداً في الألفاظ الموضوعّة على المجاز والتمثيل، أنها على ظواهرها، فيفسدوا المعنى بذلك، ويبطلوا الغرض، ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة، وبمكان الشّرف. وناهيك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه، وجعلوا يكثرّون في غير طائل، هناك ترى ما شئت من باب جهل قد فتحوه، وزند ضلالة قد قدحوا به، ونسأل الله تعالى العصمة والتوفيق " ².

¹ دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتّراث: أحمد درويش: دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع: د.ت، ص 105.

² دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: ص 236.

الفصل الخامس: مضامين أسرار البلاغة

توزعت جهود الجرجاني العلميّة في أسرار البلاغة في دراسة موضوعات بلاغيّة تناولها في خمسة عشر فصلاً، بدأها بمبحث في قسمة التجنيس وتنويعه. الاستعارة والتّطبيق ووصل بها إلى آخر موضوع طرحه في الحذف والزيادة وهل هما من المجاز أم لا. واللافت للانتباه أنّ دراسته لهذه المضامين فيها من التّكرار الذي كان يضطرّ إلى إعادة دراسته من جديد أو يواصل فيه البحث في إثارة مسألة كليّة أو جزئيّة لم يكن قد عالجها في الموضوع السّابق ذاته

وخاصة ما تعلق بعنصر الاستعارة أو المجاز بحيث يجعلهما المحورين اللذين يحملان أسرار النظم ودلالات إعجازه. والملاحظة المحورية حول مضامين الكتابين أنّ عبد القاهر نراه في أسرار البلاغة ينجز ما جاء به السابقون من الدارسين في إعادة طرح موضوعات تتعلق بقضايا بلاغية فيثيرها من جديد إما عن طريق الإتيان والموافقة والإضافة وإما عن طريق المخالفة والنقد والتعقيب على ما جاء في الموضوع ومن ذلك ما قام به من نقد وتوجيه اللذين كانوا من مناصرين لقضية اللفظ وحده أو المؤيدين لقضية المعنى وحده متعلقا بقضية نحوية محضة إلا ما جاء اعتراضا في تحليل بلاغي كما فعل في نهاية الكتاب.

بينما يحتوي كتاب دلائل الإعجاز على موضوعات ما رجعت بين الدرس البلاغي والدرس النحوي في كثير من المسائل ومنها: قضية التقديم والتأخير، التعريف والتكرار، تقديم المفعول به عن الفاعل، وتضمن الكتاب سبعة وثلاثين فصلا.

فالمتمصفح لكتاب أسرار البلاغة يستوقفه غرض عبد القاهر في التأليف للكتاب بسبب ما يوضحه صاحبه نفسه في مقصده ، و أنه يريد دراسة المعنى معتمدا " على التفسير النقدي لقضاياه وفي إثارة المسائل الفنية التي تتصل اتصالا وثيقا بعلوم البلاغة، وهو يميل أحيانا إلى اتخاذ المسلك الفني منطلقا في عملية التوزيع لفنون البلاغة على الجوانب الانطباعية المعتمدة على الذوق البلاغي في استظهار جماليات المعاني وبيانها، يقول عبد القاهر: " واعلم أن غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته

و الأساس الذي وضعته أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني، كيف تتفق وتختلف، ومن أين تجتمع و تفرق، و أفصل أجناسها و أنواعها، و أتتبع خاصتها و مشاعها، و أبين أحوالها في كرم منصبها من العقل، و تمكّنها في نصابه و قرب رحمها منه، أو بعدها حين تنسب عنه...¹

¹ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني:ص19.

ولعلّه من التّوهم أن يحدّد السّكاكي في القديم ويوافقه الأستاذ رشيد رضا في العهد الحديث بإضافة تسمية "علم البيان" إلى كتاب أسرار البلاغة وهي إضافة تكاد تغيّر وتقدح في مقصد عبد القاهر الصّريح.

التجنيس:

يعدّ الجناس من الفنون البلاغيّة التي اشتهرت قديماً ، إذ له تأثير كبير في إثراء الدّرس البلاغي ، فقد اهتم به عبد القاهر الجرجاني به وأعطاه أهميّة بالغة في كتابه أسرار البلاغة ، سنحاول أن نعطي لمحة موجزة عنه بتعريفه، وذكر أنواعه.

الجناس في اللغة: "جانس الشيء مجانسة، وجناساً: شاكله واتّحد معه في الجنس"¹. ويقال له التجنيس². والتجانس³. والمجانسة⁴. وهو أوّل المحسنات اللفظية، و يعرفه علماء البلاغة بالتّجانس، أو التّجنيس⁵، أو المجانسة وسمي جناساً أيضاً لمجيء حروف ألفاظه من جنس واحد، ومادة واحدة.

¹ علم البديع: المراغي محمود أحمد حسين: ط2 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت، 1999م ص107.

² المرجع نفسه: ص109.

³ البلاغة فنونها وأفنانها: عباس فضل حسن ، ط6، دار الفرقان، أربو جامعة اليرموك 1424هـ - 2004م. ص299.

⁴ البلاغة (علم البديع): السعدي ، دار العصماء، دمشق، ط6، 1428هـ، 2007م، ص67.

⁵-ينظر: الطراز المتضمن أسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي العلوي اليمني تحقيق: عبد الحميد الهنداوي المكتبة العصرية - بيروت، لبنان ج2/355، وج3/351.

أمّا اصطلاحاً: فيعرّفه ابن المعتز المجانسة « هي ما تكون الكلمة تجانس أخري في تأليف حروفها ومعناها وما يشتق منها»¹

أمّا قدامة ابن جعفر: " هو أن تكون في الشعر معان متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة "2.

وقال عنه أبو هلال العسكري: " أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كلّ واحدة منهما صاحبتهما في تأليف حروفها على حسب ما ألف الأصمعي في كتاب الأجناس " 3

و السّكاكي بقوله: « تشابه الكلمتين في اللفظ»⁴، وعرفه كثير من العلماء حاولنا الاختصار قدر المستطاع. وهو أنواع: تام ، ناقص ، محرف ، لاحق ، مضارع مقلوب ، اشتقاق...الخ.

والجناس نوعان: لفظي ومعنوي:
فاللفظي ينقسم إلى نوعين: تام وغير تام.

¹ _البديع: ابن المعتز، عبدالله. تحقيق كراتشوفسكي، لندن: مطبوعات جب التذكارية، 1935م، ص25 والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ابن الأثير، ضياء الدين، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة.الرياض: دار الرفاعي، ط1983، ج2، ص1/241.

² _نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق : محمد عيسى منون، ط1، 1352هـ/1934م، ص96.97.

³ _كتاب الصناعتين : أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء العلوم العربية، الناشر: عيسى البابي الحلبي، - 1371 ط1952، ص1، ص308.

⁴ _مفتاح العلوم:السكاكي، أبو يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت: ط1. 1983م، ص429.

"فتح/حتف".

4. جناس الاشتقاق:

هو ما اشترك فيه اللفظان في الجذر الثلاثي من الفعل إلى اسم الفاعل نحو قوله تعالى:

عابد / ...أعبد¹

ونحو قوله عزّ وجلّ: تتقلب² /

ونحو قوله تعالى:

تزرر/ وازرة³

إنّ التّجنيس عند عبد القاهر الجرجاني يأخذ تفسيراً خاصّاً فهو لا يكتفي بذكر تأثير في النطق والإيقاع وإنما يذهب به إلى التأثير العقلي في استلهاام المعنى فيقول:

¹ سورة الكافرون: الآية 2، 3.

² سورة النور: الآية 37.

³ سورة الأنعام: الآية 164

"فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان وقع معنيهما من العقل موقعا حميدا، ولم يكن مزمى الجامع بينهما مزمى بعيدا، أترك استضعفت تجنيس أبي تمام في قوله :

ذَهَبَتْ بِمُذْهَبِهِ السَّمَاحَةُ فَالْتَوَتْ فِيهِ الظُّنُونُ: أَمْذَهَبُ أَمْ مُذْهَبُ
واستحسنَت تجنيس القائل: "حتى نَجَا من خَوْفِهِ وَمَا نَجَا"¹

فنجأ الأولى بمعنى أحدث، والثانية بمعنى خلص². نميز الاختلاف في المعنيين مذكور في لفظ واحد، فهنا يتبين سرّ جماله وبلاغته. وتشبيه ذلك ذكره في كتاب دلائل الإعجاز فيقول:

ولهذه النكته كان التّجنيس وخصوصا المستوفى منه مثل "نجا ونجا" من حلى الشعر.³

وقول المحدث :

ناظِراه فيما جَنَى ناظِراه أودَعاني أُمْتُ بما أودَعاني

فالأولى بمعنى المناظرة المجادلة والثانية بمعنى عيناه.

الاستعارة:

إنّ الصّور الاستعاريّة تحقّق كثيرا من الأغراض التي يريدّها المتكلّم سواء أ كان شاعرا أم كاتباً أو خطيباً في صناعة الكلام، فيها يتوصّل إلى تزيين اللفظ وتحسين النّظم والنثر، ومن ثمّ يكون التّأثير في نفس المتلقّي وإثارة الانفعال المناسب عنده، وتلك هي غاية الأدب ومهمّته، فمن أغراضها التي تحقّقها: شرح المعنى وتأكيد إبانته، والمبالغة فيه، وهذا ما وضّحه عبد القاهر الجرجاني ووقف عليه

¹ عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة: ص4.

² المصدر نفسه : ص4.

³ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: ص403.

في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، سنحاول التّطرق إلى تعريفها وذكر أنواعها.

فالاستعارة لغة: هي دفع الشّيء وتحويله من مكان إلى مكان آخر، يقال: " استعار فلان سهما من كنانته: رفعه وحوّله منها إلى يده"¹. فهي تعدّ ضربا من المجاز، وقد اختلف العلماء في تعريفها. فكان الجاحظ سبّاقا إلى تناول الاستعارة وهو أوّل العلماء في تعريفها فأوّل من عرّفها: الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"².

و أمّا قدامة بن جعفر فعرّف الاستعارة وربطها بالمجاز فقال: "هي استعارة بعض الألفاظ في موضع بعض على التّوسّع و المجاز"³.

وجاءت عند الرّماني فعرّفها: "الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللّغة، ومثل لها بقول الحجاج: "إنّي أرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها"⁴. بالفعل أينع والقطاف لا يكونان إلاّ للثّمار أو ماشابه ذلك من الفواكه والخضر.

أمّا الأمدى فعرّفها: "هي استعارة المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه أو يدانيه ويشبهه في بعض أحواله أو كان سببا من أسبابه"⁵.

و أبو هلال العسكري فعرّفها: "الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللّغة إلى غيره بغرض"⁶.

¹ _ ينظر: في البلاغة العربية: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت، ص361.

² _ البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط5، 1985م

ج 1، ص153.

³ _ علم البيان : عبد العزيز عتيق: ص169.

⁴ _ المرجع السابق: ص173.

⁵ _ المرجع نفسه: ص174.

⁶ _ المرجع نفسه: ص174.

و أمّا السّكّاي وإن كان قد جاء بعد زمن الجرجاني: "الاستعارة أن تذكر أحد طرفي التّشبيه وتريد به الطّرف الآخر مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به دالًّا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخصّ المشبه به¹.

وعرّفها الخطيب القزويني: "الاستعارة مجاز علاقته تشبيهه معناه بما وضع به، وكثيرا ما تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به في المشبه فيسمّى المشبه به مستعارا منه. و المشبه مستعارا له. و اللفظ مستعارا"².

ففي مجال تقسيمها وذكر أنواعها نجد البلاغيين خاصّة المتأخرين كالسّكّاي يقدّمون أقساما لها باعتبارات مختلفة فهم يقسّمونها باعتبار الطّرفين، وباعتبار الجامع وباعتبار الطّرفين والجامع، وباعتبار اللفظ. فهم يقسّمون الاستعارة من حيث ذكر أحد طرفيها إلى:

1. استعارة تصرّحية: وهي ما صرح فيه بالمشبه به دون المشبه مثل قوله تعالى:

﴿فَمَثَلُ الْفَخْرِ وَالْمُرْتَدِّينَ كَمَثَلِ الْفَخْرِ وَالْمُرْتَدِّينَ﴾³

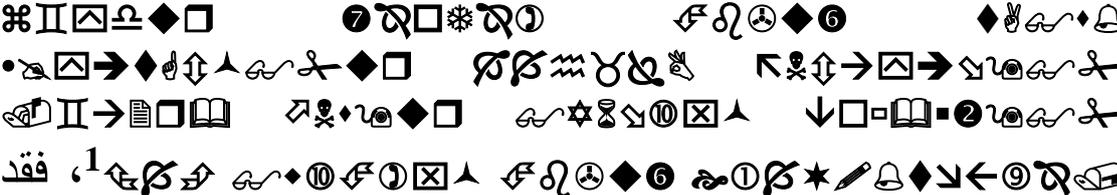
{الظلمات والنور} نلاحظ في كلتا اللفظتين استعارة للكفر والإيمان، لأنّ الكفر يدخل متبعه في حيرة لذا شبّهه بالظلمات، أمّا الإيمان فهو كالنور، هذا ما يوحي للمتلقّي بكيفية خروج الكافر من الظلمات إلى النور.

¹ المرجع نفسه: ص173.

² المرجع نفسه: ص175.

³ سورة إبراهيم: الآية: 1.

2. استعارة مكنية: هي أن يحذف المشبه به، ويرمز إليه بشيء من لوازمه. كقوله تعالى:



شبه انتشار الشيب في الشعر باشتعال النار فيما حولها بجامع سرعة الانبساط مع تعذر تلاقيه في الكل وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو "اشتعل".

3. استعارة تمثيلية: هي التي يصرح فيها بذكر المشبه به على أن يكون صورة مركبة من أشياء والاستعارة التمثيلية قريبة من التشبيه التمثيلي غير أن المشبه فيها محذوف مع أداة التشبيه. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "إياكم وخضراء الدمن"²

موضحاً أن المعنى المقصود من الحديث هو المرأة الحسناء في المنبت السيئ، لكن الحديث الشريف جاء بغير اللفظ الموضوع لها تمثيلاً³

والجرجاني قال عنها: "الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدلّ على أنه اختصّ به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية⁴.

¹ سورة مريم: الآية 4.

² مسند شهاب: القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي. ط2. بيروت: مؤسسة (4) الرسالة. سنة 1986م. رقم الحديث 623. ورد في السلسلة الضعيفة للألباني. ج2. ورقمه 14. وهو ضعيف جداً.

³ كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري: ص 355.

⁴ المرجع نفسه ص 173.

أما الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني: فهي ضرب من المهارة الفنية في قوله: "فهي ضربٌ من التشبيه، ونَمَطٌ من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتُدركه العقول، وتُسْتَفْتَى فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان"¹.

الطباق:

هو من المحسنات البديعية ، فهو يعطي اللّغة جمالا وأهميّة بالغة في المعنى.

الطباق في اللّغة: الجمع بين معنيين متضادين، أو هو الجمع بين الشّيء وضدّه مثل الجمع بين البياض والسّواد ،والليل والنّهار،والحر والبرد.²

وقال عنها: صاحب البلاغة الواضحة " أنّ الطباق هو الجمع بين الشّيء وضدّه في الكلام"³.

ذكره أبو هلال العسكري:"قد أجمع الناس على أنّ المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشّيء في جزء من أجزاء الرّسالة أو الخطبة أو بيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين السّواد والبياض والليل والنّهار والحر والبرد"⁴

1_ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني ص15 ،وينظر ص 33 فإنه يشرح وظائف الاستعارة.

2_ ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب: الحموي، أبو بكر علي بن حجة، ط1، القاهرة: مطبعة بولاق. 1273هـ.ط1، ص69.

3_ ينظر: البلاغة الواضحة: علي جارمي ومصطفى أمين: ط1،(جاكرتا: روضة فريسا:1427هـ،2007م)ص299.

4_ الصناعتين: أبو هلال العسكري:ص316 ، ينظر : البديع ابن المعتز ص36.

* حديث قدسي.

عدّه عبد القاهر الجرجاني من البيت الفاسد للنّظم الذي يؤدي إلى
غموض المعنى.

فانظر أتتصوّر أن يكون ذلك للفظه من حيث إنك أنكرت شيئاً، من
حروفه، أو صادفت وحشياً غريباً، أو سوقيّاً ضعيفاً؟ أم ليس إلاّ لأنه
لم يُرتّب الألفاظ في الذكر، على موجب ترتيب المعاني في الفكر،
فكدر، وكدر، ومنع السامع أن يفهم الغرض إلاّ بأن يُقدّم ويؤخّر، ثم
أسرف في إبطال النّظام، وإبعاد المرّام، وصار كمن رمى بأجزاء
تتألف منها صورة، ولكن بعد أن يُراجِع فيها باباً من الهندسة، لفرط
ما عادى بين أشكالها، وشدة ما خالف بين أوضاعها"¹

"وإذا وجدت ذلك أمراً بيّناً لا يُعارضك فيه شكُّ، ولا يملكك معه
امتراءً، فانظر إلى الأشعار التي أثنوا عليها من جهة الألفاظ،
ووصفوها بالسلامة، ونسبوها إلى الدّماتة، وقالوا: كأنها الماءُ
جرّياناً، والهواءُ لطفاً، والرياضُ حُسنًا، وكأنها النّسيم. وكأنها الرّحيقُ
مزاجها التّسليم، وكأنها الديباج الخسروانيّ في مرّامي الأبصار،
ووشّي اليمّن منشوراً على أذرع التّجار كقوله:
ولمّا قضينا من منى كلّ حاجةٍ ... ومسّح بالأركان من هو ماسحُ
وشدّت على دُهم المهاري رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائحُ
أخذنا بأطراف الأحاديث بيّنا وسألّت بأعناق المطيِّ
الأباطح"²

نميّز سرّ جمال الألفاظ في النّظم، في اللفظ والمعنى معا في تلاحم
أحدهما بالآخر.

- تنويع الاستعارة:

جعل الجرجاني الاستعارة في قسمين:

¹ _ عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة: ص15.

² _ المصدر السابق: ص16.

استعارة مفيدة وغير مفيدة:

باشر عبد القاهر الجرجاني في توزيعه بكلامه عن الاستعارة غير المفيدة ، قال عنها بأنها نوع قصير الباع ، قليل الاتساع ، وضرب لنا مثالا عنها بقوله: "موضع هذا الذي لا يفيد نقله حيث يكون اختصاص الاسم بما وضع له من طريق أريد به التوسّع في أوضاع اللّغة، والتّنوق في مراعاة دقائق في الفروق في المعاني المدلول عليها كوضعهم للعضو الواحد أسامي كثيرة بحسب اختلاف أجناس الحيوان كوضع الشّفة للإنسان والمشفر للبعير والجحفة للفرس"¹. يبيّن لنا أنّ الاستعارة غير المفيدة هي الاستعارة التي يقع فيها تغيير للمعنى الأصلي للمستعار له.

والنّوع الثّاني هي الاستعارة المفيدة ، وهي عكس الاستعارة غير المفيدة: فقد "بان لك باستعارته فائدة ومعنى من المعاني و غرض من الأغراض، لولا مكان تلك الاستعارة لم يحصل لك، وجملة تلك الفائدة وذلك الغرض التّشبيه"². فلمح لها بإفادتها عندما يكون المستعار منه يزوّدنا بدلالات أخرى للمستعار له، مثل: "رأيت أسدا ، وأنت تعني رجلا شجاعا"³.

التّشبيه للاشتراك في نفس الصّفة وفي مقتضاها:

التّشبيه فن من فنون البلاغة، فالهدف منه نقل المعاني في صور بيانية، القصد منها الإيضاح البلاغي.

وهو أنواع: تشبيه مفرد، ومركب:

فالتّشبيه المفرد: يحتوي مجموعة من التّشبيهات: كالتام، والمؤكد، والمجمل، والبيّغ.

¹ _ المصدر السابق: ص25.

² _ المصدر نفسه: ص24.

³ _ المصدر نفسه: ص24.

فهو تشبيه لفظ بلفظ، مثل قوله عز وجل: ﴿لَا يَخْرُجُ فِي الْغَيْمِ سَائِرٌ﴾¹ فمن خلال الآية الكريمة نلاحظ أنّ الله شبّه الليل باللباس في ستره للأشياء كاللباس. أ. تشبيه تام: هو التشبيه الذي يحتوي أربعة أركان: المشبه، المشبه به، أداة التشبيه وجه الشبه.

ب. تشبيه مؤكد: هو ما حذفت منه أداة التشبيه

ج. تشبيه مجمل: ما حذفت منه وجه الشبه

د. تشبيه بليغ: ما حذفت منه وجه الشبه وأداته.

أمّا المركب فيحتوي مجموعة من التشبيهات: كالتمثيلي، والضمّني، والمقلوب.

أ. التشبيه التمثيلي: هو ما كانت صورته مركبة من عدّة أشياء بصورة أخرى

كقوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَأْتِي سَأَلَ الْمَخَلُوقَاتِ الَّذِيْنَ كُنَّ يَحْسِبْنَ أَنَّ اللَّهَ بَشَرَ الْبَشَرِ﴾²

ب. التشبيه الضمّني: هو التشبيه الذي لا يأتي فيه المشبه والمشبه به في صورة من الصور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب، مثل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَأْتِي سَأَلَ الْمَخَلُوقَاتِ الَّذِيْنَ كُنَّ يَحْسِبْنَ أَنَّ اللَّهَ بَشَرَ الْبَشَرِ﴾

¹ _ سورة النبأ: الآية 4.

² _ سورة البقرة: الآية: 17.

نفسه، فالأوّل كتشبيه الكلام بالعسل في الحلاوة، وذلك أنّ وجه التشبيه هناك أنّ كل واحد منهما يوجب في النفس لذة وحالة محمودّة، ويصادف منها قبولاً، وهذا واجب للحلاوة من حيث هي حلاوة، أو للعسل من حيث هو عسل، وأما الثاني وهو ما يُنتزع منه الشبه لأمرٍ لا يرجع إلى نفسه، فمثاله أن يتعدّى الفعل إلى شيء مخصوص يكون له من أجله حكمٌ خاصٌّ، نحو كونه واقعاً في موقعه وعلى الصواب، أو واقعاً غير موقعه، كقولهم: يضرب في حديد باردٍ و ينفخ في غيرِ فَحَمٍ¹

الفرق بين التمثيل الدقيق والتّعقيد:

التمثيل : من النّاحية اللّغويّة: جاء في كتاب مقاييس اللّغة لابن فارس: " أنّ الميم والثاء واللام أصل صحيح يدلّ على مناظرة الشّيء للشّيء ، وهذا مثل هذا، أي نظيره، والمثّل والمثال في معنى واحد، وربّما قالوا :مثيل كشبيه. تقول للعرب: أمثّل السلطان فلانا :قتله قودا، والمعنى: أنّه فعل به مثل ما كان فعله. والمثّل المثلّ أيضاً، كشبه وشبهه، والمثل المضروب مأخوذ من هذا، لأنّه يذكر مورّي به عن مثله في المعنى. وقولهم: مثّلّ به، إذا نكل، وهو من هذا أيضاً، لأنّ المعنى فيه أنّه إذا نكّل به جعل ذلك مثلاً لكلّ من صنع ذلك الصنّيع أو أراد صنعه... ومثّل الرّجل قائماً: انتصب، والمعنى ذلك، لأنّه كأنّه مثال نصب...²

أمّا من النّاحية الاصطلاحية: فعرفه ابن الأثير: " وجدت علماء البيان قد فرّقوا بين التّشبيه والتّمثيل، وجعلوا لهذا باباً مفرداً، ولهذا باباً مفرداً، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، يقال: شبّهت

¹ مقاييس اللّغة: ابن فارس: تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الفكر، 1979م، ص297.

² المرجع نفسه: مادّة (مثل): ج5/ص296.297.

وهو عبارة عن تشبيه غير الملموس بالملموس، والمتوهم بالمشاهد، شريطة أن يكون المشبه به من الأمور التكوينية، قال سبحانه:

﴿وَمَا يَشَاءُ لَهُمْ إِلَّا أَنْ يَرْجِعُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أَذِلَّةً مُّذْنَبِينَ﴾¹

هو التشبيه الذي يكون فيه الشبه فيه منتزعا من العقل وغير حقيقي ويحتاج إلى تأوّل، وإنّ تشبيهه خاص فكلّ تمثيل تشبيهه وليس كلّ تشبيهه تمثيلا، وإنّ تشبيهه عقلي.²

كما ذكر التّمثيل المقلوب والتّمثيل غير المقلوب، فالأوّل لا يحتاج إلى تأوّل والثّاني يحتاج إلى تأوّل وتخيل.

يلمّح عبد القاهر الجرجاني إلى أنّ " المعنى إذا أتاك ممثلاً، في الأكثر ينجلي لك بعد أن يُحْوجك إلى غير طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له والهمّة في طلبه ، وما كان منه أطف، كانت امتناعه عليك أكثر، وإباؤه أظهر، واحتجابه أشدّ "³. فهو يرى أنّ الغموض الذي يؤثر في نفس القارئ من العمل الإبداعي.

¹ سورة يونس: الآية: 24 .

² دلائل الإعجاز: ص 221. 223.

³ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني: ص 118.

التّعقيد نوعان تعقيد لفظي، وتعقيد معنوي:

- أ. التّعقيد اللفظي: هو كون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد به بحيث تكون الألفاظ غير مرتّبة على وفق المعاني¹.
- ب. التّعقيد المعنوي: وهو كون التركيب خفي الدلالة على المعنى المراد لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأصلي على المعنى المقصود بسبب إيراد اللوازم البعيدة المفترقة إلى وسائط كثيرة مع عدم ظهور القرائن الدالة على المقصود²

أمّا " التّعقيد والتعمية وتعمّد ما يكسب المعنى غموضاً، مشرّفاً له وزائداً في فضله. وهذا خلاف ما عليه الناس، ألا تراهم قالوا إن خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك، فالجواب إنني لم أرد هذا الحدّ من الفكر والتعب، وإنما أردت القدر الذي يحتاج إليه في نحو قوله:

فإن المسك بعض دم الغزال³

عمل عبد القاهر الجرجاني على التفريق بين التمثيل والتعقيد، وجعلهما متقابلين، حيث ضرب لنا أمثلة تعنى بالغموض في المعنى كقوله:

" إن هذا الضرب من المعاني، كالجوهر في الصدف لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه، وكالعزير المحتجب لا يُريك وجهه حتى تستأذن

¹ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع: السيّد أحمد الهاشمي: دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1971م، ص19.

² المرجع نفسه: ص20.

³ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني: ص118.

عليه". ثم ما كلُّ فكر يهتدي إلى وجهِ الكَشْفِ عمَّا اشتمل عليه، ولا كلُّ خاطر يؤدِّن له في الوصول إليه¹.

وقوع الاسم مستعاراً بحسب الحسن:

" اعلم أنك تجد الاسم وقد وقع من نظم الكلام الموقَّع الذي يقتضي كونه مستعاراً، ثم لا يكون مستعاراً، وذلك لأن التشبيه المقصود مَنوَّطٌ به مع غيره، وليس له شَبَهٌ ينفردُ به، على ما قدَّمْتُ لك من أن الشبه يجيء مُنْتَزِعاً من مجموع جملة من الكلام² مثل "يقول إذا قيل له: الاسم مثل زيد وعمرو، اكتفيتُ ولا أحتاج إلى وصفٍ أو حدِّ يُميِّزه من الفعل والحرف أو حدِّ لهما، إذا عرفتَهما عرفتُ أن ما خالفهما هو الاسم، على طريقة الكتاب، ويقول لا أحتاج إلى أن أعرف أن الاسم ينقسم فيكون متمكناً أو غير متمكَّن، والمتمكَّن يكون منصرفاً وغير منصرف، ولا إلى أن أعلم شرح غير المنصرف، الأسباب التسعة التي يقف هذا الحكم على اجتماع سببين منها أو تكرر سببٍ في الاسم ولا أنه ينقسم إلى المعرفة والنكرة، وأن النكرة ما عمَّ شيئين فأكثر، وما أريدُ به واحدٌ من جنس لا بعينه، والمعرفة ما أيدُ به واحدٌ بعينه أو جنس بعينه على الإطلاق ولا إلى أن أعلم شيئاً من الانقسامات التي تجيء في الاسم، كان قد أساء الاختيار، وأسرف في دعوى الاستغناء عما هو محتاج إليه إن أراد هذا النوع من العلم ولئن كان الذي نتكلف شرحه لا يزيد على مؤدَّى ثلاثة أسماء، وهي التمثيل والتشبيه والاستعارة، فإن ذلك يستدعي جُملاً من القول يصعُبُ استقصاؤها وشُعْباً من الكلام لا يستبين لأول النظر أنحاؤها

التَّخْيِيلُ المَعْلَلُ:

¹ المصدر السابق:ص119.

² المصدر نفسه:ص223.

التّخييل المعلّل عند عبد القاهر الجرجاني هو:
" أن يكون للمعنى من المعاني والفعل من الأفعال علّة مشهورة من
طريق العادات والطباع، ثم يجيء الشاعر فيمنع أن تكون لتلك
المعروفة، ويضع له علّة أخرى، مثاله قول المتنبي:
مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ ...
يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرَجُّو
الذّناب¹"

تعمّد المتنبي الإدعاء العلّة في قتل هذا الممدوح لأعدائه، فمن
المعروف أنّ الرّجل يقتل أعاديه ليحمي نفسه منهم.
_ التّخييل بغير تعليل:

حرص الجرجاني على تلميحه لمصطلح التّخييل بأنّه درجة من
العمل الفنّي كذكره للشعر، على أنّه كلام مخيل. فذكر لنا نوعاً من
التّخييل بغير تعليل بوقوفه عند دور التّشبيه، الاستعارة، و المجاز
فيقول:

"و هذا نوع آخر من التّخييل، وهو يرجع إلي ما مضى من تناسي
التّشبيه وصرف النفس عن توهمه، إلا أنّ ما مضى معلّل، وهذا غير
معلّل، بيان ذلك أنهم يستعيرون الصّفة المحسوسة من صفات
الأشخاص للأوصاف المعقولة"².

ويستشهد لنا ببيتين شعريين لابن الرّومي:
قامت تظّلّني من الشمس ... نفسٌ أعزُّ عليّ من نفسي
قامت تظّلّني ومن عجبٍ ... شمسٌ تُظّلّني من الشمس

- الفرق بين التّشبيه والاستعارة:

¹ _المصدر السابق:ص278.

² _المصدر نفسه:ص262.

اهتم الجرجاني بظاهرة التشبيه و الاستعارة ،ويظهر الفارق بينهما جلياً في كون التشبيه يحتوي أحد طرفيه يشابه الآخر ،والاستعارة تحتوي الطرفين ،أحدهما يستعير. " إنَّ الاسم إذا قُصد إجراؤه على غير ما هو له لمشابهة بينهما، كان ذلك على ما مضى من الوجهين:

أحدهما أن تُسقط ذكر المشبَّه من البين، حتى لا يُعلم من ظاهر الحال أنك أردته، وذلك أن تقول " عنت لنا ظبية "1 أي أراد بالمرأة تشبيهه الظبية.

ووردنا بحراً، أراد بالشخص الممدوح، ووصفه بالكرم.

والوجه الثاني: " أن تذكر كلَّ واحدٍ من المشبَّه والمشبَّه به فتقول زيدٌ أسدٌ وهندٌ بدرٌ، وهذا الرجل الذي تراه سيفٌ صارمٌ على أعدائك "2.

- الاتفاق في الأخذ والسَّرقة. والاستمداد والاستعانة:

يعدّ الجرجاني من خيرة العلماء الذين بينوا لنا هذه القضية فقال:

" فأما الاتفاق في عموم الغرض، فما لا يكون الاشتراك فيه داخلاً في الأخذ والسَّرقة والاستمداد والاستعانة، لا ترى مَنْ به حسٌّ يدَّعي ذلك، ويأبى الحكمَ بأنه لا يدخل في باب الأخذ، وإنما يقع الغلط من بعض مَنْ لا يُحسن التحصيل، ولا يُنعم التأمل "3.

وهو بذلك فرّق بين المعاني العامّة والسَّرقة التي أطلق عليها عدّة تسميات، من بينها: الأخذ، الاستمداد، الاستعانة.

1_ المصدر السابق:ص278.

2_ المصدر نفسه:ص279.

3_ المصدر السابق:ص294.

الحقيقة والمجاز:

إنّ للعلماء في هذا الفنّ من فنون التّصوير البياني _ الحقيقة والمجاز_ آراء متضاربة فمنهم من يرى أنّ الكلام كلّهُ حقيقة، ومنهم من يرى أنّ اللّغة تشتمل على حقيقة ومجاز، فقد استهلنا هذا القسم بذكر ماهية الحقيقة وأقسامها، ثمّ انتقلنا إلى المجاز فذكرنا ماهيته وأقسامه.

الحقيقة:

جاء في لسان العرب: حقق الحق نقيض الباطل... وفي التنزيل:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ سَمِعُوا نَذِيرًا مِّنْ رَبِّهِمْ وَأَبَتْ أَعْيُنُهُمْ أَغْرَابًا بِأَعْيُنِنَا ذُرِّيَّتَهُمْ وَلَمَّا لَمْ يَمَسُّهُمْ آلَاءُ مِنَّا لَمْ يَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ كَآفَّةً لَّقَدْ كَفَرُوا إِذْ سَمِعُوا نَذِيرًا مِّنْ رَبِّهِمْ وَأَبَتْ أَعْيُنُهُمْ أَغْرَابًا بِأَعْيُنِنَا ذُرِّيَّتَهُمْ وَلَمَّا لَمْ يَمَسُّهُمْ آلَاءُ مِنَّا لَمْ يَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ كَآفَّةً لَّقَدْ كَفَرُوا إِذْ سَمِعُوا نَذِيرًا مِّنْ رَبِّهِمْ وَأَبَتْ أَعْيُنُهُمْ أَغْرَابًا بِأَعْيُنِنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ فَتَفْسَدُوا دِينَكُمْ﴾¹ أي ثبت وقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ فَتَفْسَدُوا دِينَكُمْ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ فَتَفْسَدُوا دِينَكُمْ﴾² أي وجبت وثبتت... وحقيق

¹ سورة القصص : الآية :63.

² سورة الزّمر: الآية:71.

في حَقِّ وَحُقِّ فعيل بمعنى مفعول...والحقيقة ما يصير إليه حقّ الأمر
 ووجوبه، وبلغ حقيقة الأمر؛ أي يقين شأنه"1.
 أمّا اصطلاحاً فعرّفت على أنّها: " اللفظ المستعمل فيما وُضِعَ له في
 اصطلاح به التخاطب"2. وهي أنواع:
 أ. الحقيقة اللغوية: فهي اللفظ المستعمل في المعنى الذي وضع له
 أصلاً في اللغة3.

ب: الحقيقة العرفية: فهي إسناد الفعل وما فيه معناه4
 ج: الحقيقة الشرعية:

فهي كلُّ لفظ وُضِعَ لمسمى في اللغة، ثم استعمل في الشرع لمسمى
 آخر، مع هجران الاسم للمسمى اللغوي بمضيّ الزمان وكثرة
 الاستعمال في المسمى الشرعي5

وردت لفظة حقيقة في كتاب الله عزّ وجل في سورة

القصص: ﴿...﴾
 ﴿...﴾

أي ثبت. كما وردت في سورة

الزّمر: ﴿...﴾

1_ لسان العرب: ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري
 الإفريقي المصري. حققه وعلق عليه ووضع حواشيه عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد
 المنعم خليل إبراهيم، مج 10، ق-كمنشورات محمد علي بيضونل نشر كتب السنة و
 الجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. ص59، 62.

2_ ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي بن محمد
 الشوكاني، دار السلام، 1418هـ، 1998م، د.ط، ج1، ص95.

3_ ينظر: الخصائص: ج2، ص442.

4_ ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ج3، ص109.

5_ ميزان الأصول في نتائج العقول، علاء الدين شمس النظر أبو بكر محمد بن
 أحمد السمرقندي المتوفى: 539 هـ، حققه الدكتور محمد زكي عبد البر، مطابع
 الدوحة الحديثة، قطر، ط1، 1404 هـ - 1984 م، ج1، ص538.

6_ سورة القصص: من الآية: 63.

◆✦⊕⊗⊘⊙⊚⊛⊜⊝⊞⊟⊠⊡⊢⊣⊤⊥⊦⊧⊨⊩⊪⊫⊬⊭⊮⊯⊰⊱⊲⊳⊴⊵⊶⊷⊸⊹⊺⊻⊼⊽⊾⊿ⓀⓁⓂⓃⓄⓅⓆⓇⓈⓉⓊⓋⓌⓍⓎⓏⓐⓑⓓⓔⓖⓗⓘⓙⓚⓛⓞⓟⓠⓡⓢⓣⓤⓥⓦⓧⓨⓩ⓪⓫⓬⓭⓮⓯⓰⓱⓲⓳⓴⓵⓶⓷⓸⓹⓺⓻⓼⓽⓾⓿⠀⠁⠂⠃⠄⠅⠆⠇⠈⠉⠊⠋⠌⠍⠎⠏⠑⠒⠓⠔⠕⠖⠗⠘⠙⠚⠛⠜⠝⠞⠟⠠⠡⠢⠣⠤⠥⠦⠧⠨⠩⠪⠫⠬⠭⠮⠯⠰⠱⠲⠳⠴⠵⠶⠷⠸⠹⠺⠻⠼⠽⠾⠿⡀⡁⡂⡃⡄⡅⡆⡇⡈⡉⡊⡋⡌⡍⡎⡏⡐⡑⡒⡓⡔⡕⡖⡗⡘⡙⡚⡛⡜⡝⡞⡟⡠⡡⡢⡣⡤⡥⡦⡧⡨⡩⡪⡫⡬⡭⡮⡯⡰⡱⡲⡳⡴⡵⡶⡷⡸⡹⡺⡻⡼⡽⡾⡿⢀⢁⢂⢃⢄⢅⢆⢇⢈⢉⢊⢋⢌⢍⢎⢏⢐⢑⢒⢓⢔⢕⢖⢗⢘⢙⢚⢛⢜⢝⢞⢟⢠⢡⢢⢣⢤⢥⢦⢧⢨⢩⢪⢫⢬⢭⢮⢯⢰⢱⢲⢳⢴⢵⢶⢷⢸⢹⢺⢻⢼⢽⢾⢿⣀⣁⣂⣃⣄⣅⣆⣇⣈⣉⣊⣋⣌⣍⣎⣏⣐⣑⣒⣓⣔⣕⣖⣗⣘⣙⣚⣛⣜⣝⣞⣟⣠⣡⣢⣣⣤⣥⣦⣧⣨⣩⣪⣫⣬⣭⣮⣯⣰⣱⣲⣳⣴⣵⣶⣷⣸⣹⣺⣻⣼⣽⣾⣿⤀⤁⤂⤃⤄⤅⤆⤇⤈⤉⤊⤋⤌⤍⤎⤏⤐⤑⤒⤓⤔⤕⤖⤗⤘⤙⤚⤛⤜⤝⤞⤟⤠⤡⤢⤣⤤⤥⤦⤧⤨⤩⤪⤫⤬⤭⤮⤯⤰⤱⤲⤳⤴⤵⤶⤷⤸⤹⤺⤻⤼⤽⤾⤿⥀⥁⥂⥃⥄⥅⥆⥇⥈⥉⥊⥋⥌⥍⥎⥏⥐⥑⥒⥓⥔⥕⥖⥗⥘⥙⥚⥛⥜⥝⥞⥟⥠⥡⥢⥣⥤⥥⥦⥧⥨⥩⥪⥫⥬⥭⥮⥯⥰⥱⥲⥳⥴⥵⥶⥷⥸⥹⥺⥻⥼⥽⥾⥿⦀⦁⦂⦃⦄⦅⦆⦇⦈⦉⦊⦋⦌⦍⦎⦏⦐⦑⦒⦓⦔⦕⦖⦗⦘⦙⦚⦛⦜⦝⦞⦟⦠⦡⦢⦣⦤⦥⦦⦧⦨⦩⦪⦫⦬⦭⦮⦯⦰⦱⦲⦳⦴⦵⦶⦷⦸⦹⦺⦻⦼⦽⦾⦿⧀⧁⧂⧃⧄⧅⧆⧇⧈⧉⧊⧋⧌⧍⧎⧏⧐⧑⧒⧓⧔⧕⧖⧗⧘⧙⧚⧛⧜⧝⧞⧟⧠⧡⧢⧣⧤⧥⧦⧧⧨⧩⧪⧫⧬⧭⧮⧯⧰⧱⧲⧳⧴⧵⧶⧷⧸⧹⧺⧻⧼⧽⧾⧿⨀⨁⨂⨃⨄⨅⨆⨇⨈⨉⨊⨋⨌⨍⨎⨏⨐⨑⨒⨓⨔⨕⨖⨗⨘⨙⨚⨛⨜⨝⨞⨟⨠⨡⨢⨣⨤⨥⨦⨧⨨⨩⨪⨫⨬⨭⨮⨯⨰⨱⨲⨳⨴⨵⨶⨷⨸⨹⨺⨻⨼⨽⨾⨿⩀⩁⩂⩃⩄⩅⩆⩇⩈⩉⩊⩋⩌⩍⩎⩏⩐⩑⩒⩓⩔⩕⩖⩗⩘⩙⩚⩛⩜⩝⩞⩟⩠⩡⩢⩣⩤⩥⩦⩧⩨⩩⩪⩫⩬⩭⩮⩯⩰⩱⩲⩳⩴⩵⩶⩷⩸⩹⩺⩻⩼⩽⩾⩿⪀⪁⪂⪃⪄⪅⪆⪇⪈⪉⪊⪋⪌⪍⪎⪏⪐⪑⪒⪓⪔⪕⪖⪗⪘⪙⪚⪛⪜⪝⪞⪟⪠⪡⪢⪣⪤⪥⪦⪧⪨⪩⪪⪫⪬⪭⪮⪯⪰⪱⪲⪳⪴⪵⪶⪷⪸⪹⪺⪻⪼⪽⪾⪿⫀⫁⫂⫃⫄⫅⫆⫇⫈⫉⫊⫋⫌⫍⫎⫏⫐⫑⫒⫓⫔⫕⫖⫗⫘⫙⫚⫛⫝̸⫝⫞⫟⫠⫡⫢⫣⫤⫥⫦⫧⫨⫩⫪⫫⫬⫭⫮⫯⫰⫱⫲⫳⫴⫵⫶⫷⫸⫹⫺⫻⫼⫽⫾⫿⬀⬁⬂⬃⬄⬅⬆⬇⬈⬉⬊⬋⬌⬍⬎⬏⬐⬑⬒⬓⬔⬕⬖⬗⬘⬙⬚⬛⬜⬝⬞⬟⬠⬡⬢⬣⬤⬥⬦⬧⬨⬩⬪⬫⬬⬭⬮⬯⬰⬱⬲⬳⬴⬵⬶⬷⬸⬹⬺⬻⬼⬽⬾⬿⭀⭁⭂⭃⭄⭅⭆⭇⭈⭉⭊⭋⭌⭍⭎⭏⭐⭑⭒⭓⭔⭕⭖⭗⭘⭙⭚⭛⭜⭝⭞⭟⭠⭡⭢⭣⭤⭥⭦⭧⭨⭩⭪⭫⭬⭭⭮⭯⭰⭱⭲⭳⭴⭵⭶⭷⭸⭹⭺⭻⭼⭽⭾⭿⮀⮁⮂⮃⮄⮅⮆⮇⮈⮉⮊⮋⮌⮍⮎⮏⮐⮑⮒⮓⮔⮕⮖⮗⮘⮙⮚⮛⮜⮝⮞⮟⮠⮡⮢⮣⮤⮥⮦⮧⮨⮩⮪⮫⮬⮭⮮⮯⮰⮱⮲⮳⮴⮵⮶⮷⮸⮹⮺⮻⮼⮽⮾⮿⯀⯁⯂⯃⯄⯅⯆⯇⯈⯉⯊⯋⯌⯍⯎⯏⯐⯑⯒⯓⯔⯕⯖⯗⯘⯙⯚⯛⯜⯝⯞⯟⯠⯡⯢⯣⯤⯥⯦⯧⯨⯩⯪⯫⯬⯭⯮⯯⯰⯱⯲⯳⯴⯵⯶⯷⯸⯹⯺⯻⯼⯽⯾⯿ⰀⰁⰂⰃⰄⰅⰆⰇⰈⰉⰊⰋⰌⰍⰎⰏⰐⰑⰒⰓⰔⰕⰖⰗⰘⰙⰚⰛⰜⰝⰞⰟⰠⰡⰢⰣⰤⰥⰦⰧⰨⰩⰪⰫⰬⰭⰮⰯⰰⰱⰲⰳⰴⰵⰶⰷⰸⰹⰺⰻⰼⰽⰾⰿⱀⱁⱂⱃⱄⱅⱆⱇⱈⱉⱊⱋⱌⱍⱎⱏⱐⱑⱒⱓⱔⱕⱖⱗⱘⱙⱚⱛⱜⱝⱞⱟⱠⱡⱢⱣⱤⱥⱦⱧⱨⱩⱪⱫⱬⱭⱮⱯⱰⱱⱲⱳⱴⱵⱶⱷⱸⱹⱺⱻⱼⱽⱾⱿⲀⲁⲂⲃⲄⲅⲆⲇⲈⲉⲊⲋⲌⲍⲎⲏⲐⲑⲒⲓⲔⲕⲖⲗⲘⲙⲚⲛⲜⲝⲞⲟⲠⲡⲢⲣⲤⲥⲦⲧⲨⲩⲪⲫⲬⲭⲮⲯⲰⲱⲲⲳⲴⲵⲶⲷⲸⲹⲺⲻⲼⲽⲾⲿⳀⳁⳂⳃⳄⳅⳆⳇⳈⳉⳊⳋⳌⳍⳎⳏⳐⳑⳒⳓⳔⳕⳖⳗⳘⳙⳚⳛⳜⳝⳞⳟⳠⳡⳢⳣⳤ⳥⳦⳧⳨⳩⳪ⳫⳬⳭⳮ⳯⳰⳱Ⳳⳳ⳴⳵⳶⳷⳸⳹⳺⳻⳼⳽⳾⳿ⴀⴁⴂⴃⴄⴅⴆⴇⴈⴉⴊⴋⴌⴍⴎⴏⴐⴑⴒⴓⴔⴕⴖⴗⴘⴙⴚⴛⴜⴝⴞⴟⴠⴡⴢⴣⴤⴥ⴦ⴧ⴨⴩⴪⴫⴬ⴭ⴮⴯ⴰⴱⴲⴳⴴⴵⴶⴷⴸⴹⴺⴻⴼⴽⴾⴿⵀⵁⵂⵃⵄⵅⵆⵇⵈⵉⵊⵋⵌⵍⵎⵏⵐⵑⵒⵓⵔⵕⵖⵗⵘⵙⵚⵛⵜⵝⵞⵟⵠⵡⵢⵣⵤⵥⵦⵧ⵨⵩⵪⵫⵬⵭⵮ⵯ⵰⵱⵲⵳⵴⵵⵶⵷⵸⵹⵺⵻⵼⵽⵾⵿ⶀⶁⶂⶃⶄⶅⶆⶇⶈⶉⶊⶋⶌⶍⶎⶏⶐⶑⶒⶓⶔⶕⶖ⶗⶘⶙⶚⶛⶜⶝⶞⶟ⶠⶡⶢⶣⶤⶥⶦ⶧ⶨⶩⶪⶫⶬⶭⶮ⶯ⶰⶱⶲⶳⶴⶵⶶ⶷ⶸⶹⶺⶻⶼⶽⶾ⶿ⷀⷁⷂⷃⷄⷅⷆ⷇ⷈⷉⷊⷋⷌⷍⷎ⷏ⷐⷑⷒⷓⷔⷕⷖ⷗ⷘⷙⷚⷛⷜⷝⷞ⷟ⷠⷡⷢⷣⷤⷥⷦⷧⷨⷩⷪⷫⷬⷭⷮⷯⷰⷱⷲⷳⷴⷵⷶⷷⷸⷹⷺⷻⷼⷽⷾⷿ⸀⸁⸂⸃⸄⸅⸆⸇⸈⸉⸊⸋⸌⸍⸎⸏⸐⸑⸒⸓⸔⸕⸖⸗⸘⸙⸚⸛⸜⸝⸞⸟⸠⸡⸢⸣⸤⸥⸦⸧⸨⸩⸪⸫⸬⸭⸮ⸯ⸰⸱⸲⸳⸴⸵⸶⸷⸸⸹⸺⸻⸼⸽⸾⸿⹀⹁⹂⹃⹄⹅⹆⹇⹈⹉⹊⹋⹌⹍⹎⹏⹐⹑⹒⹓⹔⹕⹖⹗⹘⹙⹚⹛⹜⹝⹞⹟⹠⹡⹢⹣⹤⹥⹦⹧⹨⹩⹪⹫⹬⹭⹮⹯⹰⹱⹲⹳⹴⹵⹶⹷⹸⹹⹺⹻⹼⹽⹾⹿⺀⺁⺂⺃⺄⺅⺆⺇⺈⺉⺊⺋⺌⺍⺎⺏⺐⺑⺒⺓⺔⺕⺖⺗⺘⺙⺚⺛⺜⺝⺞⺟⺠⺡⺢⺣⺤⺥⺦⺧⺨⺩⺪⺫⺬⺭⺮⺯⺰⺱⺲⺳⺴⺵⺶⺷⺸⺹⺺⺻⺼⺽⺾⺿⻀⻁⻂⻃⻄⻅⻆⻇⻈⻉⻊⻋⻌⻍⻎⻏⻐⻑⻒⻓⻔⻕⻖⻗⻘⻙⻚⻛⻜⻝⻞⻟⻠⻡⻢⻣⻤⻥⻦⻧⻨⻩⻪⻫⻬⻭⻮⻯⻰⻱⻲⻳⻴⻵⻶⻷⻸⻹⻺⻻⻼⻽⻾⻿⼀⼁⼂⼃⼄⼅⼆⼇⼈⼉⼊⼋⼌⼍⼎⼏⼐⼑⼒⼓⼔⼕⼖⼗⼘⼙⼚⼛⼜⼝⼞⼟⼠⼡⼢⼣⼤⼥⼦⼧⼨⼩⼪⼫⼬⼭⼮⼯⼰⼱⼲⼳⼴⼵⼶⼷⼸⼹⼺⼻⼼⼽⼾⼿⽀⽁⽂⽃⽄⽅⽆⽇⽈⽉⽊⽋⽌⽍⽎⽏⽐⽑⽒⽓⽔⽕⽖⽗⽘⽙⽚⽛⽜⽝⽞⽟⽠⽡⽢⽣⽤⽥⽦⽧⽨⽩⽪⽫⽬⽭⽮⽯⽰⽱⽲⽳⽴⽵⽶⽷⽸⽹⽺⽻⽼⽽⽾⽿⿀⿁⿂⿃⿄⿅⿆⿇⿈⿉⿊⿋⿌⿍⿎⿏⿐⿑⿒⿓⿔⿕⿖⿗⿘⿙⿚⿛⿜⿝⿞⿟⿠⿡⿢⿣⿤⿥⿦⿧⿨⿩⿪⿫⿬⿭⿮⿯⿰⿱⿲⿳⿴⿵⿶⿷⿸⿹⿺⿻⿼⿽⿾⿿

هو ¹ أي ثبتت.

وجاء في معجم لسان العرب لابن منظور :

"حَقَّق: الحَقَّق نَقِيضُ الباطِل. وحَقَّق في حَقِّ وحُقِّ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ والحَقِيقَةُ ما يَصِيرُ إِلَيْهِ حَقُّ الأَمْرِ ووجوبه وبلغ حَقِيقَةُ الأَمْرِ، أي يَقِينُ شَأْنَهُ"².

أمَّا ابن فارس فَعَرَّفَها: "حَقَّ الشَّيْءُ إذا وَجِبَ، واشتقاقه من الشَّيْءِ المحَقَّقِ وهو المحكَّم، تقول ثوب محقَّق الشيخ أي محكمه"³.

هذا من النَّاحِيَةِ اللَّغَوِيَّةِ، أمَّا من النَّاحِيَةِ الاصطِلاحِيَّةِ فهي: "الكلام الموضوع موضعه الَّذي ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم ولا تأخير، كقول القائل:

"أحمد الله على نعمه وإحسانه" وهذا أكثر الكلام"⁴.

بَيْنَ لَنَا الجِرْجَانِي مَعْنَى الحَقِيقَةِ، فهي اللَّفْظَةُ المَفْرَدَةُ وهي كَلَّ كَلِمَةً أريد بها ما وقعت له في وضع، وأن لا تسند إلى غيره فهي حَقِيقَةٌ.

المجاز لغة: مصدر عمى وزن مفعول، وهو تعدي الشيء أو المكان يقال جاز المكان إذا تعداه⁵.

اصطلاحاً: هو استخدام الكلمة في غير ما وضعت لو لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي⁶.

¹ سورة الزمر: الآية: 71.

² لسان العرب: ابن منظور: ج3، ص197.

³ الصاحبى في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها: ابن فارس: دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان ط1، 1999م، ص149.

⁴ ينظر: المرجع نفسه: ص149.

⁵ المنجد في اللغة والأعلام: لويس معلوف: مادة جاز، المطبعة الكاثوليكية - بيروت، ط1. 1908م. ص109.

⁶ من بلاغة القرآن: دمحم شعبان عموان وآخرون: ط4، 2009م، ص109.

والمجاز عبارة عن تجوز الحقيقة¹ ، وفيه يتم استعمال اللفظ خلافا لما وضع له أصلا في عرف اللّغة.

يقول ابن رشيق إن العرب كثيرا ما تستعمل المجاز في كلامها وتعدّه من مفاخر الكلام ودليل الفصاحة ورأس البلاغة² وهو أنواع:

1. مجاز عقلي³:

هو الذي تتوصل إليه بحكم العقل ، وضرورة الفطرة ، وسلامة الذائقة ، فيخلصنا من مآزق الالتباس ، وشبهات التعبير ، فتنظر إليه - وهو يثير الإحساس - مشخصاً عقليا ، وكأنك تراه ، وتلمسه - وهو يهز الشعور - شيئا مدركا ، وكأنك تبصره طريقة استعماله تتم عن نتائج إرادته ، ودلالته في الجملة تكشف عن حقيقة مراده.

2. مجاز لغوي:

" وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة - بمعنى مناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي - يكون الاستعمال لقرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وهي قد تكون لفظية، وقد تكون

¹ _المعجم المفصل في علوم البلاغة: إنعام عكاوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط2 1996م، ص638.

² _ ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: دار الجيل الطبعة: الخامسة، 1401 هـ - 1981 م 267/1.

³ _ نقد النثر: طه حسين ، قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي أبو الفرج، ج1، تحقيق - العبادي دار الكتب العلمية عن الطبعة المصرية القديمة : 29

حاليّة، وكلّما أطلق المجاز، انصرف إلى هذا المجاز وهو المجاز اللغوي" ¹.

يحتوي نوعين مفرد ومركب:

فالمفرد بدوره ينقسم إلى قسمين:

أ. مفرد مرسل

ب. مجاز مفرد بالاستعارة

و الشيء نفسه بالنسبة للمركب:

أ. مركب مرسل

ب. مجاز مركب بالاستعارة

" واعلم أن حدّ كل واحد من وصفى المجاز والحقيقة إذا كان الموصوف به المفرد، غير حدّه إذا كان الموصوف به الجملة، وأنا أبدأ بحدّهما في المفرد، كلُّ كلمة أريد بها ما وقعت له في وَضْعٍ واضح، وإن شئت قلت: في مواضع، وقوعاً لا تستند فيه إلى غيره فهي حقيقة، وهذه عبارةٌ تنتظم الوضع الأول وما تأخّر عنه، كلغةٍ تحدث في قبيلة من العرب، أو في جميع العرب، أو في جميع الناس مثلاً، أو تحدثُ اليوم ويدخل فيها الأعلام منقولة كانت كزيد وعمرو،

¹ شرح الملا حنفي على الرسالة العضدية في آداب البحث والمناظرة للإيجي وعليها، شمس الدين الحنفي: التبريزي، تحقيق السيّد يوسف أحمد، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1971م، ج1، ص343.

أو مرتجلة كغطفان وكلّ كلمة استؤنف لها على الجملة مواضعة، أو ادعي الاستئناف فيها"¹.

وأما المجاز " فكلّ كلمة أريد بها غير ماوقت له في وّضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز"².

المجاز العقلي والمجاز اللغوي والفرق بينهما:

لقد كان للمجاز حصّة الأسد في كتب البلاغة والنقد، وأخذ تعريفه الدقيق حينما ألف كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وقد أوضح معنى الحقيقة قبل كلّ شيء وقال: "اعلم أنّ حدّ كلّ واحد من وصفي المجاز والحقيقة إذا كان الموصوف به المفرد غير حدّه إذا كان الموصوف به الجملة وأنا أبدأ يحدّهما في المفرد:كلّ كلمة اريد بها ما وقعت له في وضع واضع وإن شئت قلت في مواضعة وقوعا لا تستند فيه إلى غيره فهي حقيقة. وهذه العبارة تنتظم الوضع الأوّل وما تأخّر عنه كلغة تحدث في قبيلة من العرب أو في جميع العرب أو في جميع الناس مثلا أو تحدث اليوم. ويدخل فيها الإعلام منقولة كانت كزيد وعمرو أو مرتجلة كغطفان وكلّ كلمة استؤنف لها على الجملة مواضعة أو ادعي الاستئناف فيها"³.

عرّفه عبد القاهر الجرجاني قائلا: "المجاز مفعّل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه. وإذا عدل باللفظ عمّا يوجبه أصل اللّغة وصف بأنّه

¹ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني:ص203.

² المصدر نفسه:ص304.

³ دلائل الإعجاز:ص324.

مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه
الذي وضع فيه أولاً¹.

والمجاز قسمان : مجاز لغوي، و عقلي :

فالمّغوي ضربان :

مفرد، و مركب.

و أشار لنا : " أنّ المجاز على ضربين : مجاز من طريق اللّغة و

مجاز من طريق المعنى و المعقول².

أمّا المجاز اللّغوي : " أنّ المتكّم قد جاوز باللفظة أصلها الذي

وضعت له في اللّغة ، و أوقعها على غير ذلك إمّا تشبيها و إمّا لصلة

و ملابسة بين ما نقلها إليه ، و ما نقلها عنها³.

ما قيل فيه إنّه استعارة وليس كذلك بل هو حقيقة:

يضرب لنا عبد القاهر في هذا الفصل شاهدا شعريّا في هذا الفصل:

قال أبو القاسم الأمدي في قول البحري:

فَصَاغَ مَا صَاغَ مِنْ تَبْرٍ وَمِنْ وَرَقٍ ... وَحَاكَ مَا حَاكَ مِنْ وَشِي

وديباج

" صوغُ الغيثِ النبتِ وحوكُه النباتِ، ليس باستعارة بل هو حقيقة،

ولذلك لا يقال هو صائغ ولا كأنه صائغ وكذلك لا يقال: حائك وكأنه

حائك، على أن لفظة حائك خاصّة في غاية الركافة، إذا أُخرج على

ما أُخرجه عليه أبو تمام في قوله:

إذا الغيثُ غادى نَسَجَهُ خَلَّتْ أَنَّهُ ... خَلَّتْ حِقَبٌ حَرَسٌ لَهُ وَهُوَ حَائِكٌ

وهذا قبيح جدًّا، والذي قاله البحري: وحاك ما حاك، حسنٌ مستعمل،

¹ المصدر نفسه:ص356.

² المصدر السابق:ص300.

³ المصدر نفسه :ص300.

فانظر ما بين الكلامين لتعلم ما بين الرَّجُلَيْنِ. قد كتبت هذا الفصل على وجهه، والمقصود منه منعُه أن تُطْلَق الاستعارة على الصوغ والحوك، وقد جُعلا فعلاً للربيع، واستدلَّاه على ذلك بامتناع أن يقال: كأنه صائغ وكأنه حائك. اعلم أن هذا الاستدلال كأحسن ما يكون، إلا أن الفائدة تَتِمُّ بأن تُبَيِّن جهته، ومن أين كان كذلك؟¹

الحذف والزيادة وهل هما من المجاز أم لا²:

تعددت التعريفات بين العلماء والدارسين لقضية الحذف عبر الأزمنة وعليه سنأخذ لمحة موجزة عن هذا المصطلح.

جاء في لسان العرب: "حذف الشيء يحذفه حذفاً، قطعه من طرفه، الحجام يحذف الشعر، من ذلك و الحذافة، ما حذف من شيء فطرح، وخص اللحياني به، حذافة الأديم. الأزهري: تحذيف الشعر تطريره وتسويته، وإذا أخذت من نواحيه ما تسويه به فقد (حُذِفَتْه) ... وأذن حذفاً: كأنها حذفت، أي قطعت... والحذف يستعمل في الرمي والضرب معاً، ويقال: هم بين حاذف وقاذف؛ الحاذف بالعصا والقاذف بالحجر...

والحذف بالتحريك: ضأن سود جرد صغار. وقيل: هي غنم سود صغار تكون بالحجاز، واحدتها حذفة.³

الحذف عند الجاحظ: " هو إسقاط بعض العناصر من النص لغرض من الأغراض البيانية، مع وجود دليل على المحذوف¹."

¹ المصدر السابق: ص 329.

² أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني: ص 362.

³ لسان العرب: ابن منظور: مج 9، ص 48_49.

و الحذف أنواع:

أ. ما يسمّى بالاقطاع²:

أحدها : ما يسمّى بالاقطاع ؛ وهو حذف بعض حروف الكلمة.

ب. ما يسمّى بالاكفاء³:

وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط ، فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة .

ج: ما يسمّى بالاحتباك⁴:

وهو من ألطف الأنواع وأبدعها وقل من تنبه له أو نبه عليه من أهل فن البلاغة ، ولم أره إلا في شرح بديعية الأعمى لرفيقه الأندلسي ، وذكره الزركشي في البرهان ، ولم يسمه هذا الاسم ، بل سماه الحذف المقابلي .

د: ما يسمّى بالاختزال⁵:

هو ما ليس واحدا مما سبق ، وهو أقسام ، لأن المحذوف إما كلمة اسم أو فعل أو حرف أو أكثر .

1_ أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز: مصطفى شاهر خلوف ، دار الفكر عمان الأردن ، ط 2009 م ، ص: 15 ، نقلا عن ، الجاحظ البيان والتبيين ، ج / 1 210 - 211 ، 276 283 ، و ج / 2 278 ، 281 .

2_ ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: دار الكتاب العربي، 1419هـ 1999م، ج2، ص92.

3_ ينظر: المرجع نفسه: ص93.

4_ ينظر: المرجع نفسه: ص94.

5_ ينظر: المرجع نفسه: ص95.

"واعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز، لنقلك لها عن معناها، كما مضى، فقد توصف به لنقلها عن حُكْمٍ كان لها، إلى حُكْمٍ ليس هو بحقيقة فيها، ومثال ذلك أن المضاف إليه يكتسي إعرابَ المضافِ في نحو: " وَاسْتَلَّ الْقَرْيَةَ "، والأصل: واسئل أهل القرية، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل وعلى الحقيقة هو الجرُّ. والنصبُ فيها مجازٌ"¹.

أمَّا عبد القاهر الجرجاني خصَّص له فصلاً عنونه بـ"الحذف والزيادة، وهل هما من المجاز أم لا؟"، وصف لنا أن الكلمة كما توصف بالمجاز عندما تنقل عن معناها. فقد توصف به لنقلها عن حكم كان لها، إلى حكم ليس هو الحقيقة فيها مستشهداً بأمثلة:

مثل قوله تعالى: ﴿...﴾² إذ الغرض واسأل أهل القرية.

¹ أسرار البلاغة: ص362.

² سورة يوسف: من الآية: 85.

الفصل السادس:

مضامين دلائل الإعجاز

الفصاحة:

البلاغة صفة سامية عند العرب فطروا عليها، وهذا ما بينته كتاباتهم التي تخلو من كل تكلف أو صنعة.

لقد توالى الدراسات البلاغية قبل عبد القاهر الجرجاني وبعده في التركيز على مصطلح الفصاحة وخصّصوا له تعريفات متعدّدة في

معان توضيحية بالفصاحة عندهم

للفصاحة معان متعدّدة: فهي " الإبانة والظهور، يقال: أفصح الصُّبح، إذا بدا ضوؤه. وكلُّ واضحٍ: مُفصِّحٌ. ورجلٌ فصيحٌ وكلامٌ فصيحٌ، أي: بليغ. ولسانٌ فصيحٌ أي: طلقٌ. ويقال: كلُّ ناطقٍ فصيحٌ، وما لا ينطقُ فهو أعجمٌ. وفصحُ الأعجم تكلم بالعربية وفهم عنه.

وأفصح، تكلم بالفصاحة. وفصح الرجل وتفصح: إذا كان عربيًّا
اللِّسان فازداد فصاحة"1.

أما في اصطلاح البلاغيين²: عبارة عن الألفاظ الظاهرة المعنى،
المألوفة الاستعمال عند العرب. وهي تكون وصفاً للكلمة والكلام
والمتكلم يقال: كلمة فصيحة.

وكلام فصيح، ومتكلم فصيح.

يركز عبد القاهر على جعل الفصاحة مرتبطة بالنظم وتتعلق به في
توافق اللفظة مع غيرها ، وهذا ما تناوله في كتابه دلائل الإعجاز:
" فقد اتضح إذا اتضح لا يدع للشك مجالاً أن الألفاظ لا تتفاضل من
حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة وأن الألفاظ تثبت
لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما
أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ ومما يشهد لذلك أنك ترى
الكلمة تروك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تنقل عليك
وتوحشك في موضع آخر كلفظ الأخدع في بيت الحماسة من الطويل
تلفت نحو الحي حتى وجدنتي وجعت من الإصغاء ليّتا وأخدعا"3
■ وبيت البحري الطويل:

" وإني وإن بلغنتي شرف الغنى وأعتقت من رق المطامع أخدعي"4
- نظم الكلام بحسب المعاني والفرق بين نظم الكلم ونظم الحروف:
يقسم عبد القاهر الجرجاني النظم إلى فرعين:

1_ مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: الناشر: مكتبة لبنان:
دب، 1986م، ص240.

2_ البلاغة الاصطلاحية: عبده عبد العزيز قفيلة: دار الفكر العربي، القاهرة، ط2
، 1412هـ، 1992م

3- دلائل الإعجاز: ص38.

4_ المصدر نفسه: ص38.

الفرع الأوّل، لا يتجاوز النطق " أن نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل"¹.

" فلو أن واضع اللغة كان قد قال ربض مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد"²

والنوع الثاني هو القصد من الكلام الذي يعتمد على تحقيق المعنى كما يعبر عن الشعور وهو ما يُخترن في نفس المتكلم وعقله. ولم يكن هذا التقسيم البلاغي والبياني عند علماء البلاغة الذين سبقوا عبد القاهر الجرجاني على هذا الشكل الجيد الذي تنبّه له وأعطاه تفصيلا ينم عن ذوقه واختصاصه لفكرة النظم، وأن معيار هذا النظم هو النحو.

" وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس"³
"وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق"⁴

النظم متوقف على التركيب النحوي:

هذا التقسيم البلاغي والبياني عند علماء البلاغة الذين سبقوا عبد القاهر الجرجاني على هذا الشكل الجيد الذي تنبّه له وأعطاه تفصيلا ينم عن ذوقه واختصاصه لفكرة النظم.

عرّف في المعجم الوسيط: على أنه: " تأليف الشيء من مكوناته البسيطة، ويقابله التحليل."⁵

1 _ المصدر نفسه:ص40.

2 _ المصدر نفسه:ص40.

3 _ المصدر السابق:ص40.

4 _ المصدر نفسه:ص40.

5 _ المعجم الوسيط؛ لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2008م، ج1، ص368.

نستنتج من قوله أنّ عبد القاهر الجرجاني يصرّ في تأكيده على أنّ
المجاز له أثر كبير من الحقيقة.

كقوله: طويل النجاد وهو جم الرماد

ويضرب لنا مثالا في رثاء الخنساء لأخيها صخر في بيت شعري:

طويل النجاد رفيع العماد ساد عشيرته أمردا

يبين لنا أنّ الخنساء لفتت انتباهنا في بيتها الشعري برثاء أخيها
صخر. فوصفه " بطويل النجاد"، رفيع العماد، كثير الرماد.

إذ أرادت بهذه الأوصاف ذكر محامده: ومناقبه بن كرم، ورفعة.
فكان ممّا وصفت به أخاها أن محمل سيفه طويل النجاد، فلا بد أن
يكون طويل القامة، إذ ليس من الممكن أن يكون محمل سيفه قصير
القامة، فلمحت بعبارة طويل النجاد.

ثم وصفه ب رفيع العماد، أي رفيع المنزلة، وختمت وصفها بكثير
الرماد. فقصدت به أنّه شديد الكرم في الضيافة.

تفاوت الكناية والاستعارة والتّمثيل:

يستشهد عبد القاهر الجرجاني ببيت الشاعر كثير عزة في قوله:
يستعمل عبد القاهر الجرجاني مصطلح الأجناس وهو يتحدث عن
المسائل الثلاث الكناية الاستعارة والتّمثيل كما نسميها في أدبنا
المعاصر الأجناس الأدبية ويحدّد تفاوتها فيما بينها وأنّ فيها مزية
وفضيلة وقد يشترك في هذه المزية كلّ من العامّي والخاصّي: وهو
يفسّر لنا ذلك

و سألت بأعناق المطي الأباطح¹

" أفلا ترى في الاستعارة العامّي المبتذل كقولنا رأيت أسدا ووردت
بحرا ولقيت بدرا والخاصّي النادر الذي لا تجده إلا في كلام الفحول
ولا يقوى عليه إلا أفراد الرجال كقوله: وسألت بأعناق المطي

¹ _ صدر البيت: أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا

الأباطح ويقصد ضرباً من الكناية بأن هذه الحال سارت سيرا في غاية السرعة. وجاء بمثال آخر وهو قول الشاعر:

سالت عليه شعاب الحيّ حين دعا أنصاره بوجوه

كالذنانير¹

أراد أنه مطاع في الحي وأنهم يسرعون إلى نصرته وأنه لا يدعوهم لحرب أو نازل خطب إلا أتوه وكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجيء من

هاهنا وهاهنا وتنصب من هذا المسيل وذلك حتى يغص بها الوادي ويطفح منها

وسالت بأعناق المطي الأباطح على هذه الجملة وذلك أنه لم يغرب لأن جعل المطي في سرعة سيرها وسهولته كالماء يجري في الأبطح ويضرب مثالا آخر : رأيت الأسد وأنت لا تريد الرّجل الشّجاع، فلا يوجد في اللفظ معنى ثان، لأنّ اللفظ أتى بمعناه الحقيقي، أمّا إذا جعلت من المعنى بالرّجل الشّجاع، فإنّك تدلّ على معنى آخر وهو الاستعارة. فما يتناسب مع الاستعارة يتناسب تماما مع الكناية كقولنا: فلان كثير الرّماد ولا نريد من المعنى المقصود أنّه مضياف، فلا نجد معنى ثان الذي يدلّ على الكناية، نفس الشّيء يتناسب مع التّمثيل.

وعليه سمّاها عبد القاهر الجرجاني بالمعاني الثّواني أي المعاني البلاغيّة.

ـ النّظم يتحدّ في الوضع:

يحدّثنا عبد القاهر الجرجاني في النّظم ويحدّده بمضمونه ومقصوده بالنّظم يتحدّ في الوضع ويدق فيه الصّنع، حيث حرص على أنّ النّظم في توحّي معانيه، وربطها بالموضوعات التي تحدّد هذه المعاني، ممّا يجعلها تزيد رونقا وجمالا من ربطها للمقامات.

¹ _ المصدر السابق: ص58.

" و اعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثان منها بأول وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه هاهنا في حال ما يضع بيساره هناك نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعها بعد الأولين وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره وقانون يحيط به"¹.

- التقديم والتأخير :

يعرّف عبد القاهر الجرجاني هذا الفصل بقوله:

" هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعرا يروك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"².
والتقديم عنده نوعان:

1. تقديم على نية التأخير.

2. وتقديم لا على نية التأخير.

فالتقديم على نية التأخير عرّفه ب:

" وذلك في كل شيء أقررت مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك منطلق زيد وضرب عمرا زيد وتقديم لا على نية التأخير قال عنه :

" ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم وتجعل له بابا غير بابه وإعرابا غير إعرابه وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له فنقدم تارة هذا على ذاك

¹ _ المصدر السابق:ص73،74.

² _ المصدر نفسه:ص83، ص84.

وأخرى ذاك على هذا ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق حيث تقول مرة زيد المنطلق وأخرى المنطلق زيد فأنت في هذا لم تقدم المنطلق على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير فيكون خبر مبتدأ كما كان بل على أن تنقله عن كونه خبرا "1.

- النكرة المقدمة أو المؤخرة عن الفعل:

يلفت عبد القاهر الجرجاني انتباهنا لقضية تقديم النكرة على الفعل في الاستفهام فيتبين لنا أن تقديمها أو تأخيرها في الاستفهام بالهمزة لا يتغير عن تقديم المعرفة أو تأخيرها ويضرب لنا أمثلة:

1_ تقديم النكرة على الفعل على الاستفهام:

" إذا قلت أجاك رجل فأنت تريد أن تسأله هل كان مجيء من أحد من الرجال إليه فإن قدمت الاسم فقلت أرجل جاءك فأنت تسأله عن جنس من جاءه أرجل هو أم امرأة ويكون هذا منك إذا كنت علمت أنه قد أتاه آت ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي فسبيلك في ذلك سبيلك إذا أردت أن تعرف عين الآتي فقلت أزيد جاءك أم عمرو ولا يجوز تقديم الاسم في المسألة الأولى لأن تقديم الاسم يكون إذا كان السؤال عن الفاعل والسؤال عن الفاعل يكون إما عن عينه أو عن جنسه ولا ثالث وإذا كان كذلك كان محالا أن تقدم الاسم النكرة وأنت لا تريد السؤال عن الجنس لأنه لا يكون لسؤالك حينئذ متعلق من حيث لا يبقى بعد الجنس إلا العين والنكرة لا تدل على عين شيء فيسال بها عنه فإن قلت أرجل طويل جاءك أم قصير كان السؤال عن أن الجائي من جنس طوال الرجال أم قصارهم فإن وصفت النكرة بالجملة فقلت أرجل كنت عرفته من قبل أعطاك هذا أم رجل لم تعرفه كان السؤال عن المعطي أكان ممن عرفه قبل أم كان إنسانا لم تتقدم منه معرفة "2.

1 _ المصدر السابق:ص83.

2 _ المصدر السابق:ص109.

ثم ينتقل إلى عنصر آخر وهو:

2_ تقديم النكرة في الخبر:

فيستشهد لنا بمثال: فبيّن لنا أنّ هذا التقديم يرتكز على الحكم في الابتداء بالنكرة في الاستفهام حيث يعطي لنا دلالات معنويّة تدلّ على الجنس:

" وإذا قد عرفت الحكم في الابتداء بالنكرة في الاستفهام فابن الخبر عليه فإذا قلت رجل جاءني لم يصلح حتى تريد أن تعلمه أن الذي جاءك رجل لا امرأة ويكون كلامك مع من قد عرف أن قد أتاك آت فإن لم ترد ذلك كان الواجب أن تقول جاءني رجل فتقدم الفعل وكذلك إن قلت رجل جاءني لم يستقم حتى يكون السامع قد ظن أنه قد أتاك قصير أو نزلته من ظن ذلك"¹

- تميز الحذف:

يلح عبد القاهر الجرجاني في هذا الفصل على ضرورة توظيف العقل والفكر مع قصد الحصول على فائدة كبيرة في النص من طرف المتلقي وضرورة الهروب من التلقي التقليدي. يقول: " قد بان الآن واتضح لمن نظر المتثبت الحصيف الراغب في اقتداح زناد العقل والازدياد من الفضل ومن شأنه التوق إلى أن يعرف الأشياء على حقائقها ويتغلغل إلى دقائقها ويربأ بنفسه عن مرتبة المقلد الذي يجري مع الظاهر ولا يعدو الذي يقع في أول خاطر أن الذي قلت في شأن الحذف وفي تفخيم أمره والتنويه بذكره وأن مأخذه مأخذ يشبه السحر ويبهر الفكر"².

- وضعية الخبر :

¹ _ المصدر نفسه:ص109،ص110.

² _ المصدر السابق:ص131.

قسّم عبد القاهر الجرجاني الخبر إلى قسمين:

- 1_ الخبر الدّي هو " جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه "1
- 2_ وخبر " ليس بجزء من الجملة ولكنه زيادة في خبر آخر سابق لهف الأول خبر المبتدأ كمنطلق في قولك (زيد منطلق) والفعل كقولك (خرج زيد) فكل واحد من هذين جزء من الجملة وهو الأصل في الفائدة.2

" والثاني هو الحال كقولك (جاءني زيد راكبا) وذاك لأن الحال خبر في الحقيقة من حيث إنك تثبت بها المعنى لذي الحال كما تثبت بخبر المبتدأ للمبتدأ وبالفعل للفاعل ألا تراك قد أثبت الركوب في قولك جاءني زيد راكبا لزيد إلا أن الفرق أنك جئت به لتزيد معنى في إخبارك عنه بالمجيء وهو أن تجعله بهذه الهيئة في مجيئه ولم تجرد إثباتك للركوب ولم تباشره به بل ابتدأت فأثبت المجيء ثم وصلت به الركوب فالتبس به الإثبات على سبيل التبع للمجيء وبشرط أن يكون في صلته وأما في الخبر المطلق نحو زيد منطلق وخرج عمرو فإنك مثبت للمعنى إثباتا جردته له وجعلته يباشره من غير واسطة ومن غير أن تتسبب بغيره إليه فاعرفه"3 .

- الاسم والفعل في الخبر المثبت:

يفرّق لنا عبد القاهر الجرجاني في هذا الفصل بين الخبر إذا كان اسما، وفعلا في الخبر المثبت فيقول بخصوصهما:
" وإذ قد عرفت هذا الفرق فالذي يليه من فروق الخبر هو الفرق بين الإثبات إذا كان بالاسم وبينه إذا كان بالفعل وهو فرق لطيف تمس

1 _ المصدر نفسه:ص132.

2 _ المصدر نفسه:ص133.

3 _ المصدر السابق:ص133.

الحاجة في علم البلاغة إليه وبيانه، و" أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجده شيئاً بعد شيء"¹.
وأما الفعل " فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء " .

فإذا قلت زيد منطلق فقد أثبت الانطلاق فعلا له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك زيد طويل وعمره قصير فكما لا تقصد هاهنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث بل توجبهما وتثبتهما فقط وتقتضي بوجودهما على الإطلاق كذلك لا تتعرض في قولك زيد منطلق لأكثر من إثباته لزيد².

وأما الفعل فإنه يقصد فيه إلى ذلك فإذا قلت زيد ها هو ذا ينطلق فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءا فجزءا وجعلته يزاوله ويزجيه وإن شئت أن تحس الفرق بينهما من حيث يلفظ فتأمل هذا البيت البسيط:

لا يألف الدرهم المضروب خرقتنا
لكن يمر عليها وهو منطلق

هذا هو الحسن اللائق بالمعنى ولو قلته بالفعل لكن يمر عليها وهو ينطلق لم يحسن.

وذكر الفرق بين الخبر إذا كان صفة مشبّهة والخبر إذا كان فعلا:
نلاحظ أنه فضل الاسم على الفعل ثم يصف لنا الفرق بين الخبر إذا كان فعلا وإذا كان اسما فيقول:

وإذا أردت أن تعتبره بحيث لا يخفى أن أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه فانظر إلى قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالصيد فإن أحدا لا يشك في امتناع الفعل هاهنا وأن قولنا كلبهم يبسط ذراعيه لا

¹ _ المصدر نفسه:ص133.

² _ المصدر نفسه:ص134.

يؤدي الغرض وليس ذلك إلا لأن الفعل يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل ومعنى يحدث شيئاً فشيئاً ولا فرق بين وكلبهم باسط وبين أن يقول وكلبهم واحد مثلاً في أنك لا تثبت مزاولة ولا تجعل الكلب يفعل شيئاً بل تثبته بصفة هو عليها فالغرض إذا تأدية هيئة الكلب.

" ومتى اعتبرت الحال في الصفات المشبهة وجدت الفرق ظاهراً بينا ولم يعترضك الشك في أن أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه فإذا قلت زيد طويل وعمرو قصير لم يصلح مكانه يطول ويقصر وإنما تقول يطول ويقصر إذا كان الحديث عن شيء يزيد وينمو كالشجر والنبات والصبي ونحو ذلك مما يتجدد فيه الطول أو يحدث فيه القصر فأما وأنت تحدث عن هيئة ثابتة وعن شيء قد استقر طوله ولم يكن ثم تزايد وتجدد فلا يصلح فيه إلا الاسم"¹.

وإذا ثبت الفرق بين الشئيين في مواضع كثيرة وظهر الأمر بأن ترى أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه وجب أن تقضي بثبوت الفرق حيث ترى أحدهما قد صلح في مكان الآخر وتعلم أن المعنى مع أحدهما غيره مع الآخر كما هو العبرة في حمل الخفي على الجلي وينعكس لك هذا الحكم أعني أنك كما وجدت الاسم يقع حيث لا يصلح الفعل مكانه كذلك تجد الفعل يقع ثم لا يصلح الاسم مكانه ولا يؤدي ما كان يؤديه فمن البين في ذلك قول الأعشى الطويل لعمرى:

إلى ضوء نار في يفاع

لقد لاحت عيون كثيرة

تحرق

وبات على النار الندى

تشب لمقرورين يصطليانها

والمعلق

¹ _ دلائل الإعجاز:ص135.

" معلوم أنه لو قيل إلى ضوء نار محرقة لنبا عنه الطبع وأنكرته النفس ثم لا يكون ذاك النبو وذاك الإنكار من أجل القافية وأنها تفسد به من جهة أنه لا يشبه الغرض ولا يليق بالحال وكذلك قوله الكامل أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلي عريفهم يتوسم وذلك لأن المعنى في بيت الأعشى على أن هناك موقدا يتجدد منه الإلهاب والإشعال حالا فحالا وإذا قيل محرقة كان المعنى أن هناك نارا قد ثبتت لها وفيها هذه الصفة"¹.

مما نخلص إليه أنّ عبد القاهر الجرجاني حرص لنا على أمور ثلاث:

أوّلا/فرّق بين الخبر إذا كان بالاسم وبينه إذا كان بالفعل في الإثبات.
ثانيا/فرّق بين الخبر إذا كان صفة مشبّهة والخبر إذا كان فعلا.
ثالثا/فرّق بين الخبر إذا كان فعلا وبينه إذا كان اسما.

- التعريف والتّكثير في المثبت:

يستعرض عبد القاهر الجرجاني موضوع التعريف والتّكثير بتحديد عقلي يربط بين الجانب النحوي والجانب البلاغي الذي يسعى إلى تحقيق المعنى - كما يريده المتكلم، ويفهمه السامع أو المتلقي فيفسر منهجه أنّ العرب لما تستعمل موضوع التعريف والتّكثير تجعله في مقام الكلام ذي المقاصد، ومن ذلك ما جاء به عبد القاهر الجرجاني في شرحه لهذا الباب بقوله تنّمة لماسبق من النّص الكامل، الذي بدأه بعبارته زيد منطلق، و زيد المنطلق، والمنطلق زيد. فيقول : " ثم إن كان قد كان ذلك الانطلاق من اثنين فإنه ينبغي أن تجمع بينهما في الخبر فتقول : " زيد وعمرو هما المنطلقان " لا أن تفرق فتثبته أولا لزيد ، ثم تجيء فتثبته لعمرو .
ومن الواضح في تمثيل هذا النحو قولنا : " هو القائل بيت كذا " كقولك : جرير هو القائل :

¹ _المصدر نفسه:ص135.

وليس لسيفي في العظام بقية
فأنت لو حاولت أن تشرك في هذا الخبر غيره فتقول " : جرير هو
القائل هذا البيت وفلان " حاولت محالاً لأنه قول بعينه ، فلا يتصور
أن يشرك جريراً فيه غيره"¹ .

- القصر في التعريف:

القصر: الغاية ، و هو الفُصار و الفُصارى، و القصر: كفاك نفسك
عن شيء

و قَصَرْتُ نفسي عن كذا أقصرها قصراً. و قصرت طرفي أي لم
أرفعه إلى ما ينبغي. و قاصر الطرف قريب من الخاشع".

اصطلاحاً : هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص .

وتجد الجملة الدالة على القصر تفيد الإثبات والنفي معاً ، أي : تفيد
إثبات شيء بشيء ونفيه من غيره . ومعنى ذلك أن جملة القصر

تتميز عن غيرها بأنها تتضمن حكيمين :

أحدهما : مثبت ، والآخر : منفي . وهذا الشيء الذي أثبت ونفي
سُمِّيَ مقصوراً

قال الشاعر:

لَوْلَا حَبَائِلُ مِنْ نَعَمٍ عُلِقَتْ بِهَا لَأَقْصَرَ الْقَلْبُ عَنْهَا أَيَّ إِقْصَارٍ:

والمقصورة: المحبوسة في بيتها وخدرها لا تخرج، قال: من الصيف
مقصور عليها حبالها.²

أفرد عبد القاهر الجرجاني فصلاً في كتاب دلائل الإعجاز، فتحدّث
عن القصر واستدل لنا بشواهد كثيرة نذكر بعض منها: إذ يعرفه
بقوله:

¹ _ المصدر السابق : ص137.138.

² _ معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي : (تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم
السامرائي. طبعة جديدة، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان 1415هـ، 1992م. ج1، ص378.

" واعلم أنك تجد الألف واللام في الخبر على معنى الجنس ثم ترى له في ذلك وجوها أحدها أن تقصر جنس المعنى على المخبر عنه لقصدك المبالغة وذلك قولك زيد هو الجواد وعمرو هو الشجاع تريد أنه الكامل إلا أنك تخرج الكلام في صورة توهم أن الجود والشجاعة لم توجد إلا فيه وذلك لأنك لم تعتد بما كان من غيره لقصوره عن أن يبلغ الكمال فهذا كالأول في امتناع العطف عليه للإشراك فلو قلت زيد هو الجواد وعمرو كان خلفا من القول".
والوجه الثاني " أن تقصر جنس المعنى الذي تفيد به بالخبر على المخبر عنه لا على معنى المبالغة وترك الاعتداد بوجوده في غير المخبر عنه بل على دعوى أنه لا يوجد إلا منه ولا يكون ذلك إلا إذا قيدت المعنى بشيء يخصصه ويجعله في حكم نوع برأسه وذلك كنحو أن يقيد بالحال والوقت كقولك هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيرا"¹.

فيتحدث عن أسلوب القصر في "إن" و "ما"، وليس الذي يعرض بسبب هذا الحرف من الدقائق والأمور الخفية بالشئ يدرك بالهويني و نحن نقتصر على الآن على ما ذكرناه و نأخذ في القول عليها إذا اتصلت بها "ما"².

الوصل والفصل:

رکز عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز على قضية الفصل والوصل، وأولها اهتماما، فقد بين لنا أنها ظاهرة نحوية مرتبطة بالعطف وقصد بها عطف الجمل بعضها على بعض ونظر فيها إلى قيمة المعنى في متى ينتهي ويكسب دلالة كاملة عند الفصل واستقلال جملة بمعناها لوحدتها أو متى يكون الوصل حتى يحدث

¹ _ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: ص138.

² _ المصدر نفسه: ص214.

الرابط بين الجملتين في توضيح المعنى أكثر فيقول: " اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخالص و قوم طبعوا على البلاغة وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال معرفة الفصل من الوصل ذاك لغموضه ودقة مسلكه وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة"¹.

فمن خلال تعريفه اتضح لنا أن الوصل هو عطف جمل بعضها لبعض، والفصل ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة. وأن الفصل أو الوصل يعرف بقوم طبعوا على البلاغة. واستشهد لنا بأمثلة كثيرة في هذا الباب تجاوزنا ذكرها لكثرتها.

ـ امتياز العبارة بالتأثير:

في هذا الفصل يتحدث المؤلف عن العبارات إذا أتت شبيهة لبعضها، فيكون لها تأثير في كلا العبارتين كقوله:

" لا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتهما فإن قلت فإذا أفادت هذه ما لا تفيد تلك فليستا عبارتين عن معنى واحد بل هما عبارتان عن معنيين اثنين"².

ويستدل بأمثلة: كتشبيه الرجل بالأسد، فنقول زيد كالأسد، ثم تجعل من هذا المعنى معنى آخر كقولنا: كأنّ زيدا أسد، فتريد به التشبيه أيضا بالأسد، وغيرها من الأمثلة.

- المعارضة بين اللفظ والمعنى:

¹ _ المصدر السابق: ص170.

² _ المصدر نفسه: ص199.

تطرق عبد القاهر الجرجاني إلى فصل آخر يحدثنا فيه عن معارضي الكلام في البلاغة بحسب معناه لا لفظه فيقول: " قد علم أن المعارض للكلام معارض له من الجهة التي منها يوصف بأنه فصيح وبلغ ومتخير اللفظ جيد السبك ونحو ذلك من الأوصاف التي نسبوها إلى اللفظ"¹.

" وإذا كان هذا هكذا فبنا أن ننظر فيما إذا أتى به كان معارضا ما هو أهدى أن يجيء بلفظ فيضعه مكان لفظ آخر نحو أن يقول بدل أسد ليث وبدل بعد نأى ومكان قرب دنا أم ذلك م لا يذهب عليه عاقل ولا يقوله من به طرق كيف ولو كان ذلك معارضة لكان الناس لا يفصلون بين الترجمة والمعارضة ولكان كل من فسر كلاما معارضا له وإذا بطل أن يكون جهة للمعارضة وأن يكون الواضع نفسه في هذه المنزلة معارضا له"².

- دلالة الكلام ضربان :لفظية أولية ، معنوية ثانوية:

يشير عبد القاهر الجرجاني إلى مصطلح الغموض حين عرضه في المستوى الفني من خلال النصوص المختلفة بالشواهد الشعرية أو النثرية.

فالكلام عنده على ضربين:

" ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت خرج زيد وبالإطلاق عن عمرو فقلت عمرو منطلق وعلى هذا القياس"³.
وضرب آخر " أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد

1 _ المصدر السابق:ص199،ص200.

2 _ المصدر نفسه:ص200.

3 _ المصدر نفسه:ص202.

لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل¹.

- ما وصف به الكلام البليغ خاصّ بما يدل فيه المعنى على المعنى:

يمهّد عبد القاهر الجرجاني في هذا الفصل بتعريفه قائلاً:

"ومن الصفات التي تجدهم يجرونها على اللفظ ثم لا تعترضك شبهة ولا يكون منك توقف في أنها ليست له ولكن لمعناه قولهم لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك وقولهم يدخل في الأذن بلا إذن فهذا مما لا يشك العاقل في أنه يرجع إلى دلالة المعنى على المعنى وأنه لا يتصور أن يراد به دلالة اللفظ على معناه الذي وضع له في اللغة"². نلاحظه أنّه رتب المعاني ترتيباً معنوياً.

عصر الذوق وأثره في الكلام:

ثمّ يصوّر لنا فصلاً يطلعنا عن أنّ المزيّة للكلام الذي يحتمل أكثر من معنى واحد مبيناً لنا أنّ " الاحتمال يزيد جمال النص من الشيء المحتمل.

يقول: " و اعلم أنه إذا كان بينا في الشيء أنه لا يحتمل إلا الوجه الذي هو عليه حتى لا يشكل وحتى لا يحتاج في العلم بأن ذلك حقه وأنه الصواب إلى فكر وروية فلا مزية وإنما تكون المزية ويجب الفضل إذا احتتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجهاً آخر ثم رأيت النفس تنبو عن ذلك الوجه الآخر ورأيت للذي جاء عليه حسناً وقبولاً يعدمهما إذا أنت تركته إلى الثاني"³.

و القصد لدى عبد القاهر من هذا النصّ أنّ المعنى إذا كان واضحاً في مضمون الكلام، فإنّ المعنى فيه مستقيم كما هو الحال في تقرير

1 _ المصدر السابق: ص202.

2 _ المصدر نفسه: ص206.

3 _ المصدر السابق: ص221.

معنى حول شيء محدود، وإذا تعددت الدلالة والمعنى واضح فهذا يزيد المعنى حسنا وجمالا.

_ في اشتراط الذوق والأريحية في هذا الباب:

يلح في هذا الفصل أن تكون العلاقة قائمة على ضرورة إكساب البليغ روح اكتساب الملكة البلاغية وتعليمها للمتعلّم فيذهب في حديثه في باب اللفظ

والنظم، مخاطبنا بفصل يذكر فيه:

" واعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعامن السامع ولا يجد لديه قبولا حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بأن لما يومئ إليه من الحسن واللفظ أصلا وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام فيجد الأريحية تارة ويعرى منها أخرى وحتى إذا عجبته عجب وإذ نبهته لموضع المزية انتبه فأما من كانت الحالان والوجهان عنده أبدا على سواء وكان لا يفقه من أمر النظم إلا الصحة المطلقة وإلا إعرابا ظاهرا فما أقل ما يجدي الكلام معه فليكن من هذه صفته عندك بمنزلة من عدم الإحساس بوزن الشعر والذوق الذي يقيمه به والطبع الذي يميز صحيحه من مكسوره ومزاحفه من سالمه وما خرج من البحر مما لم يخرج منه في أنك لا تتصدى له ولا تتكلف تعريفه لعلمك أنه قد عدم الأداة التي معها يعرف والحاسة التي بها يجد فليكن قدحك في زند وار والحك في عود أنت تطمع منه في نار"¹.

_ المجاز الحكمي:

يحدثنا عبد القاهر الجرجاني عن نوع آخر من المجاز فيسميه المجاز المرسل في دلالة الاتّساع في فصل من المجاز الحكمي.

¹ _ المصدر السابق:ص225،ص226.

" اعلم أن طريق المجاز والاتساع في الذي ذكرناه قبل أنك ذكرت الكلمة وأنت لا تريد معناها ولكن تريد معنى ما هو ردف له أو شبيهه فتجوزت بذلك في ذات الكلمة وفي اللفظ نفسه"¹.

الكناية والتعريض:

يتناول لنا عبد القاهر الجرجاني نوعاً آخر من الكناية، وهي الكناية عن نسبة، إذ يعدّ هو أوّل من تطرّق لهذا النوع فيعرّفها: " هذا فن من القول دقيق المسلم لطيف المأخذ وهو أنا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذهب الكناية والتعريض كذلك يذهبون في إثبات الصفة هذا المذهب وإذا فعلوا ذلك بدت هناك محاسن تملأ الطرف ودقائق تعجز الوصف ورأيت هناك شعراً شاعراً وسحراً ساحراً وبلاغة لا يكمل لها إلا الشاعر المفلق". حيث جمع بين الكناية والتعريف والرّمز والإشارة في فنّ واحد وربط الرّمز بالكناية، وضرب لنا أمثلة كثيرة في هذا الفصل، إذ يقول: " وكما أن الصفة إذا لم تأتكم مصرحاً بذكرها مكشوفاً عن وجهها ولكن مدلولاً بغيرها كان ذلك أفخم لشأنها وألطف لمكانها كذلك إثباتك الصفة للشيء تثبتتها له إذا لم تلقه إلى السامع صريحاً وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرّمز والإشارة كان له من الفضل والمزية ومن الحسن والرونق ما لا يقلّ قليله لا يجهل موضع الفضيلة فيه"².

إنّ ومواضعها، والفروق التي تجهلها العلماء فيها:

يعالج في باب اللفظ والنظم من كتابه فصلاً وسمه: ب ومواضعها، والفروق التي تجهلها العلماء فيها، فيقول: "واعلم أن مما أغمض الطريق إلى معرفة ما نحن بصدده أن هاهنا فروقا خفية تجهلها العامة وكثير من الخاصة ليس أنهم يجهلونّها في موضع ويعرفونها في آخر بل لا يدرون أنها هي ولا يعلمونها في جملة ولا

¹ _ المصدر نفسه: ص227.

² _ المصدر السابق: ص236، ص237.

تفصيل"1. فيستشهد لنا بمثال قائلاً، بعد ما مهّد لنا مواضع إنّ والأمثلة كثيرة:

روي عن ابن الأنباري أنه قال ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس وقال له إني لأجد في كلام العرب حشوا فقال له أبو العباس في أي موضع وجدت ذلك فقال أجد العرب يقولون عبد الله قائم ثم يقولون إن عبد الله قائم ثم يقولون إن عبد الله لقائم فالألفاظ متكررة والمعنى واحد فقال أبو العباس بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ فقولهم عبد الله قائم إخبار عن قيامه وقولهم إن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم إن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر قيامه فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني قال فما أحرار المتفلسف جواباً وإذا كان الكندي يذهب هذا عليه حتى يركب فيه ركوب مستفهم أو معترض فما ظنك بالعامّة ومن هو في عداد العامّة ممن لا يخطر شبه هذا بباله"2.

ـ دلالة ما النافية للجنس وإنّما:

ينتقل عبد القاهر الجرجاني إلى فصل آخر سمّاه بمسائل إنّما مستدلاً بآيات قرآنية من آيات الذكر الحكيم حيث قال " الشيخ أبو علي في الشيرازيات يقول ناس من النحويين في نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنزلُ مِنَ السَّمَاءِ مِثْرًا مُبَارَكًا وَسَعِيدًا ۗ لِيُنزِلَ بِهِ الْمَاءَ فَتُحْيِيَ بِهِ الْبَرِيَّةَ وَالطَّيْرَ وَسَخَّرَ لَكُمْ مِنْهُ حَبًّا قَلِيلًا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۗ﴾

الفواحش قال وأصبت ما يدل على صحة قولهم في هذا وهو قول الفرزدق الطويل أنا الذائد الحامي الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي.

ـ دلالة "ما" و"إلا" و"إنّما":

1 _ المصدر نفسه:ص242.

2 _ المصدر السابق:ص243.

3 _ سورة الأعراف: من الآية 33.

ثم يتكلم عن فصل وسمه ب نكتة تتصل بالكلام الذي تضعه بما و
إلا، يقول:

" اعلم أن الذي ذكرناه من أنك تقول: «ما ضرب إلا عمرو زيدا»،
فتوقع الفاعل والمفعول جميعا بعد «إلا»، ليس بأكثر الكلام، وإنما
الأكثر إن تقدّم المفعول على «إلا»، نحو: «ما ضرب زيدا إلا
عمرو»، حتّى أنهم ذهبوا فيه أعني في قولك: «ما ضرب إلا عمرو
زيدا» إلى أنّه على كلامين، وأنّ «زيدا» منصوب بفعل مضمر،
حتى كأنّ المتكلم بذلك أبهم في أوّل أمره فقال: «ما ضرب إلا
عمرو» ثم قيل له: «من ضرب؟» فقال: «ضرب زيدا.»
وهاهنا، إذا تأملت، معنى لطيف يوجب ذلك، وهو أنّك إذا قلت: «ما
ضرب زيدا إلا عمرو»، كان غرضك أن تختصّ «عمرا»
«بضرب» «زيد»، لا بالضرب على الإطلاق. وإذا كان كذلك،
وجب أن تعدّي الفعل إلى المفعول من قبل أن تذكر «عمرا» الذي
هو الفاعل، لأن السامع لا يعقل عنك أنك اختصصته بالفعل معدّي
حتى تكون قد بدأت فعديته أعني لا يفهم عنك أنك أردت أن تختصّ
«عمرا» بضرب «زيد»، حتى تذكره له معدّي إلى «زيد»، فأما إذا
ذكرته غير معدّي فقلت:

«ما ضرب إلا عمرو»، فإنّ الذي يقع في نفسه أنك أردت أن تزعم
أنّه لم يكن من أحد غير «عمرو» ضرب، وأنه ليس هاهنا مضروب
إلا وضاربه عمرو، فاعرفه أصلا في شأن التقديم والتأخير¹.
فالفرق بائن في قولنا: ما ضرب زيدا إلا عمرو.

وما ضرب عمرو إلا زيدا.

الأوّل يريد به تقديم المنصوب (زيدا) ببيان من هو
الضّارب، وإخبار عمرو فقط.

¹ _ المصدر السابق:ص269.

أمّا الثّاني فأراد تقديم المرفوع (عمرو) وبيان المضروب من هو، و
إخبار زيد خاصّة دون غيره.

العودة إلى مباحث " إنما "

ينتقل إلى باب آخر وهو باب القصر والاختصاص، فيحدّثنا عن
مباحث إنّما قائلاً : "إن قيل : قد مضيت في كلامك كله على أن "
إنما " للخبر لا يجهله المخاطب، ولا يكون ذكرك له لأن تفيده إياه .
وإننا لنراها في كثير من الكلام . والقصد بالخبر بعدها أن تعلم السامع
أمرا قد غلط فيه بالحقيقة واحتاج إلى معرفته كمثله ما ذكرت في أول
الفصل الثاني من قولك : " إنما جاءني زيد لا عمرو " . وتراها
كذلك تدور في الكتب للكشف عن معان غير معلومة ودلالة المتعلم
منها على ما لا يعلم .

قيل : أما ما يجيء في الكلام من نحو : " إنما جاء زيد لا عمرو "
فإنه وإن كان يكون إعلاما لأمر لا يعلمه السامع فإنه لا بد مع ذلك
من أن يدعى هناك فضل انكشاف وظهور في أن الأمر كالذي ذكر .
وقد قسمت في أول ما افتتحت القول فيها فقالت : " إنها تجيء للخبر
لا يجهله السامع ولا ينكر صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة " . وأما
ما ذكرت من أنها تجيء في الكتب لدلالة المتعلم على ما لم يعلمه
فإنك إذا تأملت مواقعها وجدتها في الأمر الأكثر قد جاءت لأمر قد
وقع العلم بموجبه وبشيء يدل عليه ¹.

دلالة اللفظ والنّظم في الحكاية:

يتوسّع عبد القاهر الجرجاني في باب اللفظ والنّظم بطرق قضية
جديدة، في حديثه عن فصل إزالة شبهة في شأن النظم والترتيب:
"اعلم أنه لا يصلح تقدير الحكاية في " النظم والترتيب " بل لن تعدو
الحكاية الألفاظ وأجراس الحروف، وذلك أن الحاكي هو من يأتي
بمثل ما أتى به المحكي عنه، ولا بد من أن تكون حكايته فعلا له،

¹ _ المصدر السابق: ص274، ص275.

وأن يكون بها عاملاً عملاً مثل عمل المحكي عنه نحو أن يصوغ إنسان خاتماً فيبدع فيه صنعة، ويأتي في صناعته بخاتمة تستغرب، فيعمد واحد آخر فيعمل خاتماً على تلك الصورة والهيئة، ويجيء بمثل صنعته فيه، ويؤديها كما هي، فيقال عند ذلك: " إنه قد حكى عمل فلان وصنعة فلان . "

و " النظم والترتيب " في الكلام كما بينا عمل يعمله مؤلف الكلام في معاني الكلم لا في ألفاظها ، وهو بما يصنع في سبيل من يأخذ الأصباغ المختلفة فيتوخى فيها ترتيباً يحدث عنه ضروب من النقش والوشى . وإذا كان الأمر كذلك، فإننا إن تعدينا بالحكاية الألفاظ إلى النظم والترتيب، أدى ذلك إلى المحال¹.

ـ اختصاص القول بقائله:

يبين عبد القاهر الجرجاني في فصل آخر سمّاه اختصاص القول بقائله معرّفاً به :

" اعلم أنّا إذا أضفنا الشعرَ أو غيرَ الشعرِ، من ضروب الكلام، إلى قائله لم تكنْ إضافتنا له من حيثْ هو كَلِمٌ وأوضاعُ لغَةٍ، ولكنْ من حيثْ تُوحِّي فيهما النظمُ الذي بيّنا أنه عبارةٌ عن توحّي معاني النحو في معاني الكلم².

حيث أضاف الشعر إلى قائله، فأشار إلى لفظة توحّي الدالة على المحاولة التي تحكم بالفشل، وأنّ اللغة الشعرية حاضرة أكثر من قائلها.

ـ في فساد ملكة الفهم بالتقليد:

بعدها ينتقل بنا عبد القاهر الجرجاني إلى فصل سمّاه بفساد ملكة الفهم بالتقليد:

¹ _ المصدر السابق:ص274،ص275.

² _ المصدر نفسه:ص276.277.

" واعلم أني على طول ما أعدت وأبدأت، وقلت وشرحت في هذا الذي قام في أوهام الناس من حديث اللفظ، لربما ظننت أني لم أصنع شيئاً. وذاك أنك ترى الناس كأنه قد قضي عليهم أن يكونوا في هذا الذي نحن بصدده على التقليد البحت وعلى التوهم والتخيّل. وإطلاق اللفظ من غير معرفة بالمعنى، قد صار ذاك الدأب والذيدن، واستحكّم الداء منه الاستحكام الشديد. وهذا الذي بيناه وأوضحناه كأنك ترى أبداً حجاباً بينهم وبين أن يعرفوه، وكأنك تسمعهم منه شيئاً تفضّه أسمعهم، وتذكره نفوسهم؛ وحتى كأنه كلما كان الأمر أبين كانوا عن العلم به أبعد وفي توهم خلافه أفعد؛ وذاك لأن الاعتقاد الأول قد نشب في قلوبهم وتأشب فيها ودخل بعروقه في نواحيها، وصار كالنبات السوء الذي كلما قلغته عاد فنبت"¹.

الفصاحة تدرك بالعقل لا بالسمع:

يرى الجرجاني أنه من الإدراك العلمي للقضايا البلاغية فيما يتعلّق بمسألة الفصاحة أنها لا تستوعب بالسمع وحده، وليس السمع هو المقياس في الإدراك، لأن السمع قد يتعلّق بالصوت الذي يأتي به اللفظ واللفظ غير كاف في تحديد الفصاحة، وإنما الذي يُعَيّن الفصاحة هو المعنى والمعنى يدرك بالعقل، فيترتب على هذا أن الفصاحة تدرك بالعقل.

بعدها يعرف لنا عبد القاهر الجرجاني فصلاً يبيّن لنا أن الفصاحة تدرك بالعقل لا بالسمع، فيعرّفها قائلاً:

" وهذا فن من الاستدلال لطيف، على بطلان أن تكون الفصاحة صفة للفظ من حيث هو لفظ: لا تخلو الفصاحة من أن تكون صفة في اللفظ محسوسة تُدرك بالسمع، أو تكون صفة فيه معقولة تُعرف بالقلب، فمحال أن تكون صفة في اللفظ محسوسة، لأنها لو كانت كذلك، لكان ينبغي أن يستوي السامعون للفظ الفصيح في العلم بكونه

¹ _ المصدر السابق:ص279.

فَصِيحاً؛ وَإِذَا بَطَلَ أَنْ تَكُونَ مُحَسَّوسَةً، وَجَبَ الْحُكْمُ ضَرُورَةً بِأَنَّهَا صِفَةٌ مَعْقُولَةٌ، وَإِذَا وَجَبَ الْحُكْمُ بِكَوْنِهَا صِفَةً مَعْقُولَةً. فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ لِلْفَظِّ صِفَةً يَكُونُ طَرِيقُ مَعْرِفَتِهَا الْعَقْلَ دُونَ الْحَسِّ، إِلَّا دَلَالَتُهُ عَلَى مَعْنَاهُ¹. فَمِنْ خِلَالِ فِكْرَتِهِ يُوَضِّحُ لَنَا أَنَّهُ يَذْكَرُ تَمَامًا أَنَّ الْفِصَاحَةَ تَأْخُذُ صِفَةَ اللَّفْظِ مِنْ حَيْثُ هِيَ لَفْظٌ مُفْرَدٌ. لَكِنَّهُ يَشْتَرِكُ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَلْفَازِ لِيَكُونَ مَعْنَى تَنْتِجَ عَنْهُ الْفِصَاحَةُ.

ـ فَصَاحَةُ اللَّفْظِ بِحَسَبِ مَعْنَاهُ:

استشهد عبد القاهر في هذا الفصل بآيات قرآنية في قوله تعالى:....

.....
² فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ الْفِصَاحَةَ الَّتِي يَجِدُهَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَنْتَهِيَ الْكَلَامُ إِلَى آخِرِهِ. فَلَوْ كَانَتْ الْفِصَاحَةُ صِفَةً لِلْفَظِّ "اشْتَعَلَ" لَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُحَسِّسَهَا الْقَارِئُ فِيهِ، حَالِ نُطْقِهِ بِهِ؛ فَمُحَالٌّ أَنْ تَكُونَ لِلشَّيْءِ صِفَةً ثُمَّ لَا يَصِحُّ الْعِلْمُ بِتِلْكَ الصِّفَةِ إِلَّا مِنْ بَعْدِ عَدَمِهِ. وَمَنْ ذَا رَأَى صِفَةً يَعْرِى مَوْصُوفُهَا عَنْهَا فِي حَالِ وُجُودِهِ، حَتَّى إِذَا عُدِمَ صَارَتْ مَوْجُودَةً فِيهِ؟ وَهَلْ سَمِعَ السَّامِعُونَ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ، بِصِفَةٍ شَرَطُ حَصُولِهَا لِمَوْصُوفِهَا، أَنْ يُعَدَّمَ الْمَوْصُوفُ؟ فَإِنْ قَالُوا إِنَّ الْفِصَاحَةَ الَّتِي ادَّعَيْنَا لِلْفَظِّ "اشْتَعَلَ" تَكُونُ فِيهِ فِي حَالِ نُطْقِنَا بِهِ إِلَّا أَنَّا لَا نَعْلَمُ فِي تِلْكَ الْحَالِ أَنَّهَا فِيهِ، فَإِذَا بَلَّغْنَا آخِرَ الْكَلَامِ عَلِمْنَا حِينَئِذٍ أَنَّهَا كَانَتْ فِيهِ حِينَ نُطْقِنَا: قِيلَ: هَذَا فَنُّ آخِرٍ مِنَ الْعَجَبِ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ هَهُنَا صِفَةً "مَوْجُودَةً" فِي شَيْءٍ ثُمَّ لَا يَكُونُ فِي الْإِمْكَانِ وَلَا يَسَعُ فِي الْجَوَازِ أَنْ نَعْلَمَ وُجُودَ تِلْكَ الصِّفَةِ فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُعَدَّمَ وَيَكُونُ الْعِلْمُ

1 _ المصدر السابق: ص309.

2 _ سورة مريم : من الآية :4.

بها وبكونها فيه محجوباً عنّا حتى يُعَدَم، فإذا عُدِمَ عَلِمْنَا حينئذٍ أنها كانت فيه حينَ كان¹.

علاقة معاني الكلم بمعاني النحو:

" ومما ينبغي أن يَعْلَمَهُ الإنسان ويجعله على ذكرٍ، أنه لا يُتَصَوَّرُ أن يتعلّق الفكرُ بمعاني الكَلِمِ أفراداً ومجرّدةً من معاني النحو؛ فلا يقومُ في وهِمٍ ولا يصِحُّ في عقلٍ أن يتفكّرَ مُتفكّرٌ في معنى فعلٍ من غير أن يُريدَ إعماله في اسمٍ، ولا أن يتفكّرَ في معنى اسمٍ من غير أن يُريدَ إعمال فعلٍ فيه وجعله فاعلاً له أو مفعولاً، أو يُريدَ منه حكماً سوى ذلك من الأحكام، مثل أن يُريدَ جعله مبتدأً أو خبراً أو صفةً أو حالاً أو ما شاكل ذلك. وإن أردت أن ترى ذلك عياناً، فاعمّدْ إلى أيّ كلامٍ شئت وأزلْ أجزاءه عن مواضعها، وضعها وضعاً يمتنع معه دخول شيءٍ من معاني النحو فيها².

ويستدلّ بالمطلع الشعري من بيت امرئ القيس في صدره:

قفا نَبك من ذكري حبيبٍ ومَنزِلِ

ويعمل على إعادة ترتيب ألفاظ البيت في التّركيب، يقدّم كلمة ويؤخّر أخرى كمفردات منعزلة عن بعض بعض لا يربطها رابط فلا يحدث فيها نظم ولا يكون فيها معنى.

كشف شبهة القائلين بأنّ الفصاحة للألفاظ:

يذكر لنا فصلاً سمّاه ب كشف شبهة أخرى للقائلين بأنّ الفصاحة للألفاظ، قائلاً فيه: " قد أردت أن أعيد القول في شيءٍ هو أصل الفساد، ومُعظّم الأفة، والذي صار حجازاً بين القوم وبين التأمل، وأخذ بهم عن طريق النّظر، حال بينهم وبين أن يُصغوا إلى ما يقال لهم، وأن يفتحوا للذي تُبيّن أعينهم؛ وذلك قولهم: إنّ العقلاء قد انفقوا على أنه يصحُّ أن يُعبّر عن المعنى الواحد بلفظين، ثم يكون أحدهما

¹ _ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني:ص312.

² _ المصدر السابق:ص314.

فصيحاَ والآخر غيرَ فصيحٍ : وذلك - قالوا - يقتضي أن يكونَ للفظِ نصيبٌ في المزيّة، لأنها لو كانت مقصورةً على المعنى لكان مُحالاً أن يُجعلَ لأحدِ اللفظينِ فضلٌ على الآخر مع أنَّ المعبّرَ عنه واحدٌ¹. فهو يرفض رفضاً باتاً فصل البلاغة عن الفصاحة لأنّه ليس هذا من المعقول في نفوس المتكلم والمستمع معاً، أي المتلقي أو القارئ. لأنّه متى كان البلاغة قائمة كانت الفصاحة مرافقة لها.

ـ كشف شبهات مسألة اللفظ:

ثمّ يعرض لنا فصلاً وسمه ب فصل بليغ: يصف به عمله في كشف شبهات مسألة اللفظ مستشهداً بأمثلة كثيرة :

" قد بلّغنا في مداواة الناس من داءهم، وعلاج الفساد الذي عرّض في آرائهم، كلّ مبلغ، وانتهينا إلى كلّ غاية، وأخذنا بهم عن المجاهل التي كانوا يتعسّفون فيها إلى السنن اللاحب، ونقلناهم عن الآجن المطروق إلى النمير الذي يشفي غليل الشارب، ولم ندع لباطلهم عرقاً ينبض إلاّ كويناه، ولا للخلاف لساناً ينطق إلاّ أحرسناه، ولم نترك غطاءً كان على بصر ذي عقلٍ إلاّ حسرناه؛ في أيها السامع لِمَا قلناه، والناظر فيما كتبناه، والمتصفح لما دوّنناه، إن كنت سمعت سماع صادق الرغبة في أن تكونَ أمرك على بصيرة، ونظرتَ نظراً تامّ العناية في أن يُوردَ ويصدّرَ عن معرفة، وتصفحتَ تصفح مَنْ إذ مارسَ باباً من العلم لم يُفنعهُ إلاّ أن يكونَ على ذورة السنّام، ويضربَ بالمعلّى من السّهام؛ فقد هُديتَ لضالتك، وفُتح لك الطريقُ إلى بُغيتك، وهِيءَ لك الأداة التي تبلغُ بها، وأوتيت الآلة التي معها تصلُ، فخذْ لنفسك بالتي هي أملاً ليديك، وأعوذُ بالخطِّ عليك، ووازنُ بين حالك

¹ _ المصدر السابق:ص223.

الآن، وقد تنبّهت من رقدتك، وأفقت من غفلاتك، وصرت تعلم - إذا أنت خضت في أمر اللفظ والنظم"¹.

كشف شبهة جعل الفصاحة للألفاظ:

والفصل السابع والثلاثون كان الفصل الأخير كثير الأمثلة:
" اعلم أنه لما كان الغلط الذي دخل على الناس في حديث اللفظ، كالداء الذي يسري في العروق، ويفسد مزاج البدن، وجب أن يتوحي دائباً فيهم ما يتواخاه الطبيب في الناقة من تعهده بما يزيد في منته، ويبيقيه على صحته، ويؤمّنه النكس في علته؛ وقد علمنا أن أصل الفساد وسبب الآفة هو ذهابهم عن أن من شأن المعاني أن تختلف عليها الصور، وتحدث فيها خواص ومزايا بعد أن لا تكون؛ فإنك ترى الشاعر قد عمد إلى معنى مبتدل، فصنع فيه ما يصنع الصانع الحاذق إذا هو أغرب في صنعة خاتم وعمل شنف وغيرهما من أصناف الحلى. فإن جهلهم بذلك من حالها هو الذي اغواهم واستهواهم، وورطهم فيما تورطوا فيه من الجهالات، وأدأهم إلى التعلق بالمحالات. وذلك أنهم لما جهلوا شأن الصورة وضعوا لأنفسهم أساساً وبنوا على قاعدة؛ فقالوا إنه ليس إلا المعنى واللفظ ولا ثالث، وإنه إذا كان كذلك وجب إذا كان لأحد الكلامين فضيلة لا تكون للأخر، ثم كان الغرض من أحدهما هو الغرض من صاحبه أن يكون مرجع تلك - زعموا - يؤدي إلى التناقض، وأن يكون معناهما متغايراً وغير متغاير معاً. ولما أقرّوا هذا في نفوسهم، حملوا كلام العلماء في كل ما نسبوا فيه الفضيلة إلى اللفظ على ظاهره وأبوا أن ينظروا في الأوصاف التي أتبعوها نسبتهم الفضيلة إلى اللفظ مثل قولهم: "لفظ متمكن غير قلق ولا ناب به موضعه"².

¹ _ المصدر السابق: ص 366.367.

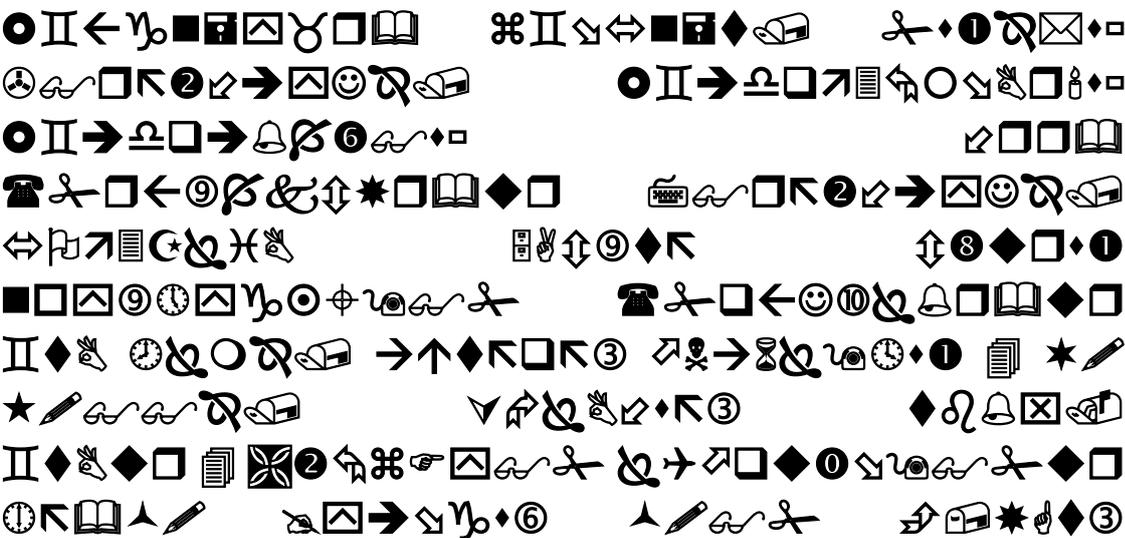
² _ المصدر السابق: ص 367.368.

يستنبط من هذه النصوص الأخيرة التي أعطاهها عبد القاهر الجرجاني نمط التنظير في ميله إلى محاولة تحقيق قاعده يسير عليها في استنتاجاته التي ينصح بها قراءه بقوله " اعلم " ويحرص على هذا التعليم بالأمر قصد الاقتداء و الأخذ، فإنه يؤكد إثارة فكرة النظم التي تحتويها ثنائيات اللفظ والمعنى ويجعل من النظم نتيجته المحورية التي يدور عليها بحثه في مضمون كتابه دلائل الإعجاز.

لقد اهتم الموروث العربي بتعريفات للبلاغة ، و تعددت في دراساتهم و معاجمهم لغة و اصطلاحا ، فالبلاغة لغة كما جاء في تاج العروس: بَلَّغَ الْمَكَانَ، بُلُوغًا، بِالضَّمِّ وَصَلَ إِلَيْهِ وَانْتَهَى، وَ مِنْهُ قَوْلُهُ

تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقْبِلْ عَلَى الْقَوْمِ لِيَخْلُقُوا هُمُومًا﴾
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقْبِلْ عَلَى الْقَوْمِ لِيَخْلُقُوا هُمُومًا﴾
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقْبِلْ عَلَى الْقَوْمِ لِيَخْلُقُوا هُمُومًا﴾
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقْبِلْ عَلَى الْقَوْمِ لِيَخْلُقُوا هُمُومًا﴾

فعلية، و منه قوله تعالى:  1. أو بلغه: شَار



أَي قَارَبْنَهُ.  2

أَمَا فِي الصَّحَاحِ: بَلَغْتَ الْمَكَانَ بُلُوعًا: وَصَلْتَ إِلَيْهِ، وَ كَذَلِكَ إِذَا شَارَفْتَ عَلَيْهِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: "فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ، أَيَقَارَبْنَهُ، وَ بَلَغَ الْعُلَامُ، أَدْرَكَ.

وَ الْإِبْلَاحُ: الْإِيصَالُ: وَ كَذَلِكَ التَّبْيِيلُ: وَ الْاسْمُ مِنْهُ: الْبَلَاحُ. وَ الْبَلَاحُ أَيْضًا: الْكِفَايَةُ³.

فَكَمَا اهْتَمَّ الْعُلَمَاءُ بِتَعْرِيفِ الْبَلَاحِ لُغَةً عَرَفَوْهَا مِصْطَلَحًا. الْبَلَاحُ: الْفِصَاحَةُ: وَ الْبَلِيغُ، وَ الْبَلِيغُ: الْبَلِيغُ مِنَ الرِّجَالِ، وَ رَجُلٌ بَلِيغٌ وَ بَلَغَ وَ بَلَغَ حَسَنَ الْكَلَامِ فَصِيحَهُ، يَبْلُغُ بِعِبَارَةٍ لِسَانِهِ كَنَّهُ مَا فِي قَلْبِهِ. وَ الْجَمْعُ: بَلَغَاءُ، وَ قَدْ بَلَغَ بِالضَّمِّ، بَلَاحَةٌ: أَي صَارَ بَلِيغًا، وَ قَوْلُ بَلِيغٍ: بَالِغٌ وَ قَدْ بَلَغَ. وَ الْبَلَاحَاتُ كَالْوَشَايَاتِ. وَ الْبَلِيغُنُّ: الْبَلَاحَةُ عَنِ السِّيْرَافِيِّ وَ مِثْلُ بِهِ سَيَبَوِيهِ. وَ الْبَلِيغُنُّ أَيْضًا: النَّمَامُ، وَ الْبَلِيغُنُّ: الَّذِي يُبَلِّغُ لِلنَّاسِ بَعْضَهُمْ حَدِيثَ بَعْضٍ. وَ تَبْلُغُ بِهِ مَرَضُهُ: اشْتَدَّ. وَ بَلَغَ بِهِ

1 _ سورة النحل: الآية: 7.
 2 _ سورة الطلاق: الآية: 2.
 3 _ الجوهرى: "تاج اللغة و صحاح العربية" تحقيق أحمد عبد الغفور عطار: 1982م.

البلغين بكسر الباء و فتح اللّام، و تخفيفها، عن ابن الأعرابي، إذا استقصى في شتمه و أذاه، و البلّغين: الذّاهية.¹

لقد مرّ التّأليف البلاغي بمراحل: و " أوّل مرحلة اختلط فيها الدّرس البلاغي مع غيره من وجوه المعرفة و العلوم الأخرى كالنّفسير و اللّغة و غيرها، و هي مرحلة غلب عليها الاتّجاه الدّيني لاهتمام المسلمين بالقرآن، فكان الدّرس البلاغي بيانا و تفسيراً لظاهرة الإعجاز البياني فيه".²

و قد كانت هذه المرحلة محاولة للكشف عن الوجوه البيانيّة الكامنة في القرآن بوصفها من وجوه الإعجاز لهذا النّصّ، فاتّخذت هذه البحوث من القرآن موضوعاً لها: " حيث ارتبط التّأليف البياني لهذه المرحلة بالنّفسير و اللّغة ارتباطاً كبيراً يدلّ على ذلك أسماء المصنّفات التي أنتجتها تلك الحقبة مثل: "غريب القرآن"، "مجاز القرآن". و "معاني القرآن"، و كلّها بحوث اختلطت فيها المباحث البيانيّة بمباحث النّفسير، و غريب اللّغة.³

لقد كان للفرق الإسلاميّة أثر كبير في تاريخ البلاغة العربيّة، منهم المعتزلة، الشّيعيّة

و الخوارج، فقد عملوا على فهم القرآن الكريم، فنهضت جماعة منهم باجتهاداتهم و تأويلاتهم.

و ممّن يستوقف دارس البلاغة قبيل الجاحظ، الفراء (ت207هـ) الذي ذهب إلى البحث عن معاني القرآن و سمّى كتابه بهذه التّسمية

¹ لسان العرب: ابن منظور: ج2، ص144.

² دروس في البلاغة العربيّة: سعد سليمان حمّودة: دار المعرفة الجامعيّة، 2004م، ص70.

³ أثر القرآن في تطوّر النثر العربي إلى آخر القرن 4 هـ: محمّد زغلول سلام، قدّم له: محمّد خلف الله أحمد، "مكتبة الشّباب ط1، 1982م، ص207.

"معاني القرآن" و اجتهد في فكرة التّأويل للمعاني التي حواها كتاب الله إلى جانب الخصائص التي ميّزت بعض التّراكيب و ذكر الصّور البيانيّة.

و من هؤلاء الجاحظ (ت 255هـ) أيضا الذي يعدّ أحد زعماء المعتزلة، فقد أسهم في ميدان البلاغة: " فأثرى به البيان العربيّ و انتقل به نقلة كبيرة في مجال نموّه و تطوّره"¹.

يجمع الدّارسون بمختلف مذاهبهم على أنّ الجاحظ هو الذي اختصّ في الدّراسة البلاغيّة قبل الكثير ممن تبعوه و نقلوا عنه أشياء كثيرة و منهم عبد القاهر الجرجاني الذي يعتدّ به كثيرا، فهو أوّل من وقف على مصطلح البيان، و ألف فيه كتابه المشهور: "البيان والتّبيين"، فقد جمع أقوال العرب و السّابقين لعهدّه، و من بين ما نقل عن جعفر بن يحيى (187هـ) و هو يسأله: "قلت لجعفر بن يحيى ما البيان؟ قال: أن يكون الاسم يحيط بمعناك و يجلي عن مغزاك، و تخرجه عن الشركة، و لا تستعين عليه بالفكرة. و الذي لا بدّ منه أن يكون سليما من التّكلف، بعيدا عن الصّنعّة، بريئا من التّعقّد، غنيا من التّأويل، و هذا هو تأويل قول الأصمعي: " البليغ من طبّق المفصل و أغناك عن المفسّر"².

و البيان عند الجاحظ واسع المعنى، و هو الكشف و الإيضاح و الفهم و الإفهام.

و يحتاج إلى تمييز و سياسة، و تمام الآلة، و إحكام الصّنعّة، و سهولة المخرج

و جهازة المنطق، و تكميل الحروف، و إقامة الوزن. يقول: "البيان: اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى و هتك الحجاب دون

¹ في تاريخ البلاغة العربيّة: عبد العزيز عتيق: ص135.

² البيان والتّبيين: ج1، ص106.

الضّمير حتّى يضيف السّامع إلى حقيقته و يهجم على محصوله كأننا ما كان ذلك البيان و من أيّ جنس كان ذلك الدليل، لأنّ مدار الأمر و الغاية إليها يجري القائل و السّامع إنّما هو الفهم و الإفهام. فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع" ¹.

و يظهر جليًا في المنهج البلاغي لدى الجاحظ أنّه وقف عند قضية اللفظ و معناها و أعطاهما حقّها من الدّراسة فتكلّم عن اللفظ فقال: "كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميًا ساقطًا فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبًا وحشيًا إلاّ أن يكون المتكلّم بدويًا أعرابيًا، فإنّ الوحشي من الكلام يفهمه من النّاس كما يفهم السّوقي رطانة السّوقي و كلام النّاس في طبقات كما أنّ النّاس في طبقات، فمن الكلام الجزل و السّخيف و المليح و الحسن و القبيح و السمج و الخفيف و الثّقل و كلّه عربيّ" ².

و بهذا فقد جعل اللفظ الرّكن الأساس في صناعة الكلام و وقف عند المعنى و هو يستند إلى كلام أهل المعرفة و الخبرة و ينقل نظرياتهم في البلاغة. فيقول: " و قال من علم حقّ المعنى أن يكون الاسم له طبقًا و تلك الحالة و فقا، و يكون الاسم له فاضلا و لا مفضولا و لا مقصّرًا و لا مشتركا أو مضمّنًا و يكون في ذلك ذاكرًا لما عقد عليه أول كلامه و يكون تصفّحه لمصادره في وزن تصفّحه لموارده و يكون لفظه موفقًا و مدار الأمر على إفهام كلّ قوم طاقتهم و الحمل على أقدار منازلهم" ³.

و قد ينهج الجاحظ المنهج التّفصيري في توضيح قضية اللفظ و المعنى في الاستعمال البلاغي و يعطي للمتكلّم الحقّ هذا الاستعمال

¹ _ المرجع السّابق: ج1، ص76.

² _ المرجع نفسه: ج2، ص8.

³ _ المرجع السّابق: ج1، ص91.

في مجالاته و مواقفه و هو صاحب مقولة لكلّ مقام مقال فيقول في أنواع الكلام " و لكلّ ضرب من الحديث ضرب من اللفظ و لكلّ نوع من المعاني نوع من الأسماء. فالسّخيف للسّخيف، و الخفيف للخفيف، و الجزل للجزل، و الإفصاح في موضع الإفصاح، و الكناية في موضع الكناية، و الاسترسال في موضع الاسترسال"¹. فالجاحظ في منهجه البلاغي يحتكم إلى فنيّة الصنّاعة البلاغيّة التي تتولّد عن اللّغة

و أنّ عبقرية الأديب تتجلّى في تعامله مع اللّغة التي هي في أصلها ألفاظ يعبر بها عن معان في استخدامها، فإذا ما تأنّق في اصطفاء اللفظ و أجاد في التّركيب.

امتلك قدرة على التّعبير عن المعاني و جاء عطاؤه الفنّي ثراء لأنّ ظاهرة المزوادة بين اللفظ و المعنى صريحة في أدبيات الجاحظ، و في نقده الذي يضمن به أسباب التّوازن بينهما كقوله في البيان و التّبيين مثلاً:

" لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتّى يسابق معناه لفظه و لفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك." ² و هذا التّلازم و التّداخل في الصّورة الطّبيعيّة التي لا تقبل الفصل بين عنصري اللفظ و المعنى هي ذاتها قناعة منطقيّة في منهج عبد القاهر، و قد استعان بهذا المفهوم النّقدي الذي يتبنّاه الجاحظ المحدّد لفاعليّة التّطبيق مع النّصّ الأدبي في التّحليل الشّعري كما يتّضح ذلك في تطبيقاته الأدبيّة و منها دراسته لهذه الأبيات³:

و لَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ
و مَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ
هُوَ مَاسِحٌ

¹ _ الحيوان: ج3، ص39.

² _ الجاحظ: البيان والتّبيين: ج1، ص91.

³ _ ينظر أسرار البلاغة : ص هـ تحقيق ريتنر.

وَ شَدَّتْ عَلَى دُهُمِ الْمَهَارَى رِحَالَنَا
هُوَ رَائِحُ

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا
الْأَبَاطِحُ

و تجدر الإشارة أنّ هذه الأبيات قد مرّت دراستها مع كثير من اللغويين و النقاد

و الدارسين على مرّ العصور، و قد نسبت إلى الشاعر كثير عزة، و إلى يزيد بن الظّثرية، و إلى عقبة بن كعب بن زهير، و نصيب، و المضرب. و ما من دارس لهذه الأبيات إلاّ و قد استحسّن جمالها، فمن القدماء ابن قتيبة في كتاب الشعر و الشعراء¹.

و ابن جنّي في الخصائص²، و أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين³، و قدامة بن جعفر في كتاب نقد الشعر⁴. و ابن طباطبا في كتابه عيار الشعر⁵. و أمّا في العصر الحديث فنجد دراسة عبّاس محمود العقّاد في كتابه مراجعات في الآداب و الفنون⁶، و مصطفى ناصف في كتابه نظريّة المعنى في النّقد العربي⁷.

1_ الشعر و الشعراء : ج1، ص 9، 10، 11، 12.

2_ الخصائص : ابن جنّي: ج1، ص 217، 218، 219، 220.

3_ كتاب الصناعتين : أبو هلال العسكري: ص42.

4_ نقد الشعر : قدامة بن جعفر: ص33، 34.

5_ عيار الشعر: ابن طباطبا: ص84، 85.

6_ المجموعة الكاملة مراجعات في الآداب والفنون: دار الكتاب اللّبناني ط1، 1983م : ص494، 495.

7_ نظريّة المعنى في النّقد العربيّ: مصطفى ناصف: دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع، ط3، دت. بيروت، لبنان : ص95، 96، 97.

فقد نال الجاحظ شهرة السبق في طرح قضية اللفظ و المعنى في نصّه المشهور، إذ يقول: " و المعاني مطروحة في الطّريق يعرفها المعجمي و العربي، و البدوي و القروي و إنما الشأن في إقامة الوزن، و تخير اللفظ، و سهولة المخرج و كثرة الماء، و في صحة الطبع و جودة السبك"¹.

و ربّما يظنّ القارئ لهذا النصّ في أوّل وهلة أنّ الجاحظ من مناصري اللفظ على حساب المعنى فقد جانب الصّواب في تفسيره لمقصد الجاحظ كما وقع الكثير في هذا الظنّ إذ أنّ منطوق النصّ لا يقتصر على اللفظ وحده بل يعدّد عناصر فنيّة تقتضيها صناعة الشّعر و هب متنوّعة كإقامة الوزن و هي من خصوصيات الشّعر و إيقاعاته و تخيّر اللفظ و سهولة المخرج للصّوت و جرسه. و بهذا يكون الجاحظ قد أسّس للبلاغة طرقها و منهجها في لسان العرب.

و للجاحظ تصوّر عميق في إدراك ما تحقّقه البلاغة في النفوس و ما تجري به أسنة النّاس في الاعتقاد و هو يقف موقف النّاقد لثقافة الاعتقاد الفاسد بسبب الجهل بمعرفة دلالات البلاغة، و ينقل هذا الانتقاد في كتابه: " الحيوان ما نصّه و هو يتكلّم عن النّاس: "يقولون في الإبل أقاويل عجيبة... و ذهبوا إلى الحديث إنّهم إنّما كرهوا الصّلاة في أعطان الإبل لأنّها خلقت من أعناق الشّياطين، فجعلوا (المثل) و (المجاز) على غير جهته فللعرب (أمثال) و اشتقاقات و أبنية و موضع كلام يدلّ عندهم على معانيهم و إرادتهم، و لتلك الألفاظ مواضع آخر، و لها حينئذ دلالات آخر فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب و السنّة و الشّاهد و المثل، فإذا نظر في الكلام و في ضروب من العلم و ليس هو من أهل هذا الشأن هلك و أهلك"².

¹ _الحيوان: الجاحظ: ج3، ص131، 132.

² _المرجع السّابق: ج1، ص152، 153.

و قد شهد القرن الثالث الهجري جمع المسائل الجزئية و التأليف فيه، فقد ظهرت بعض الكتب التي تُعنى بقضايا البلاغة و النقد و الشعر و الأدب بصفة عامّة.

و من الذين ذهبوا هذا المذهب المبرّد (ت285ه) في كتابه الكامل. و كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، و كتاب الشعر و الشعراء لابن قتيبة(ت276ه).

إنّ منهج المبرّد في بحثه للبلاغة، يجمعها بالدراسة الأدبية و اللغوية و لا يحدّد موضوعاً مختصاً بعينه كدراسته للشعر و النثر، فهو يؤلّف و يكتب في كلّ شيء يستهويه من فنون بلاغية و أمور لغوية و أغراض أدبية، و هو يوضّح ذلك في مقدّمة كتابه فيقول:
"هذا كتاب ألفناه يجمع ضروباً من الآداب ما بين كلام منثور، و شعر مرصوف.

و مثل سائر، و موعظة بالغة، و اختيار من خطبة شريفة، و رسالة بليغة.."¹

فهو يظهر جلياً بأنّه صاحب منهج انطباعي يعتمد الذوق مسلماً في عملية الاختيار في كلّ فنّ يروقه إلاّ أنّه يجعل البلاغة مقياسه في كلّ هذه الأمور.

و لقد تمكن ابن قتيبة في التنظير للبلاغة في كلّ كتبه سواء في كتاب الشعر والشعراء أو كتاب تأويل مشكل القرآن أو في كتابه أدب الكاتب.

و عزّز هذا التنظير للبلاغة بضرب الأمثلة من القرآن الكريم، و الحديث النبوي الشريف أو من أصحاب النثر الفني في الخطب و الرسائل ذلك أنّ ممّا يعتدّ به ابن قتيبة في انتقائه للنماذج الأدبية التي بلغت ذروة استحسانه في القيم البلاغية ما يختاره في كتاباته معللاً

¹ المبرّد: الكامل في اللغة والأدب: المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة مصر، ط3، 1417 هـ - 1997 م ص2.

بقوله: " و أجمع الكثير ممّا تريد في القليل ممّا تقول _ يريد الإيجاز محمودا في كلّ الأحوال لجرده الله تعالى في القرآن، و لم يفعل ذلك، و لكنّه أطال تارة للتوكيد، و حذف تارة للإيجاز، و كرّر تارة للإفهام، و لا يجوز لمن قام مقاما في تحضيض على حرب، أو صلح بين عشائر أن يقلّ الكلام و يختصره، و لا إلى من كتب إلى عامّة الناس كتابا في فتح أو استصلاح أن يوجز، و لو كنت كاتباً إلى أهل بلد في الدّعاء إلى الطّاعة، و التّحذير من المعصية كتاب يزيد بن الوليد إلى مروان حين بلغه عنه تلوّثه ببيعته:

" أمّا بعد، فإنّي أراك تقدّم رجلا، و تؤخّر أخرى، فاعتمد على أيتهما شئت و السّلام" لم يعمل هذا الكلام في نفوسهم عمله في نفس مروان، و لكن الصّواب أن يطيل و يكرّر، و يعيد و يحذر¹

و لعلّ جهود ابن قتيبة العلميّة حول القضايا البلاغيّة تظهر جليّة في كتابه تأويل مشكل القرآن أثناء عمليّة الاستعراض للآيات القرآنيّة و محاولة دراستها باستعماله لجميع الوجوه البلاغيّة و لاسيما ما تعلّق بالمجاز خاصّة الذي يوجبه في كلام العرب الذي نزل به القرآن و هو عن أسرار العربيّة فيقول: " و للعرب مجازات في الكلام

و معناها طرق القول و مأخذه، ففيها: الاستعارة و التّمثيل، و القلب، و التّقديم

و التّأخير، و الحذف، و التّكرار، و الإخفاء و الإظهار، و التّعريض و الإفصاح

و الكناية و الإيضاح، و مخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، و الجميع خطاب الواحد

¹ ابن قتيبة: أدب الكاتب، تحقيق: محمّد محي الدّين عبد الحميد، مطبعة السّعادة، بمصر، ط4، ص16.

و الواحد و الجميع خطاب الاثنين، و القصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، و بلفظ العموم لمعنى الخصوص، مع أشياء كثيرة سترها في أبواب المجاز¹.

و لقد تمكّن ابن قتيبة في التّنظير للبلاغة في كلّ كتبه سواء في كتاب الشعر و الشعراء أو كتاب تأويل مشكل القرآن أو في كتابه أدب الكاتب و عزّز هذا التّنظير للبلاغة بضرب الأمثلة من القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف، أو من أصحاب النثر الفني في الخطب و الرسائل ذاك أنّ ممّا يعتدّ به ابن قتيبة في انتقائه للنّماذج الأدبيّة التي بلغت ذروة استحسانه في القيم البلاغيّة ما يختاره في كتاباته معلّلاً بقوله:

" و أجمع الكثير ممّا تريد في القليل ممّا تقول_ يريد الإيجاز_ و هذا ليس بمحمود في كلّ موضع، و لا بمختار في كلّ كتاب، بل لكلّ مقام مقال، و لو كان الإيجاز محموداً في كلّ الأحوال لجرده الله تعالى في القرآن، و لم يفعل الله ذلك، و لكنّه أطال تارة للتوكيد، و حذف تارة للإيجاز، و كرّر تارة للإفهام، و لا يجوز لمن قام مقاماً في تحضيض على حرب، أو صلح بين عشائر أن يقلل الكلام و يختصره، و لا إلى من كتب إلى عامّة الناس كتاباً في فتح أو استصلاح أن يوجز، و لو كنت كاتباً إلى أهل بلد في الدّعاء إلى الطّاعة، و التّحذير من المعصية كتاب يزيد بن الوليد إلى مروان حين بلغه عنه تلوّثه ببيعته:

" أمّا بعد، فإنّي أراك تقدّم رجلاً، و تؤخر أخرى، فاعتمد على أيّهما شئت.

و السّلام" لم يعمل هذا الكلام في نفوسهم عمله في نفس مروان، و لكن الصّواب أنم يطيل و يكرّر، و يعيد و يحذر¹.

¹ ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن: تحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، ط1 1373هـ، 1945م، ص15.

و أمّا أبو هلال العسكري (ت395هـ)، فإنّه يقدّم كتابه المعروف بالصناعتين.

و يحدّد مضمونه بقوله: " رأيت أن أعمل كتابي هذا مشتملا على جميع ما يحتاج إليه في صنعة الكلام نثره و نظمه و يستعمل مما محلولة و معقوده"².

و إنّ صراحة أبي الهلال العسكري في تعظيم البلاغة ليس لها حدود فهو ينزلها المنزلة الثانية بعد تعظيم الله سبحانه و تعالى، فالبلاغة عنده هي أولى العلوم بالتعلّم بعد معرفة الله وهو يبني اعتقاده على فكرة الإعجاز التي يصل إليها طالبها بواسطة البلاغة فيقول: " فينبغي من هذه الجهة أن يقدّم التماس هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله"³.

و كتاب طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي، و كتاب "الشعر و الشعراء" لابن قتيبة (ت276هـ)، و البديع للمعتز (ت296هـ).

و القرن الرابع للهجري، ممّن اهتمّ بالدّرس البلاغي في هذا القرن قدامة بن جعفر (ت337هـ)، صاحب كتاب "نقد الشعر"، حيث أضاف إلى ما ذكر ابن المعتز من أنواع البديع ثلاثة عشر نوعا قدّمها ثلاثين نوعا"⁴. و ألف القاضي الجرجاني

(ت 392هـ) كتاب " الوساطة بين المتنبيّ و خصومه". حيث اهتمّ فيه بالاستعارة الحسنة و القبيحة، الجناس، و التشبيه.. الخ أمّا أبو هلال العسكري (ت395هـ) في كتابه الصناعتين: و تحدّث عن الإنجاز و الإطناب و التشبيه و السرقات الشعريّة و السجع..

1_ أدب الكاتب: ابن قتيبة: ص16.

2_ الصناعتين: أبو هلال العسكري: ص13.

3_ المرجع نفسه: ص9.

4_ البلاغة و الأسلوب: يوسف أبو العدّوس: ص15.

و الازدواج و أضاف بعض أنواع البديع إلى ما ذكره و سابقوه¹.
أمّا القرن 5هـ، فظهرت البلاغة عند الباقلاني (ت403هـ) في كتابه
"إعجاز القرآن"

الذي عقد فيه فعلا وصف وجوه البلاغة، فبيّن فيه جوانب الإعجاز
البياني في القرآن الكريم².

أمّا القيرواني (ت456هـ) فذكر أبوابا في البلاغة و البيان، في كتابه
"العمدة في محاسن الشعر و آدابه".

كذلك نجد الخفاجي (ت466هـ) صاحب كتاب: "سرّ الفصاحة"، و في
هذا الكتاب تظهر فكرة ابن سنان في مناصرته للفظ، و قد أعطى
للّفظ المفردة ثمانية شروط³ حتى تكون فصيحة ، و هو يعرف
الفصاحة في قول موجز هي (الظهور

و البيان⁴) ، و أمّا الشّروط فقد فصلّ فيها القول و بحث عن سرّ
عربيّة اللّفظ كما نطقت بها العرب.

و قد تعرّضت جهود ابن سنان الخفاجي في هذا الشّأن حول
مناصرته للّفظ إلى نقد و انتقاد في عصره و بعده عند كلّ دارس
تعرّض لمسألة اللّفظ و المعنى.

ثمّ جاء الجرجاني (ت471هـ) و وضع أساسا علميا للمعاني و البيان
و جمع متفرّقات البلاغة في كتابيه المشهورين "أسرار البلاغة"، و
"دلائل الإعجاز". و هو موضوع بحثنا.

و قد رأينا كيف أنّ قضية اللّفظ و المعنى برزت لأوّل مرة في شكل
ملاحظات عابرة في صحيفة بشر ابن المعتمر (ت201هـ) ثمّ أثارها
الجاحظ(ت255هـ) _ في البيان و التبيين، و تبعه ابن قتيبة(ت276هـ)

¹ في تاريخ البلاغة العربيّة: عبد العزيز عتيق:ص210.

² المرجع نفسه:ص210.

³ ينظر:سرّ الفصاحة : ابن سنان الخفاجي:ص66_69.

⁴ المرجع نفسه:ص59.

في كتابه الشعر و الشعراء، ثم المبرّد (ت285ه) في كتابه الكامل، ثم اسحاق بن وهب (ت335ه) و قدامة بن جعفر (ت337ه) في نقد الشعر، و أبو هلال العسكري (ت395ه) و ابن سنان الخفاجي (ت466ه) في سرّ الفصاحة، حتّى وصلت إلى عبد القاهر الجرجاني (ت471ه) و أعطاهما دفعا مغايرا لآراء السّابقين، حتّى ظهر ابن الأثير (ت637ه)، و تناول القضية في كتابه المثل السائر، و اقتدى بابن سنان في اهتمامه بالألفاظ، و لم ينهج منهج عبد القاهر، ممّا عطلّ من حركة تطوّر البلاغة

و في استمرارية البحث فيها و مواصلة المنهج الذي تنبّه إليه عبد القاهر على الطريقة الميسرة التي ارتبطت في عمليّة التوافق بين اللفظ والمعنى، و التحامها في جماليّة التعبير البلاغي، و التي احتدم حولها الصّراع بين النّقاد أمدا طويلا، و أخذت مساحة واسعة في حقول البلاغة، و شغلت اهتمام النّقاد في الموازنة بين الاتّجاهات الشعريّة من حيث مقياس المحافظة و التّجديد في المعاني و الألفاظ، و دواعي الصّيغة بين القديم و الحديث¹.

إنّ محاولة الفصل بين اللفظ و المعنى كانت قد سبقت مرحلة الجرجاني في الحكم على العمل الأدبي سواء أكان كلاما نثريا أم شعريا. و كان هذا الحكم في كيفية التّغليب للفظ أو المعنى، و سار البلغاء في إتباع الجاحظ في مقولته: " المعاني مطروحة في الطّريق " . كما سبقت الإشارة إلى ذلك، و لذلك جاءت المبالغة: " في تقديم المبنى على المعنى بعدا واسعا، ممّا جعل النّقاد يقصرون مقدرة الشاعر على استحضار الألفاظ دون المضمون، و يرون أنّ الأداء اللفظي هو دليل المعنى و آلة البيان، و لولاه لما وقفنا على نفس الأديب من معان و أخيلة و عواطف و صور أدبيّة، إذ أنّ براعة الشاعر تتمثّل في أن يأتي بالمعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا.

¹ ينظر : الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني: ص56.

أو الكبير فيجعله بلفظه خسيسا، كما يذهب إلى ذلك الأصمعي.¹
و نستنتج ممّا سبق أنّ عبد القاهر قد أخذ بعين الاعتبار هذا النزاع
القائم بين أنصار اللفظ و أنصار المعنى، و أوجد له حولا بعد
قراءته الواسعة لأعمال الذين سبقوه
و دفعه كلّ هذا إلى التفكير في إقامة نظرية تخرج البلاغيين من
الصراع المحتدم.

و يقضي على الاختلاف بينهم برؤية جديدة تتلخص صفاتها في عدم
التمييز بين اللفظ و المعنى في أسباب المفاضلة في الحسن و الجمال
الذي يراه القارئ في النصّ عامّة سواء أكان شعرا أم نثرا. فالمقياس
عنده هو الارتكاز على صحّة القاعدة النحويّة و سلامة التعبير في
نظم الكلام. و بذلك استطاع أن يُحوّل مجال البحث من قضية اللفظ و
المعنى إلى مجال النظم، الذي أصبح عنده شبيها بنظرية نقدية تتصل
بالخطاب الأدبي كبناء فني قائم بذاته اتّصالا مباشرا، فهو لا يتعامل
بالألفاظ مجردة من الفنّ و لا بالمعاني منعزلة عن هذا البناء دون
إقامة العلاقات الداخليّة.² و هو ما تتبناه النظرية النقدية الحديثة حاليا
التي: "تحتكم رأسا إلى البعد اللغوي في النصّ الإنشائي، و ذلك
بالبحث عن نوعيّة علاقة الرابطة بين حدث التعبير و مدلول محتوى
صياغته، و لهذه الضوابط الأوليّة التزم النقد الحديث بالنصّ أو
بعبارة أدقّ إنّه يقصر نفسه على نصّ النصّ"³. و إنّ فكرة هذا
الاتّجاه تتمحور أساسا على اعتبار النصّ الأدبي صناعة لغويّة ترتبط
بالفكرة و أسلوبها التعبيري الموحى، و هذا ما يؤمن به عبد القاهر
الجرجاني في تعامله مع الدّراسة الأدبيّة، و يفيد اتّجاهه هذا خلاصة
تصوّره النقدي كما يقول:

¹ ينظر : كتاب الصناعتين: ص57، 58.

² ينظر: المرجع نفسه: ص57.

³ النقد والحداثة : عبد السلام المسدي:ص36.

" و جملة ما أريد أن أبينه لك أنه لا بدّ لكلّ كلام تستحسنه و لفظ تستجيده من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة و علّة معقولة، و أن يكون لنا إلى العبارة عن ذلك سبيل، و على صحّة ما ادّعينا من ذلك دليل"¹. فالعبارة في هذا الاستعمال تشمل اللّغة و الإيحاء، و هي في نظره السّنّد في الحكم، و ما يحتويه من مظاهر الاستحسان و دلائل الجمال، و هي نظرة متقدّمة جدّا في الرّؤية النّقديّة سبقت عصرها، لأنّ الفصل في الأثر الأدبي بين شكله و مضمونه يعرض النّقد الأدبي إلى ممارسة عميقة لا طائل من ورائها، لذلك يجد الباحث الاتّجاهات النّقديّة الحديثة تسعى إلى إقامة الأحكام في العمل الأدبي: " على محور الرّوابط بين الصّيغة التّعبيريّة، و هو الجانب الحسيّ الفيزيائي، من الحدث اللّغوي و الخلفيّة الدّلالية التي تمثّل الجانب التّجريدي المحض"².

فالمسألة النّقديّة تتوزّع بين محورين أساسين هما اللّغة و الصّورة التي تنتجها، فأما اللّغة فهي التي تصنع التّركيب للخطاب الأدبي داخل نظام من الجمل و الألفاظ و الرّوابط من الحروف كما يشير إليها هذه اللّغة، و توحى إلى ذهن المتلقي ببواعث الانفعال و التّأثير بالسيّاق الكلّي المؤلّف من تلاحم أجزاء النّص من معان و صور.

و لذا كان موقف عبد القاهر يحفل بمؤهلات نقدية بعيدة عما كان يؤمن به السابقون من الدارسين حول عناصر مناصرتهم للألفاظ حيناً و للمعاني حيناً آخر
و إنّ موقف عبد القاهر من أنصار اللّفظ صريح في رفضه لمنهجهم كما تبين من نصّه:

¹ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ص33.

² عبد السلام المسدي: ص37.

" و أمّا رجوع الاستحسان على اللفظ من غير شك من المعنى فيه و كونه من أسبابه و دواعيه فلا يكاد يعدو نمطا واحدا، و هو أن تكون اللفظة ممّا يتعارفه الناس في استعمالهم و يتداولونه في زمانهم و لا يكون وحشيا غريبا أو عاميّا سخيفا...سخفه بإزالتة عن موضوع اللّغة، و إخراجة عمّا فرضته من الحكم.

و الصّفة..فإنّه ربّما استسخر اللفظ بأمر يرجع إلى المعنى دون مجرد اللفظ، كما يحكى من قول عبيد الله بن زياد لما دهش: "افتحوا لي سيفي"، فحقه أن يتناول شيئا هو في حكم المغلق و المسدود و ليس السّيف بمسدود"¹.

فالتّصّ عند عبد القاهر الجرجاني عبارة عن ردود نقديّة على قراءات أدبيّة و بلاغيّة للرّصيد الثّقافي المحصور في زمنه و إسقاط الضّروب من المعارف الثّي كادت تحكمها قاعدة مقيدة بشروط كالتّي ذهب إليها ابن سنان في تحديد فصاحة اللفظة المفردة و سار على طريقته كلّ من جاء بعده، فلم يجاوز عملهم حدّ التّنقل و التّفسير

و التّليخيص لكتابه (سرّ الفصاحة) و قد استفاد ابن سنان كثيرا من أعمال الجاحظ البلاغيّة، و خاصّة ما يمسّ قضيّة اللفظ و المعنى، و لئن كانت هذه المرحلة عرفت ملاحظات من التّطور البلاغي و النّقدي. و كان الارتكاز على عنصري اللفظ

و المعنى شيئا ضروريّا لمقاييس النقاد حين يقومون الشاعر في تجاوبه مع الألفاظ

و المعاني كما فعل الأمدي في حكمه على أبي تمام بقوله: " و ليس أبو تمام ممن يذهب هذا عليه، و لكن يسامح في ألفاظه فيقع الغلط عليه عند كلال خاطره"².

¹ _ الأمدي: الموازنة:ص505.

² _ ابن سنان: سرّ الفصاحة:ص71.

و من هذه العتبة النقديّة كانت زوبعة الخصومة بين القدماء و المحدثين، و كانت المفاضلة، و كان التّقييم للقيمة الفنيّة التي يحظى بها كلّ شاعر في اتّباع المألوف المطبوع أو في انتهاج المبتدع المصنوع، و قد اقتنع بعض الدّارسين الغربيّين بهذه الأحكام على التّراث الشّعبي العربي، و أقام عليه مقاييس على قدر تفهّمه للنّقد العربي و استيعابه لباب الموازاة الأدبيّة كقوله:

" إذا ما قارنا المتنبي...بأبي نواس فإنّ المتنبي يظلّ مخلصا بشكل أساسي لتقاليد الشّعري العربي، تلك التّقاليد التي تقوم على إيجاد تعبير شخصي متقدّم، نابع أساسا من الشّكل مع مضمون معترف به، و معتمد من خلال الاستعمال"¹.

إلا أنّ هذه الأحكام قليلة النّفع في السّير بالبلاغة قدما على وجه التّوجه الدّي التفت إليه عبد القاهر حين استفاد هو كذلك بدوره من سابقه، و استطاع أن يتحكّم في حلقة البحث على طريقة الاستمرار في عمليّة الاكتشاف و الإبداع في التّنظير النّقدية و البلاغي و التطبيق عليهما، حيث غير مباحث اللفظ و المعنى على اعتبارهما دعامتين من دعائم النّصّ الأدبي و أداتين ضرورتين في تكوين ظاهرة النّظم و أكّد على حتميّة المطابقة بين اللفظ و المعنى فقال:

" إذ الألفاظ خدم المعاني و المصرفة في حكمها، و كانت المعاني هي المالكة سياستها، المستحقة طاعتها فمن نصر اللفظ على المعنى كان أزال الشّيء عن جهته، و أحاله عن طبيعته و ذلك مظنة من الاستكراه، و فيه فتح أبواب العين و التّعريض للشين"².

يقرّر عبد القاهر في هذا المنطلق ضرورة التّلاحم بين الألفاظ و المعاني و ينفي فكرة عزل اللفظ عن المعنى و ينقد بشدّة أصحاب

¹ _المرجع نفسه: ص71.

² _الأمدي: الموازنة: ص505.

هذا الاتجاه الذين يهتمون بطرف دون الآخر، و ربّما أحسن الدّارس من موقف عبد القاهر من هذه القضية ردّا نقديًا خاصًا بالجاحظ باعتباره مؤسسًا للفكرة بقوله المشهور الذي تداوله الدّارسون على ظاهره أحيانًا. " و المعاني مطروحة في الطّريق يعرفها العجمي و العربي و البدوي و القروي و المدني، و إنّما الشّأن في إقامة الوزن و تخيّر اللفظ و سهولة المخرج و كثرة الماء و صحّة الطّبع و جودة السّبك"¹.

و لعلّ الذي يحكم على نصّ الجاحظ بأنّه من مناصري اللفظ على حساب المعنى فقد جانب الصّواب في تفسيره لمقصد الجاحظ كما وقع الكثير في هذا الظنّ، إذ إنّ منطوق النّصّ لا يقتصر على اللفظ وحده، بل يعدّد عناصر فنيّة تقتضيها صناعة الشّعر، و هي متنوّعة كإقامة الوزن، و هي من خصوصيات الشّعر و إيقاعاته. و تخيّر اللفظ، و سهولة المخرج للصّوت و جرسه، و في صحّة الطّبع، و جودة السّبك، فالطّبع عنده من دواعي الأصالة في التّعبير الفنّي دون التّكلف و السّبك هو ما كان من أحكام الأسلوب، و تركيب في العبارة، و الدليل على هذا التّصوّر يعزّزه قول الجاحظ نفسه: " فإنّما الشّعر صناعة، و ضرب من الصّيغ، و جنس من التّصوير"².

فإذا ما اطمأنّ الدّارس إلى قبول هذا الرّأي فإنّه يستنتج أنّ الجاحظ يحتكم إلى فنيّة الأدب المتولّدة عن اللّغة، و أنّ عبقرية الأديب تتجلّى في تعامله مع اللّغة التي هي في أصلها ألفاظ يعبر بها عن معان في استخدامها، فإذا ما تأنّق في اصطفاء اللفظ

¹ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني: ص256.

² المصدر نفسه: ص5.

و أجاد في التركيب، امتلك قدرة على التعبير عن المعاني، و جاء عطاؤه الفني ثرا لأن ظاهرة المزاجية بين اللفظ و المعنى صريحة في أدبيات الجاحظ و في نقده الذي يضمن به أسباب التوازن بينهما، كقوله في (البيان والتبيين) مثلا:

"لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه و لفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"¹.

و هذا التلازم و التداخل في الصورة الطبيعية التي لا تقبل الفصل بين عنصري اللفظ و المعنى، هي ذاتها قناعة منطقية في منهج عبد القاهر، و قد استعان بهذا المفهوم الجاحظي النقدي المحدد لفاعلية التطبيق مع النص الأدبي في التحليل الشعري كما يتضح ذلك في تطبيقاته الأدبية، و منها دراسته لهذه الأبيات:

وَ لَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ
هُوَ مَاسِحٌ
وَ مَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ

وَ شَدَّتْ عَلَى دُهُمِ الْمَهَارَى رِحَالُنَا
هُوَ رَائِحٌ
وَ لَمْ يُنْظَرْ الْعَادِي الَّذِي

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا
الْأَبَاطِحُ
وَ سَأَلَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ

فيقول: " ثم راجع فكرتك و اشذ بصيرتك، و أحسن التأمل، و دع عندك التجوز في الرأي، ثم انظر هل تجد لاستحسانهم و حمدهم و ثنائهم و مدحهم منصرفا إلا إلى استعارة وقعت موقعها و أصابت غرضها، أو حسن تكامل معه البيان حتى وصل المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع، و استقرّ في الفهم مع وقوع العبارة في الأذن"².

¹ الجاحظ: الحيوان: ج3، ص131.132.

² المرجع السابق: ج3، ص131.132.

فبعد القاهر في هذا الحكم النقدي يحذو حذو الجاحظ في المنطلقات القياسية التي نظر لها في الترتيب الهادي إلى عملية القبول كما يجري في مجالات الإبداع الفني سواء أ كان شعرا أم نثرا، و يتابعه حتى في توظيفه لمسميات الأشياء المادية التي يعول عليها الدارسون في مضارب الموقع، و الاستجابة كالقلب و السمع و الأذن، و قد حاول عبد القاهر أن يعطي إضافات في هذا الصدد ، و في كيفية جريان عملية التفاعل مع الأثر الأدبي حينما يصل عند المتلقي ذلك الإحساس الواعي بالفهم.

و الإدراك بالشيء و بآثاره فيقول:

" و القياس يجري فيما تعيه القلوب و تستفتي فيه الأفهام و الأذهان لا الأسماع
و الأذان"¹.

فتأثر عبد القاهر بالجاحظ واضح في مبدأ الموافقة الذي يسير عليه، و يقابله في هذا الصدد مبدؤه الثاني في المخالفة، و يظهر في نقده و مخالفته لرأي ابن قتيبة حتى يقول: " و الذي له صاروا كذلك أنهم حين رأوهم يفردون اللفظ عن المعنى

و يجعلون له حسنا على حدة، و رأوهم قد قسّموا الشعر فقالوا: إن منه ما حسن لفظه و معناه و منه ما حسن معناه دون لفظه"².

و هذا انتقاد صريح لمنهج ابن قتيبة أن ينقد الشعر من أربع زوايا تتلخص في الأوجه الآتية:

لفظ جيّد يقابله معنى جيّد.

لفظ جيّد يقابله معنى تافه.

لفظ قاصر يقابله معنى جيّد.

لفظ قاصر يقابله معنى قاصر.

¹ _البيان والتبيين: الجاحظ:ج1،ص91.

² _أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني:ص16.

و تكون الحالة الأولى هي طموح الشاعر الحق، و هي مبتغاه بينما تبقى الحالات الثلاث الأخرى غير متوافقة في الطرفين"¹.

و قد نهج أبو حيان التّوحيدي هذا المنهج في الاقتداء بابن قتيبة و حاول أن يخالفه بعض الشيء في محاولة طرحه للتمييز بين مصطلحي الجودة و الحسن تفضيله للشيء الجيّد على الشيء الحسن حين قرّر: "...أنّ مدار الكلام على أربعة أركان منها:

ما جاد لفظه و معناه.

و ما حسن لفظه و معناه.

و ما جاد لفظه و حسن معناه.

و ما حسن لفظه و جاد معناه.

فإنّ ثلاثة أركان من هذه الأربعة قد تهدّمت و تداعت و أن المفرع إلى الأوّل"².

و يواصل عبد القاهر الجرجاني عرضه لأفكار سابقه بقوله:

" و أروهم يصفون اللفظ بأوصاف لا يصفون بها المعنى، ظنّوا أنّ اللفظ من حيث هو لفظ حسنا و مزية و نبلا و شرفا"³.

و هذا انتقاد كذلك صريح لمنهج ابن سنان الخفاجي. إنّ الدّوافع التي جعلت عبد القاهر يشدّد الخناق على أنصار اللفظ تعود بالدرجة الأولى إلى تحديد مفهومه من نظريّة النّظم التي لا تقبل في الأساس هذه الانعزاليّة اللفظيّة في المشاركة في صناعة الكلام، كما ليس المعنى وحده في مرجعيّة هذا الجمال، و إنّما يكون جمال كلّ ذلك في بنية السّياق العام، إذ يقوم السّياق بمهّمة تنظيم أجزاء الصّورة الأدبيّة و إخراجها بأدوات فنيّة متلاحمة تشترك فيها معاني النّحو و بواعث

¹ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني:ص275.

² الشّعر والشّعراء: ابن قتيبة:ص27،24.

³ ثلاث رسائل لأبي حيان التّوحيدي رسالة في العلوم، تحقيق إبراهيم الكيلاني، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات الفرنسيّة، د.ط، 1951م، ص205،206.

لغويّة و عوامل بلاغيّة كما يقول عبد القاهر مفسّراً هذه العلائق المتداخلة المتلاحمة:

" و جملة الأمر أنّه لا يكون ترتيب في شيء حتّى يكون هناك قصد إلى صورة

و صنعة، و إن لم يقدّم فيه ما قدّم و لم يؤخّر فيه ما أخر، و بدأ بالذي ثني به، أو ثني بالذي ثلث له، لم تحصل لك تلك الصّورة و تلك الصنعة"¹. و إذا كان كذلك فينبغي أن ينظر إلى الذي يقصد واضع الكلام أن يحصل له من الصّورة.

و الصنعة، أ في الألفاظ يحصل له ذلك أم من معاني الألفاظ، و ليس في الإمكان أن يشك عاقل إذا نظر أنّ ليس ذلك في الألفاظ، و إنّما الذي يتصوّر أن يكون مقصودا في الألفاظ هو الوزن، و ليس هو من كلامنا في شيء، لأننا نحن فيما لا يكون الكلام كلاماً إلاّ به و ليس للوزن مدخل في ذلك"².

¹ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: ص254، 255.

² المصدر نفسه: ص278.

الفصل الرَّابِع:

الدَّرْس البِلاغِي

لدى عبد القاهر الجرجاني

إنَّ اهتمام عبد القاهر الجرجاني بمفهوم البيان يتحقَّق في المسائل البيانيَّة الخمس وهي التَّشبيهِ ، التَّمثِيل ، المِجَاز ، الاسْتِعَارَة ، الكِنَايَة .
تحوم آراء علماء البلاغة العربيَّة حول البيان في مقصد عام واحد على الرَّغم من أنَّ أساليب تعريفاتهم للسان، تتنوّع من حيث صياغة التَّعريف، غير أنَّهم يتَّفَقون في المعنى العام و هو أنَّ البيان له معنى واسع يشمل البلاغة كلَّها، و يكاد كلُّ العلماء كما يرى الدَّكتور أحمد مطلوب و هو المختصُّ في البلاغة _ " يجمعون على أنَّ البيان هو الإفصاح عمَّا في النَّفس من المعاني و الأحاسيس و هذا معنى أدبي

جميل أعطى البلاغة حياةً وأكسبها رونقا و فتح أمامها السبيل لتخوض في موضوعات أدبيةً بديعة¹.

و إذا كان القصد من البيان لغة هو ما يبين به الشيء من الدلالة و غيرها ، و بان الشيء : اتضح فهو بيّن، و استبان الشيء : ظهر ، و البيان : الفصاحة و اللّسنُ مع الذكاء . و البيان : إظهار المقصود بأبلغ لفظ ، و هو من حسن الفهم.و ذكاء القلب مع اللسن ، و أصله الكشف و الظهور² .

" و منه قيل : بانّت المرأة ، إذا انقطعت العِصمةُ بينها و بين زوجها . و قيل : منه غراب البين"³ .

فالبيان في معناه اللغوي لا يخرج عن الكشف و الإيضاح ، و إظهار المقصود بأبلغ لفظ . و عليه اعتمدت اللغة العربية بلاغتها و فصاحتها.

و أمّا اصطلاحاً فهو الكلام المُعبر عما يختلج في نفس الإنسان و ما يدور في خاطره ، مع وضوحه و سلاسته في اللسان ، و حسن موقعه على الأسماع ، و سهولة رسوخه في الأذهان و ملاءمته في كل زمان و مكان .

1. التشبيه:

أ. لغة: الشبه و التشبيه لغة: المثل، و أشبه الشيء: ماثله و أشبهت فلانا و شابته و اشتبه علي⁴.

ب. اصطلاحاً:

1 _ فنون بلاغية : (البيان _ البديع) : أحمد مطلوب: دار البحوث العلميّة: ط1. 1395هـ. 1975م، ص20.

2- لسان العرب: ابن منظور ، مج13 ، ج13 ، ص 78 .

3- نكت الانتصار لنقل القرآن:أبو بكر الباقلاني: تحقيق محمد زغول سلام:منشأة المعارف:دراسات قرآنية:ط1. 2008م، ص 256 .

4 _ لسان العرب: ابن منظور :مادة " شبه".

عرّفه الباقلاني: " و أمّا التّشبيه فهو العقد على أحد الشّيئين يسدّ مسدّ الآخر في حسن أو عقل".¹

أمّا قدامة بن جعفر: عرّفه: "إنّ التّشبيه يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما و يوصفان بها، و افتراق في أشياء ينفرد كلّ واحد منها عن صاحبه بصفاتها".²

والقيرواني عرّفه ب: "التّشبيه صفة الشّيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو من جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنّه لو ناسبه مناسبة كليّة كان إيّاه".³

أمّا الجرجاني فعرّفه ب: "التّشبيه أن يثبت لهذا معنى من معاني ذلك أو حكما من أحكامه".⁴

حيث قال عبد القاهر: " و هكذا كلّ متعاطٍ لتشبيهه ضريح لا يكون نقل اللفظ من شأنه ولا من مقتضى غرضه، فإذا قلت: "زيد كالأسد" و " هذا الخبر كالشمس في الشّهرة" و "له رأي كالسيّف في المضاء" لم يكن منك نقل للفظ عن موضوعه. و لو كان الأمر على خلاف ذلك لوجب أن لا يكون في الدّنيا تشبيه إلاّ و هو مجاز.

و هذا محال لأنّ التّشبيه معنى من المعاني و له حروف وأسماء تدلّ عليه فإذا صرّح بذكر ما هو موضوع للدّلالة عليه كان الكلام حقيقة كالحكم في سائر المعاني فاعرفه".⁵

و الناظر في بحوث عبد القاهر يرى أنّ التّشبيه و لاسيما التّمثيل لا يمكن أن يكون حقيقة و إنّما هو تخيل في أغلب صوره البديعية. و

¹ _إعجاز القرآن: الباقلاني، تعليق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت ط.1. 1991م، ص125.

² _نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة، مكتبة الخانجي ط.1. 1978م، ص159.

³ _المرجع السابق: ص159.

⁴ _أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني ص68.

⁵ _المصدر نفسه: ص221، 222.

يُتَّضح ذلك في تقسيمه للتشبيه إلى ضربين: أحدهما أن يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج فيه إلى تأوّل، و الآخر أن يكون الشّبه محصّلاً بضرب من التّأوّل¹.

والتّشبيه صريح وغير صريح، فالصّريح مثل أن نقول: " كأن زيدا الأسد " فنذكر كلّ واحد من المشبه و المشبه به، و غير الصّريح أن نسقط المشبه به من الذكر ونجري اسمه على المشبه مثل " رأيت أسداً " أي رجلاً شبيهاً بالأسد².

2. التّمثيل:

التّمثيل هو التشبيه الذي يكون فيه الشبه فيه مننزعاً من العقل و غير حقيقي و يحتاج إلى تأوّل، و إنّ تشبيهه خاص فكّل تمثيل تشبيهه و ليس كلّ تشبيه تمثيلاً، و إنّ تشبيهه عقلي³.

كما ذكر التّمثيل المقلوب و التّمثيل غير المقلوب، فالأوّل لا يحتاج إلى تأوّل و الثّاني يحتاج إلى تأوّل و تخيّل.

1. المجاز:

لقد كان للمجاز حصّة الأسد في كتب البلاغة و النّقد، و أخذ تعريفه الدّقيق حينما ألف كتابيه دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة، و قد أوضح معنى الحقيقة قبل كلّ شيء و قال: " اعلم أنّ حدّ كلّ واحد من وصفي المجاز و الحقيقة إذا كان الموصوف به المفرد غير حدّه إذا كان الموصوف به الجملة. و أنا أبدأ يحدّهما في المفرد: كلّ كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضح و إن شئت قلت في مواضع وقوعاً لا تستند فيه إلى غيره فهي حقيقة. و هذه العبارة تنتظم الوضع الأوّل و ما تأخّر عنه كلغة تحدث في قبيلة من العرب أو في جميع العرب أو في جميع النّاس مثلاً أو تحدث اليوم. و يدخل فيها

¹ المصدر السّابق: ص 80.

² المصدر نفسه: ص 353.

³ المصدر نفسه: ص 221، 223.

الإعلام منقولة كانت كزيد و عمرو أو مرتجلة كغطفان و كلّ كلمة استؤنف لها على الجملة مواضعة أو ادعي الاستئناف فيها"¹.
عرّفه عبد القاهر الجرجاني قائلاً: "المجاز مفعّل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه.

و إذا عدل باللفظ عمّا يوجبه أصل اللّغة وصف بأنّه مجاز على معنى أنّهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أو لا"².

4. الاستعارة:

عرّفها قدامة بن جعفر: " هي استعارة بعض الألفاظ في موضع بعض على التوسّع و المجاز "³.
الرّماني عرّفها: " الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللّغة.

و مثل لها بقول الحجاج: " إني أرى رؤوسا قد أينعت و حان قطافها "⁴.

الأمدي عرّفها: "هي استعارة المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه أو يدانيه و يشبهه في بعض أحواله أو كان سببا من أسبابه"⁵.
أمّا أبو هلال العسكري فعرّفها: " الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللّغة إلى غيره بغرض "⁶.

و السّكاكي: " الاستعارة أن تذكر أحد طرفي التّشبيه و تريد به الطّرف الآخر مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبّه به دالًّا على ذلك بإثباتك للمشبّه ما يخصّ المشبّه به"¹.

¹ _المصدر السابق: ص324.

² _المصدر نفسه: ص356.

³ _علم البيان: عبد العزيز عتيق: ص169.

⁴ _المرجع نفسه: ص173.

⁵ _المرجع نفسه: ص174.

⁶ _المرجع نفسه: ص174.

و عرّفها الخطيب القزويني: " الاستعارة مجاز علاقته تشبيه معناه بما وضع به، و كثيرا ما تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به في المشبه فيسمى المشبه به مستعارا منه. و المشبه مستعارا له. و اللفظ مستعارا"².

و الجرجاني قال عنها:

"الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا تدلّ على أنه اختصّ به حين وضع، ثمّ يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل.

و ينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية³.

الكناية لغة : أن تتكلم بشيء و تريد غيره ، و كُنّي عن الأمر بغيره يكني كناية يعني : إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه ، و تَكْنَى : تستر من كُنّي عنه إذا وَرَى ، أو من الكنية⁴ .

أمّا اصطلاحا : هو " أن يُريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، و لكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردّفه في الوجود ، فيومئ به إليه و يجعله دليلاً عليه"⁵ .
عرّفها قائلاً:

"المراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، و لكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردّفه في الوجود، فيومئ به إليه و يجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قوله: " هو طويل النجاد" يريدون طويل القامة "و كثير رماد القدر" يعنون كثير القرى و في المرأة "نؤوم الضحى" و المراد أنّها مترفة

1_ المرجع نفسه: ص173.

2_ المرجع نفسه: ص175.

3_ المرجع نفسه ص173.

4- لسان العرب: ابن منظور ، مج15 ، ج15 ، ص270 .

5-دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني ، ص66 .

مخدومة لها من يكفيها أمرها، فقد أرادوا في هذا كله كما ترى معنى لم يذكروه بلفظه الخاصّ به و لكنّهم توصّلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود... أفلا ترى أن القامة إذا طالت الطال النّجاد، و إذا كثر القرى كثر رماد القدر، و إذا كانت المرأة المترفة لها من يكفيها أمرها، ردف ذلك أن تنام الضّحي"1.

ربط علم المعاني بعلم البيان عند عبد القاهر الجرجاني:

من اللّافت للانتباه أنّ مصطلح النّظم ظهر في مسيرته مع العلماء الباحثين في قضايا الإعجاز على الرّغم من أنّه مصطلح لغوي قائم على فكرة التّأليف عامّة، و قد يتحقّق هذا القول حين نستعرض الأعلام الذين كتبوا في النّظم و هم ممّن تعرّضوا في دراساتهم للحديث عن بلاغة القرآن و إعجازه و جاؤوا بالشّواهد بالآيات القرآنيّة التي تدلّ على ذلك و ذهبوا إلى تفسيرها و خلصوا إلى أدبيّة التّفسير معتمدين على التّفسير البياني الذي أصبح فيما بعد منهجا من تفاسير القرآن الكريم، و من ثمّ تعدّدت المناهج .

ظهر النّظم عند: ابن المقفع، سيبويه، الجاحظ، ابن قتيبة، المبرّد، العسكري. القيرواني، الواسطي، الرّماني، الخطابي، الباقلاني، آبادي، الجرجاني.

و نجد النّظم قد ورد تعريفه في لسان العرب على أنّه: " يرادف التّأليف نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السّلك و التّنظيم مثله و منه نظمت الشّعرو كلّ شيء قرنته بآخر أو ضمنت بعضه إلى بعض، و النّظم نظمك الخرز بعضه إلى بعض في نظام واحد كذلك هو في كلّ شيء"2.

1_ المصدر نفسه: ص 66.

2_ لسان العرب: جمال الدّين محمّد مكرم بن منظور، دار صادر للطّباعة والنّشر 1388هـ-1968م، مجلّد 12، ص 578.

و عرّفه فيروز أبادي في القاموس المحيط: "النّظم التّأليف و ضمّ شيء إلى آخر.

و نظم اللؤلؤ ينظمه نظماً ونظاماً ونظمه ألفه وجمعه في السلك وانتظم وقد نطمت وأنظمت وهي ناظم ومنظم"¹.

أمّا اصطلاحاً: فهو "تنسيق دلالة الألفاظ و ثلاثي معانيها بما تقوم عليه من معاني النحو المتخيّرة، الموضوعة في أماكنها على الوجه الذي يقتضيه العقل"².

مصطلح النّظم:

لقد عالج قدماء اليونان ظاهرة النّظم منهم أرسطو في: "فنّ الخطابة" و عالجها الهنود في كتبهم، و أقدم إشارة إلى فكرة النّظم كانت عند ابن المقفع³.

ثمّ تحدّث عنها الجاحظ في بعض كتبه، و ابن قتيبة في "مشكل تأويل القرآن" أو سليمان الخطابي (ت388هـ)، ثمّ القاضي عبد الجبار (415هـ) و هو القائل:

" اعلم أنّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، و إنّما تظهر في الكلام بالضمّ على طريقة مخصوصة، و لا بدّ مع الضمّ من أن يكون لكلّ كلمة صفة، و قد يجوز في هذه الصّفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضمّ، و قد تكون بالإعراب الذي لم يدخل فيه، و قد تكون بالموقع"⁴.

فكرة النّظم عند المتكلمين وأصحاب الإعجاز:

¹ القاموس المحيط: محمّد بن يعقوب: الفيروز أبادي، بيروت، المؤسسة العربيّة للطباعة و النّشر، د.ط. 1952م، ج4، ص282، 283.

² التراكيب النّحويّة و سياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني: صالح بلعيد، ديوان المطبوعات الجامعيّة، د.ط، 1994م، ص38.

³ نظريّة النّظم: وليد محمّد مراد: ص57.

⁴ المرجع السّابق: ص61.

تناول الرّمانى (ت 386هـ) الحديث عن النّظم في إشارات تفسّر
وظيفة النّظم:

في كتابه النّكت في إعجاز القرآن: في باب وسمه ب: " التّلاؤم "،
فالنّظم عنده هو

" التّلاؤم ". " التّلاؤم نقيض التّنافر، و التّلاؤم: تعديل الحروف في
التّأليف

و التّأليف على ثلاثة أوجه: متنافر، و متلائم في الطّبعة العليا هو
القرآن كلّهُ.¹

أمّا الخطابي (ت388هـ): قال فيه: " اعلم أنّ القرآن إنّما صار مُعْجِزًا
لأنّه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التّأليف، مضمّنًا أصحّ
المعاني " ².

يقول محمّد مندور في كتابه: " في الميزان الجديد " أنّ الجرجاني: "
استمدّ نظريّة النّظم من الجاحظ في خطوطها العريضة"³.

ففي بداية القرن الخامس الهجري ظهرت فكرة النّظم عند الجرجاني،
و النّظم في تصوّره " فلا يمكن تصوّر النّظم إلّا من خلال علاقات
متشابكة بين أجزاء الكلام " ⁴.

إنّ النّحو بينّ لنا فائدة الكلام، و معناه مباشرة، و لكنّ النّظم لا
يتوقّف عند هذا المعنى، و إنّما يجعلنا نصل إلى معنى المعنى:
فالقضيّة ليست معرفة النّحو

1_ النّكت في إعجاز القرآن: الرّمانى: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: تحقيق: محمّد
خلف الله و محمّد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1968م، ص88.

2_ بيان المجاز القرآني: الخطابي: تحقيق د. محمّد خلف أحمد، و د. محمّد زغلول
سلام، ص123.

3_ في الميزان الجديد: محمّد مندور: نهضة مصر للطباعة والنّشر
والتّوزيع:يناير، 2004م، ص428.

4_ من أسرار التّركيب البلاغي: من أسرار التّركيب البلاغي، المكتبة
التّوفيقيّة، القاهرة، ط1977، 1م، ص7.

و الصّرف و إنّ الأمر معرفة بمعاني العبارات و وضعها
مواضعها، و فائدة

هذه العبارة_ إذا جاءت على هذا السّياق، أو ذاك، و مدى ما
استطاعت أن تحقّقه من الدّلالات"¹.

فالنظم عنده هو : " ليس سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، و جعل
بعضها بسبب من بعض. و الكلم ثلاث: اسم، و فعل، و حرف، و
للتّعلق فيما بينها طرق معلومة و هو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم
باسم ، و تعلق اسم بفعل، و تعلق حرف بهما "².

و من هذا النظم الذي لا يتعلّق إلاّ بالكلم كان ظهوره فكرة الإعجاز
التي لا تتجاوز أسرار النّظم و يعودُ قصب السّبق في التّأكيد على هذا
الاكتشاف إلى الجرجاني بصورته الواضحة و قد جاء الدّارسون من
بعده و ساروا على مذهب الجرجاني في كلّ زمن ، و لعلّ من الدّين
يعلنون تأثرهم في القصر مع التّعليل لذلك الدّكتوراه عائشة بنت
الشّاطي، حيث تأثرت منهج عبد القاهر الجرجاني في قضيّة الإعجاز
بمنهج عبد القاهر الجرجاني في قضيّة الإعجاز، و أحاطت المسألة
بنبوع من التّحديد البياني و هي تتابع فكرة الإعجاز عند علماء
العرب و قصدت تحليل طريقة عبد القاهر في فهمه للإعجاز، فهي
ترى أنّ الجرجاني قد استبعد ستّة احتمالات فيما يتعلّق بالإعجاز،
فهو لا يتعلّق بالكلمات من حيث هي حروف و لا في معاني كلمات
القرآن أو المقاطع و الفواصل في جمل القرآن، و لا في خفّة
الحروف أو في الآيات التي فيها استعارة"³.

¹ _قضايا النّقد الأدبي: محمّد زكي العشماوي: ،طبعة دار الكتاب العربي، د.ب
،ص313.

² _دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني:ص5.

³ _الإعجاز البياني للقرآن: عائشة عبد الرّحمن بنت الشّاطي، دار المعارف، ط3،
1391هـ، 1971م. ص100.

إنّما الإعجاز في نظم القرآن و تستدلّ بنت الشاطي بنصّ عبد القاهر في حصره للإعجاز بقولها إنّما الإعجاز في نظم القرآن بقول عبد القاهر " فإذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن في شيء ممّا عدناه، لم يبق إلا أن يكون في النظم... و لا يمكن أن تجعل الاستعارة الأصل في الإعجاز و أن يقصر عليها، لأنّ ذلك يؤدي إلى أن يكون الإعجاز في أي معودة في مواضع من السور الطوال مخصوصة... و كذا قد علمنا أن ليس النظم شيئاً غير توحي معاني النحو و أحكامه فيما بين الكلم.¹

و قد تولد هن هذا التوجيه سرّ عظيم في تفسير القرآن الكريم، و لاسيما ما يسمّى بالتفسير البياني الدارسين من المفسرين للقرآن الكريم مناهج تحدّدت بتعريفاتها لدى علماء التفسير، و تعدّدت في طبيعة تناولتها للنص في القرآن الكريم، و تجاذبت في التقارب حول معاني القرآن و مقاصده بسبب الاعتماد على المرتكز اللغوي الذي تصنعه اللغة العربيّة التي نزل بها الوحي، و بها تستجمع هذه المناهج وحدثها دون الخروج عن اللفظ كما ألفه اللسان العربي مُثَبَّتًا في مصادر اللغة العربيّة و آدابها.

و رافدا من روافد الحضارة العربيّة الإسلاميّة، فاعتماد اللغة العربيّة شرط أساس في منهج كلّ تفسير، و بهذا السبب ذاته كان أقرب المناهج ظهورا و نشأة هو المنهج اللغوي، و ردفه المنهج الفقهي يحمل وظيفة استنباط الأحكام الشرعيّة و اختص في أصله بدراسة الأحكام. و المادّة الأصليّة في كلّ تفسير هي اللغة، فمنها يستمد كلّ منهج أدواته، و لما كان المنهج البياني أحد المناهج يأخذ عدته من اللغة عينها

و يميل بها إلى استقصاء البلاغة و يبتغي مرادا في مقصدية إبراز القيم الجماليّة

¹ _ المرجع نفسه: ص110.

و ذلك باستكناه الصّور البيانيّة الحاملة لدلالات معاني الجمال و الإعجاز.

و نظم القرآن لدى عبد القاهر الجرجاني هو سرّ إعجاز و لاشيء بعده و لا قبله. ويقف الجرجاني عند قضايا بلاغيّة بيانيّة و يحدّدها في المجاز و الاستعارة و التشبيه.

و الكناية و يجعلها الدّعائم و الأركان في الإعجاز فيقول: " و لم يتعاط أحد من النّاس القول في الإعجاز إلّا ذكرها، و جعلها العمد و الأركان فيما يوجب الفضل و المزية، و خصوصا الاستعارة و المجاز، فإنّك تراهم يجعلونها عنوان ما يذكرون. و أوّل ما يوردون"¹.

إذ بدأ العلماء من القرن الثّالث الهجري إلى القرن الخامس الهجري يتعرّضون لنواحي الإعجاز البلاغي في أسلوب القرآن الكريم، و لدراسات تتطوّر و تنتج للبلاغة الشّيء الكثير، فتداخلت و امتزجت و أصبحت دراسة أسلوب القرآن تعتمد على البلاغة. حيث كان البلاغيّون يعمدون إلى الشّاهد القرآني ليستعينوا به في توضيح الاصطلاحات و تفرّعت أبواب البلاغة بعد الرّماني و معاصريه فقد بلغت عند أبي هلال العسكري سبعة و ثلاثين نوعا... و أغرق المتأخرون من البلاغيّين في هذه الأسماء و الفروع².

ربط الجرجاني النّحو بالبلاغة:

يوضّح لنا جعفر دك الباب في كتابه: "الموجز في شرح دلائل الإعجاز" أنّ عناية عبد القاهر الجرجاني بفكرة النّظم تعتمد على النّحو أوّلا و معانيه ثمّ تذهب إلى المقاصد التي يريدها المتكلّم فيقول:

¹ _ المرجع السّابق: ص329.

² _ ينظر: الرّماني و الخطابي و عبد القاهر الجرجاني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: تحقيق محمّد خلف الله أحمد و محمّد زغلول سلام، دار المعارف، ط3، مصر، دبت، ص163.

"و الواقع أنّ عبد القاهر الجرجاني يتطرق إلى مشكلة نحوية لا يبحث فيها بحدّ ذاتها، ولكنّه يتخذها منطلقاً إلى ما هو أعمق للوصول إلى دلالتها ودورها في تأدية النّمط المنوط بالرسالة التي يستقبلها المتلقّي، وليس بهدف أن يعلمنا الرّفح والنّصب والجزم فهذا مفروغ منه. إنّما ينبّهنا إلى معادن المعاني وتقرير حال الأوضاع، والمبادئ، وكيف تسري الأحكام في كلّ الأنحاء، وبيان ارتباط البلاغة بغرض المتكلم الذي يقصد إليه من كلامه والمعاني التي أراد إثباتها أو نفيها".¹ غير أنّ الأستاذ جعفر دك الباب لا يأتي بالأمثلة والنصوص الكثيرة التي سار عليها عبد القاهر الجرجاني في منهجه الشمولي لنظريّة النّظم في عمليّة تحقيق الرّبط بين النّحو والبلاغة وفاته كثير من المقامات التي جاءت بها النصوص الشّاهدة على ذلك، ومن هذه النصوص التي يقف فيها عبد القاهر الجرجاني في تحليل الشعري عن طريق ربط النّحو بالبلاغة أو النّحو بالنّظم. فاعتماده على هذا المنهج في عمليّة هذا الرّبط بين الطرفين أي النّحو والنّظم يحقّق في مذهب عبد القاهر رؤية نقدية جديدة تضاف إلى ما بذله نقاد العرب قبله من اهتمامات اتّصلت بالمنهج اللّغوي والمنهج البلاغي في دراسة الشعر العربي. يُجري عبد القاهر الجرجاني دراسة في هذا المضمون في تحليله لببيت شعري للحطيئة فيقول:

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبَغِيَّتِهَا وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ

الكاس

دَرِ الْمَفَاخِرَ لَا تَذْهَبْ لِمَطْأِهَا وَاجْلِسْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْأَكْلُ
اللابس

وما كان هذا سبيله، كان بمعزل من أن يكون به اعتداد وأن يدخل في

¹ _ الموجز في شرح دلائل الإعجاز: جعفر دك الباب: مطبعة الأهالي: دمشق 1980م، ص35.

قبيل ما يفاضل فيه بين عبارتين بل لا يصح أن يجعل ذلك عبارة ثانية ولا أن يجعل الذي يتعاطاه بمحل من يوصف بأنه أخذ معنى . ذلك لأنه لا يكون بذلك صانعا شيئا يستحق أن يدعى من أجله واضع كلام، ومستأنف عبارة وقائل شعر . ذاك لأن بيت حطيئة لم يكن كلاما وشعرا من أجل معاني الألفاظ المفردة التي تراها فيه مجردة معرفة من معاني النظم والتأليف، بل منها متوخى فيها ما ترى من كون المكارم " مفعولا " ل " دع " وكون قوله : " لا ترحل لبغيتها " جملة أكدت الجملة قبلها وكون " اقعد " معطوفا بالواو على مجموع ما مضى، وكون جملة " أنت الطاعم الكاسي " معطوفة بالفاء على " اقعد " . فالذي يجيء فلا يغير شيئا من هذا الذي به كان كلاما وشعرا، لا يكون قد أتى بكلام ثان وعبرة ثانية، بل لا يكون قد قال من عند نفسه شيئا البتة"¹.

فهذا التحليل الذي يستعين بالنحو والقاعدة النحوية الإعرابية من حيث تحديد المفعول به، (المكارم) و جملة التوكيد، والمعطوف، والمعطوف عليه وعطف الجملة على الجملة بالرابط وهو حرف الفاء.

ويستجمع عبد القاهر كلّ المعاني في عملية الربط بين النحو والبلاغة في عملية النظم ويعطيها تمثيلا ماديا في ضرب الأمثلة في عملية النظم كالصورة الحقيقية التي تصنع من الفضة أو الذهب وهي عملية توخي معاني النحو فيقول:

" و جملة الأمر أنه كما لا تكون الفضة أو الذهب خاتما أو سوارا أو غيرها من أصناف الحلي بأنفسهما، ولكن بما يحدث فيهما من الصورة .

كذلك لا تكون الكلم المفردة التي هي أسماء وأفعال وحروف كلاما وشعرا من غير أن يحدث فيها النظم الذي حقيقته توخي معاني النحو

¹ _ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني:ص372، 373.

وأحكامه .

فإذن ليس لمن يتصدى لما ذكرنا من أن يعمد إلى بيت فيضع مكان كل لفظه منها لفظة في معناها، إلا أن يشارك عقله ويستخف"¹.

أولاً: مبدأ التلاقي بين النحو والبلاغة:

يرى عبد القاهر الجرجاني أن النحو: " و أما النحو فظننته ضرباً من التكلف، وباباً من التعسف، وشيئاً لا يستند إلى أصل ولا يعتمد على عقل، وأن ما زاد منه على معرفة الرفع والنصب، وما يتصل بذلك تجده في المبادئ، فهو فصل لا يجدي نفعاً ولا تحصل منه فائدة"². مثلاً قضية الحذف.

ثانياً: نظم الألفاظ:

يحدّد عبد القاهر فكرة نظم الألفاظ بهذا النصّ قائلاً: " اعلم أنّك كلّما نظرت وجدت أنّ سبب الفساد واحد، وهو ظنّهم الذي ظنّوه في اللفظ وجعلهم الأوصاف التي تجري عليه كلّها أوصاف له، في نفسه من حيث هو لفظ وتركهم أن يميز بين ما كان وصفاً له في نفسه وبين ما كان وصفاً له في نفسه وبين ما كان قد أكسبوه إيّاه عرض في معناه"³.

ثالثاً: النظم ومعاني النحو:

اعتمد الجرجاني في دراسته لمسألة النحو أنّ الكلام لا يستقيم إلا إذا استقام النحو.

¹ _ المصدر السابق: ص373.

² _ المصدر نفسه: ص118.

³ _ المصدر السابق: ص36.

"واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو و تعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهَجَت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك فلا تُخِلَّ بشيءٍ منها".¹
فالرجاني أول عالم أخرج النحو من نطاق شكليته وجفافه، إذا أخضعه لفكرة النظم.

أركان التلاحم في أجزاء النظم:

إنّ النظم هو القاعدة الأساسية التي تدور حولها البلاغة، لأنّ الكلام لحمة، فلو ضيعنا لفظاً لهدم البناء من القمة إلى القاعدة.

البناء:

يجعل عبد القاهر الجرجاني مصطلح البناء عنصراً ظاهراً وضرورياً في قيام النظم، بل إنّ اللغة عنده نظام وبناء، والألفاظ هي أدوات هذا البناء ووسائله، وبه يتم ترتيب الكلام وتنظيمه داخل النص، فإذا أختلّ هذا البناء اختلفت صفته القائمة عليه، وأصل البناء يحدّد النحو في صناعة الجملة في اللغة العربية التذيي يراد بها بناء كلام ذي معنى، فالبناء مثلاً إذا ذكر الفاعل في هذه الجملة لا بدّ له من فاعل يتبعه، وإذا ذكر اسم بدئ به وهو المبتدأ لا بدّ له من خبر يتبعه في هذا البناء.

فكلما توسع البناء في الكلام توسعت معه المعاني، ولذلك يقولون الزيادة في المبنى هي زيادة المعنى، وهذا الأمر يعالجه عبد القاهر حول البناء فيقول: فيقول:

"وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كلّ باب وفروقه فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق وزيد ينطلق، وينطلق زيد ومنطلق زيد وزيد المنطلق والمنطلق زيد وزيد هو المنطلق وزيد هو منطلق".²

¹ المصدر نفسه: ص 64.

² المصدر السابق: ص 64.

الترتيب:

إنّ مصطلح الترتيب يشترك مع البناء في أداء الوظيفة في صناعة الكلام لأجل إعطاء المعاني فكما يتعلق البناء ببناء الألفاظ كذلك يقوم الترتيب في ترتيب هذه الألفاظ وتنظيمها داخل السياق بالترتيب في الأصل هو مراعاة علاقة الألفاظ بعضها ببعض كما يقتضي ذلك النحو والفعل في الجملة يسبق الفاعل في الأصل والخبر يتبع المبتدأ والمضاف يسبق بالضرورة المضاف إليه ، وكلّ هذه العملية في نظر عبد القاهر تمرّ بذهن المتكلم مرتبة قبل أن ترسم على اللسان في النطق بها.

التأليف:

يهتم عبد القاهر بمصطلح التأليف كثيرا ويكثر من استعمالاته له، ويجعله أساس نظريته و يُسوِّي بينه وبين التعليق أحيانا. وقد سبق التركيز على فكرة التعليق من ذلك قوله: "ومعلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض....."¹ وأما تناوله للتأليف فيفصل فيه القول بمثل هذه النصوص " والألفاظ لا تُفيد حتى تُؤلف ضرباً خاصاً من التأليف، ويُعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب، فلو أنك عمدت إلى بيت شعرٍ أو فصلٍ نثرٍ فعددت كلماته عدّاً كيف جاء وانفق، وأبطلت نضده ونظامه الذي عليه بني، وفيه أفرغ المعنى وأجري، وغيّرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد، وبنسقه المخصوص أبان المراد نحو أن تقول في: " من الطويل قفا نَبكٍ من ذَكَرَى حَبيبٍ ومنزل " منزل قفا ذكرى من نبك حبيب، أخرجته من كمال البيان، إلى مجال الهديان، نعم وأسقطت نسبته من صاحبه، وقطعت الرّحم بينه وبين مُنشئه، بل أحلت أن يكون له إضافةً إلى قائل، ونسبُ

¹ المصدر السابق: ص، ف.

يَخْتَصُّ بمتكلم، وفي ثبوت هذا الأصل ما تَعَلَّم به أنَّ المعنى الذي له كان هذه الكلم بيتَ شعرٍ أو فصلَ خطابٍ، هو ترتيبها على طريقة معلومة وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة، وهذا الحُكْمُ - أعني الاختصاص في الترتيب - يقع في الألفاظ مرتباً على المعاني المرتبة في النفس، المنتظمة فيها على قضية العقل، ولا يُتصوَّر في الألفاظ وُجُوبُ تقديم وتأخير، وتخصُّص في ترتيب وتنزيل، وعلى ذلك وُضِعَت المراتبُ والمنازلُ في الجمل المركبة وأقسام الكلام المدونة¹.

إنَّه من الأهميَّة بمكان، أن نجد عبد القاهر الجرجاني يسير بفكرة التداخل بين البلاغة والنحو، ويفرد كلاماً خاصاً في نهاية كتابه أسرار البلاغة وكأنَّه خلاصة النتائج في بحثه ويزداد هذا الحكم قوَّة وصواباً حين يرى القارئ أنَّ هذه الرؤية حول التداخل بين البلاغة والنحو جاءت في آخر صفحات أسرار البلاغة وهو يتناول بالحديث قضية المجاز بقوله: " وعلى الجملة فإنَّه لا يعقل من المجاز أن تسلب الكلمة دلالتها ثم لا تعطيها دلالة أخرى وأن تخليها من أن يراد بها شيء على وجه من الوجوه

ووصف اللفظ بالزيادة يفيد أن يراد بها معنى وأن يجعل كأن لم يكن لها دلالة قطّ.

فإن قلت: أو ليس يقال إن الكلمة لا تعرى من فائدة ما ولا تصير لغوا على الإطلاق حتَّى قالوا إن نحو (ما) في نحو " فيما رحمة من الله " تفيد التوكيد؟ فأنا أقول: إن كون (ما) تأكيداً نقل لها عن أصلها ومجاز فيها. وكذلك أقول إن كون الباء المزيدة في " ليس زيد بخارج " لتأكيد النفي مجاز في الكلمة لأنَّ أصلها أن تكون لالتصاق- فإن ذلك على بعده لا يقدر فيما أدت تصحيحه لأنَّه لا يتصوَّر أن تصف الكلمة من حيث جعلت زائدة بأنَّها مجاز ومتى ادعينا لها شئنا

¹ _ المصدر السابق: ص 2، 3.

من المعنى فإنا نجعلها من تلك الجهة غير مزيدة، ولذلك يقول الشيخ أبو عليّ في الكلمة إذا كانت تزول عن أصلها من وجه ولا تزول من آخر " معتد بها من وجه غير معتد بها من وجه"¹.

ثمّ يخوض في تفسير هذا الطّرح بقوله:

"وإذا قبت أن وصف الكلمة بالزيادة نقيض وصفها بالإفادة علمت أنّ الزيادة من حيث هي زيادة لا توجب الوصف بالمجاز. فأن قلت: تكون سببا لنقل الكلمة عن معنى هو أصل فيها إلى معنى ليس بأصل-كدت تقول قولاً يجوز الإصغاء إليه وذلك إن صحّ، نظير ما قدّمت من أنّ الحذف أو الزيادة قد تكون سببا لحدوث حكم في الكلمة تدخل من أجله في المجاز كنصب القرية في الآية وجر المثل في الأخرى فاعرفه"².

إنّ النّظم لا يتوقّف في منظور عبد القاهر الجرجاني عند النّحو فقط أو عند البلاغة وحدها وإنّما هو الذي يحقّق استقامة الكلام وليست المعرفة بقضايا الإعراب والنّحو والصّرف هي التي تجعل الكلام مستقيماً إذا لم تجتمع هذه العناصر كلّها مع بعضها في صناعة هذا الكلام. وقد ذهب النّقاد المعاصرون إلى مثل هذا القول فإنّ بعضهم يرى: "ليست معرفة النّحو والصّرف، وإنّما الأمر معرفة بمعاني العبارات ووضعها مواضعها، وفائدة هذه العبارة _ إذا جاءت على هذا السّياق، أو ذاك، ومدى ما استطاعت أن تحقّقه من الدّلالات"³.

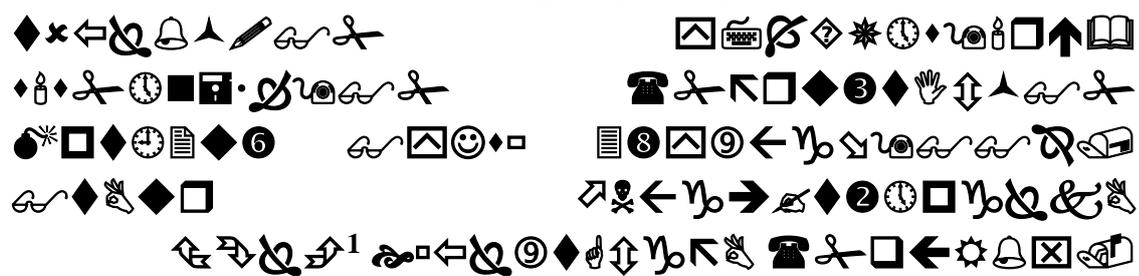
فالنّحو يحافظ على سلامة الكلام من جهة الإعراب وذلك بتحديدته للفاعل في موضعه والمفعول به في موضعه ويأخذ كلّ منهما حركاته الإعرابية وهي الرّفع الأوّل والنّصب للثاني، فهذه هي

1- المصدر السّابق:ص365.

2- المصدر السابق:ص6.

3 _ محمّد زكي العشماوي: قضايا النّقد الأدبي بين القديم والحديث، دار الشّروق، القاهرة، ط1 1994م.ص313.

وظيفة النَّحو من جهة الإعراب، أمّا وظيفة معاني النَّحو فهي التي تتّسع لدى عبد القاهر الجرجاني فيدرسها في موضوع النّظم فهو عندنا يقف على المنظور الإعجازي في القرآن الكريم ويتأمّل آية قرآنية من جهة توحيّ معاني النَّحو يستعين بعلم النَّحو وبحث في سرّ الإعراب من جانب بلاغي دلالي ففي الآية الكريمة:



فهو لم ينظر للوظيفة الإعرابية بمعزل عن أسرار النّظم في الأسلوب القرآني كما يظنّ النَّحوي في رؤيته للفعل والفاعل والمضاف إليه. أمّا الفعل فهو: ربحت والفاعل التجارة والمضاف إليه. أمّا الفعل فهو: ربحت والفاعل التجارة والمضاف إليه هو الضمير المتّصل في تجارتهم. وحين يقف عبد القاهر على هذه الآية الكريمة يتعجّب من الدّين لا يدركون أسرار النّظم فيها فيعقّب عليهم بقوله: " واعلم أنه ليس عجيب أعجب من حال من يرى كلامين أجزاء أحدهما مخالفة معانيها لأجزاء الآخر.

ثم يرى أنه يسع في العقل أن يكون معنى أحد الكلامين مثل معنى الآخر سواء حتى يتصدى فيقول: إنه لو كان يكون الكلام فصيحاً من أجل مزية تكون في معناه لكان ينبغي أن توجد تلك المزية في تفسيره. ومثله في العجب أنه ينظر إلى قوله تعالى: ﴿...﴾¹ ... ﴿...﴾²

1 _ سورة البقرة : الآية 16.
2 _ من الآية 16:سورة البقرة

" فيرى إعراب الاسم الذي هو التجارة قد تغير فصار مرفوعاً بعد أن كان مجروراً.

ويرى أنه قد حذف من اللفظ بعض ما كان فيه وهو الواو في ربي و فيمن قولنا: في تجارتهم. ثم لا نعلم أن ذلك يقتضي أن يكون المعنى قد تغير كما تغير اللفظ.

فالنّظم عند عبد القاهر الجرجاني يستند إلى توحيّ المعاني اعتماداً على وظيفة النّحو فيبّحث في الفاعليّة وكيف أُعطيت "التّجارة" ولم تعط للتّاجر أو التّجار فالتّجارة شيء معنوي لا يعرف الرّبح أو الخسارة وإّما الذي يعرف هذه الأشياء هو الشّخص الطّبيعي، ولذلك فإنّ معنى الفاعليّة تعلق بالتّجارة بما تحمله من دلالات الحرمان من الربح والحصول على الخسارة "إذ المعاني النّحويّة انتقلت إلى سرّ الجمال في بيان التّركيب الذي احتوته العبارة بواسطة المجاز فأصبح تعليق الرّبح والخسارة تعبيراً عن المعنى النّفسي الذي أقرّه استغلال المعاني النّحويّة.."¹

فبعد القاهر حين تناول قضية تتعلّق بالقرآن لا يقصد بها تفسير آياته واستنباط أحكامه وإّما تدرسها في مجال علم النّحو وعلم المعاني وهو يتّخذ من المفسّرين موقفاً مخالفاً لمذهب المفسّرين في طريقتهم في فهم النّصّ من القرآن فهو يصرّح بهذا الانتقاد فيقول: " ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم، أن يوهموا أبداً في الألفاظ الموضوعّة على المجاز والتمثيل، أنها على ظواهرها، فيفسدوا المعنى بذلك، ويبطلوا الغرض، ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة، وبمكان الشّرف. وناهيك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه، وجعلوا يكثرّون في غير طائل، هناك ترى ما شئت من باب

¹ دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتّراث: أحمد درويش: دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع: د.ت، ص105.

جهل قد فتحوه، وزند ضلالة قد قدحوا به، ونسأل الله تعالى العصمة
والتوفيق" ¹.

¹ _ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: ص236.

الفصل الخامس:

مضامين أسرار البلاغة

توزّعت جهود الجرجاني العلميّة في أسرار البلاغة في دراسة موضوعات بلاغيّة تناولها في خمسة عشر فصلاً، بدأها بمبحث في قسمة التجنيس وتنويعه. الاستعارة والتّطبيق ووصل بها إلى آخر موضوع طرحه في الحذف والزيادة وهل هما من المجاز أم لا. واللافت للانتباه أنّ دراسته لهذه المضامين فيها من التكرار الذي كان يضطرّ إلى إعادة دراسته من جديد أو يواصل فيه البحث في إثارة مسألة كليّة أو جزئية لم يكن قد عالجها في الموضوع السابق ذاته

وخاصة ما تعلق بعنصر الاستعارة أو المجاز بحيث يجعلهما المحورين اللذين يحملان أسرار النظم ودلالات إعجازه. والملاحظة المحورية حول مضامين الكتابين أنّ عبد القاهر نراه في أسرار البلاغة ينجز ما جاء به السابقون من الدارسين في إعادة طرح موضوعات تتعلق بقضايا بلاغية فيثيرها من جديد إما عن طريق الإتيان والموافقة والإضافة وإما عن طريق المخالفة والنقد والتعقيب على ما جاء في الموضوع ومن ذلك ما قام به من نقد وتوجيه للذين كانوا من مناصرين لقضية اللفظ وحده أو المؤيدين لقضية المعنى وحده متعلقا بقضية نحوية محضة إلا ما جاء اعتراضا في تحليل بلاغي كما فعل في نهاية الكتاب.

بينما يحتوي كتاب دلائل الإعجاز على موضوعات ما رجعت بين الدرس البلاغي والدرس النحوي في كثير من المسائل ومنها: قضية التقديم والتأخير، التعريف والتكرار، تقديم المفعول به عن الفاعل، وتضمن الكتاب سبعة وثلاثين فصلا.

فالمتصفح لكتاب أسرار البلاغة يستوقفه غرض عبد القاهر في التأليف للكتاب بسبب ما يوضحه صاحبه نفسه في مقصده ، و أنّه يريد دراسة المعنى معتمدا " على التفسير النقدي لقضاياه وفي إثارة المسائل الفنية التي تتصل اتصالا وثيقا بعلم البلاغة، وهو يميل أحيانا إلى اتخاذ المسلك الفني منطلقا في عملية التوزيع لفنون البلاغة على الجوانب الانطباعية المعتمدة على الذوق البلاغي في استظهار جماليات المعاني وبيانها، يقول عبد القاهر: " واعلم أن غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته

و الأساس الذي وضعته أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني، كيف تتفق وتختلف، ومن أين تجتمع و تفرق، و أفصل أجناسها و أنواعها،

وأنتبّع خاصّتها و مشاعها، و أبين أحوالها في كرم منصبها من العقل،
وتمكّنها في نصابه وقرب رحمها منه، أو بعدها حين تنسب عنه...¹

ولعلّه من التّوهم أن يحدّد السّكاكي في القديم ويوافقه الأستاذ رشيد
رضا في العهد الحديث بإضافة تسمية "علم البيان" إلى كتاب أسرار
البلاغة وهي إضافة تكاد تغيّر وتقدح في مقصد عبد القاهر الصّريح
1_ فصل في قسمة التّجنيس وتنويعه. الاستعارة والتّطبيق:

يعدّ الجناس من الفنون البلاغيّة التي اشتهرت قديماً ، إذ له تأثير
كبير في إثراء الدّرس البلاغي ، فقد اهتم به عبد القاهر الجرجاني به
وأعطاه أهميّة بالغة في كتابه أسرار البلاغة ، سنحاول أن نعطي
لمحة موجزة عنه بتعريفه، وذكر أنواعه.

الجناس في اللغة: "جانس الشيء مجانسة، وجناساً: شاكله واتّحد معه
في الجنس"². ويقال له التّجنيس³. والتجانس⁴. والمجانسة⁵. وهو أوّل
المحسنات اللفظية و يعرفه علماء البلاغة بالتّجانس، أو التّجنيس⁶،
أو المجانسة وسمي جناساً أيضاً، لمجي حروف ألفاظه من جنس
واحد، ومادة واحدة.

1_ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني: ص19.

2_ علم البديع: المراغي محمود أحمد حسين: ط2 ، دار النهضة العربية للطباعة
والنشر. بيروت، 1999م ص107.

3_ المرجع نفسه: ص109.

4_ البلاغة فنونها وأفنانها: عباس فضل حسن ، ط6، دار الفرقان، أربو جامعة
اليرموك 1424هـ - 2004م. ص299.

5_ البلاغة (علم البديع): السعدي ، دار العصماء، دمشق،
ط6، 1428هـ، 2007م، ص67.

6- ينظر: الطراز المتضمن أسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي
العلوي اليمني تحقيق: عبد الحميد الهنداوي المكتبة العصرية - بيروت، لبنان
، ج2/355، وج3/351.

أمّا اصطلاحاً: فيعرّفه ابن المعتز المجانسة « هي ما تكون الكلمة تجانس أخري في تأليف حروفها ومعناها وما يشتق منها»¹

أمّا قدامة ابن جعفر: " هو أن تكون في الشعر معان متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة "2.

وقال عنه أبو هلال العسكري: " أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كلّ واحدة منهما صاحبتهما في تأليف حروفها على حسب ما ألف الأصمعي في كتاب الأجناس " 3

و السّكاكي بقوله: « تشابه الكلمتين في اللفظ»⁴ ، وعرفه كثير من العلماء حاولنا الاختصار قدر المستطاع. وهو أنواع: تام ، ناقص ، محرف ، لاحق ، مضارع مقلوب ، اشتقاق... الخ.

والجناس نوعان: لفظي ومعنوي:
فاللفظي ينقسم إلى نوعين: تام وغير تام.

1_ البديع: ابن المعتز، عبدالله. تحقيق كراتشوفسكي، لندن: مطبوعات جب التذكارية، 1935م، ص25 والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ابن الأثير، ضياء الدين، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة.الرياض: دار الرفاعي، ط1983، ج2، ص1/241.

2_ نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق : محمد عيسى منون، ط1، 1352هـ/1934م، ص96، 97.

3_ كتاب الصناعتين : أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء العلوم العربية، الناشر: عيسى البابي الحلبي، - 1371 1952، ط1، ص308.

4_ مفتاح العلوم: السكاكي، أبو يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت: ط1. 1983م، ص429.

هو ما تجانس لفظاه في نوع الحروف لكنها قُلبت في الترتيب قلبا كليًا كقولنا:

" فتح/حتف".

4.جناس الاشتقاق:

هو ما اشترك فيه اللفظان في الجذر الثلاثي من الفعل إلى اسم الفاعل نحو قوله تعالى:

﴿...أَعْبَدُكُمْ / عَابِدُكُمْ﴾¹

ونحو قوله عز وجل: ﴿...أَعْبَدُكُمْ / عَابِدُكُمْ﴾²

﴿...أَعْبَدُكُمْ / عَابِدُكُمْ﴾³

¹ سورة الكافرون: الآية 2،3.
² سورة النور: الآية 37.
³ سورة الأنعام: الآية 164

تزر/ وازرة.

إنّ التّجنيس عند عبد القاهر الجرجاني يأخذ تفسيراً خاصاً فهو لا يكتفي بذكر تأثير في النطق والإيقاع وإنما يذهب به إلى التأثير العقلي في استلهاً المعنى فيقول:

"فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان وقع معنيهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مرّمي الجامع بينهما مرّمي بعيداً، أترك استضعفتّ تجنيس أبي تمام في قوله :

ذَهَبَتْ بِمُذْهَبِهِ السَّمَاخَةُ فَالْتَوَتْ فِيهِ الظُّنُونُ: أَمْذَهَبٌ أَمْ مُذْهَبٌ
واستحسنّت تجنيس القائل: "حتى نجا من خوفه وما نجا"¹

فنجاً الأولى بمعنى أحدث، والثانية بمعنى خلص². نميز الاختلاف في المعنيين المذكور في لفظ واحد، فهنا يتبين سرّ جماله وبلاغته. وتشبيه ذلك ذكره في كتاب دلائل الإعجاز فيقول:

ولهذه النكته كان التّجنيس وخصوصاً المستوفى منه مثل "نجا ونجا" من حلى الشعر.³

و قول المحدث :

ناظراه فيما جنّى ناظراه أودعاني أمّت بما أودعاني

فالأولى بمعنى المناظرة المجادلة والثانية بمعنى عيناها.

الاستعارة:

إنّ الصّور الاستعارية تحقّق كثيراً من الأغراض التي يريدّها المتكلّم سواء أ كان شاعراً أم كاتباً أو خطيباً في صناعة الكلام، فيها

¹ عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة: ص4.

² المصدر نفسه : ص4.

³ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: ص403.

يتوصّل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر، ومن ثمّ يكون التأثير في نفس المتلقّي وإثارة الانفعال المناسب عنده، وتلك هي غاية الأدب ومهمّته، فمن أغراضها التي تحقّقها: شرح المعنى وتأكيد إبانته، والمبالغة فيه، وهذا ما وضّحه عبد القاهر الجرجاني ووقف عليه في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، سنحاول التّطرق إلى تعريفها وذكر أنواعها.

فالاستعارة لغة: هي دفع الشّيء وتحويله من مكان إلى مكان آخر، يقال: " استعار فلان سهمًا من كنانته: رفعه وحوّله منها إلى يده"¹. فهي تعدّ ضربًا من المجاز، وقد اختلف العلماء في تعريفها. فكان الجاحظ سبّاقًا إلى تناول الاستعارة وهو أوّل العلماء في تعريفها فأوّل من عرّفها: الاستعارة تسمية الشّيء باسم غيره إذا قام مقامه"². وأمّا قدامة بن جعفر فعرّف الاستعارة وربطها بالمجاز فقال: "هي استعارة بعض الألفاظ في موضع بعض على التّوسّع و المجاز"³. وجاءت عند الرّماني فعرّفها: "الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللّغة، ومثل لها بقول الحجاج: "إنّي أرى رؤوسًا قد أينعت وحان قطافها"⁴. بالفعل أينع والقطاف لا يكونان إلاّ للثّمار أو ماشابه ذلك من الفواكه والخضر.

¹ _ ينظر: في البلاغة العربية: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت، ص361.

² _ البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط5، 1985م

ج 1، ص153.

³ _ علم البيان : عبد العزيز عتيق: ص169.

⁴ _ المرجع نفسه: ص173.



 1 {الظلمات والنور} نلاحظ في
 كلتا اللفظتين استعارة للكفر والإيمان ، لأنّ الكفر يدخل متبعه في
 حيرة لذا شبّه بالظلمات، أمّا الإيمان فهو كالنور، هذا ما يوحي
 للمتلقّي بكيفية خروج الكافر من الظلمات إلى النور.

5. استعارة مكنية: هي أن يحذف المشبه به، ويرمز إليه بشيء من لوازمه. كقوله تعالى:









2، فقد شبه انتشار الشيب في الشعر باشتعال النار فيما حولها
 بجامع سرعة الانبساط مع تعذر تلاقيه في الكل وحذف المشبه
 به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو "اشتعل".

6. استعارة تمثيلية: هي التي يصرح فيها بذكر المشبه به على أن يكون صورة مركبة من أشياء والاستعارة التمثيلية قريبة من التشبيه التمثيلي غير أن المشبه فيها محذوف مع أداة التشبيه. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "إياكم وخضراء الدّمن"³

موضحاً أن المعنى المقصود من الحديث هو المرأة الحسناء في المنبت السيئ، لكن الحديث الشريف جاء بغير اللفظ الموضوع لها
 تمثيلاً⁴

¹ سورة إبراهيم: الآية: 1.

² سورة مريم: الآية: 4.

³ مسند شهاب: القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي. ط2. بيروت: مؤسسة (4) الرسالة. سنة 1986م. رقم الحديث 623. ورد في السلسلة الضعيفة للألباني. ج2. ورقمه 14. وهو ضعيف جداً.

⁴ كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري: ص 355.

والجرجاني قال عنها: "الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفًا تدلّ على أنّه اختصّ به حين وضع، ثمّ يستعمله الشّاعر أو غير الشّاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلًا غير لازم فيكون هناك كالعارية¹.

أما الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني: فهي ضرب من المهارة الفنيّة في قوله: "فهي ضربٌ من التشبيه، ونَمَطٌ من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتُدركه العقول، وتُسْتَفْتَى فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان"².

التطبيق: هو من المحسنات البديعيّة، فهو يعطي اللّغة جمالا وأهميّة بالغة في المعنى.

الطباق في اللّغة: الجمع بين معنيين متضادين، أو هو الجمع بين الشّيء وضدّه مثل الجمع بين البياض والسّواد، واللّيل والنّهار، والحر والبرد.³

وقال عنها: صاحب البلاغة الواضحة " أنّ الطباق هو الجمع بين الشّيء وضدّه في الكلام"⁴.

ذكره أبو هلال العسكري: "قد أجمع الناس على أنّ المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشّيء في جزء من أجزاء الرّسالة أو الخطبة

¹ _ المرجع نفسه ص173.

² _ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني ص15، وينظر ص 33 فإنه يشرح وظائف الاستعارة.

³ _ ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب: الحموي، أبو بكر علي بن حجة، ط1، القاهرة: مطبعة بولاق. 1273هـ. ط1، ص69.

⁴ _ ينظر: البلاغة الواضحة: علي جارمي ومصطفى أمين: ط1، (جاكرتا: روضة فريسا: 1427هـ، 2007م) ص299.

﴿مَنْعًا﴾ ١، " فَلَا تَحْشَوْا " فهو
مأمور به، " وَآخِشُونَ " والآخر منهى عنه.

وعند الجرجاني: "فأمره أبين، وكونه معنويًا أجلى وأظهر، فهو
مقابلة الشيء بضده والتضادّ بين الألفاظ المركّبة مُحال، وليس
لأحكام المقابلة ثمّ مَجَال، فخذ إليك الآن بيت الفرزدق الذي يُضْرَب
به المثل في تَعَسُّفِ اللفظ:
وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكَاً ... أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

عدّه عبد القاهر الجرجاني من البيت الفاسد للنّظم الذي يؤدي إلى
غموض المعنى.

فانظر أتتصوّر أن يكون ذلك للفظه من حيث إنك أنكرت شيئاً، من
حروفه، أو صادفت وحشياً غريباً، أو سوقيّاً ضعيفاً؟ أم ليس إلاّ لأنه
لم يُرتّب الألفاظ في الذكر، على مُوجب ترتيب المعاني في الفكر،
فكدر، وكدّر، ومنع السامع أن يفهم الغرض إلاّ بأن يُقدّم ويؤخّر، ثم
أسرف في إبطال النّظام، وإبعاد المرام، وصار كمن رمى بأجزاء
تتألف منها صورة، ولكن بعد أن يُراجِع فيها باباً من الهندسة، لفرط
ما عادى بين أشكالها، وشدّة ما خالف بين أوضاعها"²

"وإذا وجدت ذلك أمراً بيناً لا يُعارضك فيه شكّ، ولا يملكك معه
امتراء، فانظر إلى الأشعار التي أثنوا عليها من جهة الألفاظ،
ووصفوها بالسلامة، ونسبوها إلى الدّمائة، وقالوا: كأنّها الماء
جَرياناً، والهواء لُطفاً، والرياضُ حُسنًا، وكأنّها النّسيم. وكأنّها الرّحيقُ
مزاجها التّسّيم، وكأنّها الدّيباج الحُسروانيّ في مرامي الأبصار،
ووشّي اليمن منشوراً على أذرع التّجار كقوله:

¹ سورة المائدة: الآية: 44.

² عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة: ص15.

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ ... وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
وَشَدَّتْ عَلَى دُهُمِ الْمَهَارَى رِحَالُنَا وَلَمْ يَنْظُرِ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحٌ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا
وَسَأَلْتُ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ
الْأَبَاطِحُ¹

نميّز سرّ جمال الألفاظ في النّظم، في اللفظ والمعنى معا في تلاحم
أحدهما بالآخر.

2_فصل في تقسيم آخر للاستعارة المفيدة:
جعل الجرجاني الاستعارة في قسمين:
استعارة مفيدة وغير مفيدة:

باشر عبد القاهر الجرجاني في توزيعه بكلامه عن الاستعارة
غير المفيدة، قال عنها بأنّها نوع قصير الباع، قليل الاتّساع
، وضرب لنا مثلا عنها بقوله: "موضع هذا الذي لا يفيد نقله حيث
يكون اختصاص الاسم بما وضع له من طريق أريد به التّوسّع في
أوضاع اللّغة، والتّنوّق في مراعاة دقائق في الفروق في المعاني
المدلول عليها كوضعهم للعضو الواحد أسامي كثيرة بحسب اختلاف
أجناس الحيوان كوضع الشّفة للإنسان والمشفر للبعير والجحفة
للفرس"² يبيّن لنا أنّ الاستعارة غير المفيدة هي الاستعارة التي يقع
فيها تغيير للمعنى الأصلي للمستعار له.

والنّوع الثّاني هي الاستعارة المفيدة، وهي عكس الاستعارة غير
المفيدة: فقد "بان لك باستعارته فائدة ومعنى من المعاني وغرض من
الأغراض، لولا مكان تلك الاستعارة لم يحصل لك، وجملة تلك الفائدة
وذلك الغرض التّشبيه"³. فلمح لها بإفادتها عندما يكون المستعار منه

¹ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني: ص16.

² المصدر السّابق: ص25.

³ المصدر السّابق: ص24.

يزودنا بدلالات أخرى للمستعار له، مثل: "رأيت أسدا، وأنت تعني رجلا شجاعا"¹.

3_ فصل في التشبيه للاشتراك في نفس الصفة وفي مقتضاها:

التشبيه فن من فنون البلاغة، فالهدف منه نقل المعاني في صور بيانية، القصد منها الإيضاح البلاغي.
أ. لغة: الشبه والتشبيه لغة: المثل، وأشبه الشيء: ماثله وأشبهت فلانا وشابهته واشتبه علي².

ب. اصطلاحا:

عرّفه الباقلاني: "وأما التشبيه فهو العقد على أحد الشئيين يسدّ مسدّ الآخر في حسن أو عقل"³.

أمّا قدامة بن جعفر: عرّفه: "إنّ التشبيه يقع بين شئيين بينهما اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كلّ واحد منها عن صاحبه بصفتها"⁴.

والقيرواني عرّفه ب: "التشبيه صفة الشئ بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو من جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنّه لو ناسبه مناسبة كليّة لكان إيّاه"⁵.

وهو أنواع: تشبيه مفرد، ومركب:

فالتشبيه المفرد: يحتوي مجموعة من التشبيهات: كالتام، والمؤكد، والمجمل، والبيّغ.

¹ المصدر نفسه: ص24.

² لسان العرب: ابن منظور : مادة " شبه".

³ إعجاز القرآن: الباقلاني: تعليق محمد عبد المنعم خفاجي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991م، ص125.

⁴ نقد الشعر: قدامة بن جعفر : تحقيق كمال مصطفى، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1978م، ص159.

⁵ المرجع نفسه: ص159.

فهو تشبيه لفظ بلفظ، مثل قوله عز وجل: ﴿لَا يَخْرُجُ فِي الْكِبَرِ سِرًا﴾¹ فمن خلال الآية الكريمة نلاحظ أنّ الله شبّه اللّيل باللّباس في ستره للأشياء كاللباس.

أ. تشبيه تام: هو التّشبيه الذي يحتوي أربعة أركان: المشبه، المشبه به، أداة التّشبيه وجه الشّبه.

ب. تشبيه مؤكّد: هو ما حذف منه أداة التّشبيه

ج. تشبيه مجمل: ما حذف منه وجه الشبه

د. تشبيه بليغ: ما حذف منه وجه الشبه وأداته.

أمّا المركب فيحتوي مجموعة من التّشبيّهات: كالتمثيلي، والضمّني، والمقلوب.

أ. التّشبيه التّمثيلي: هو ما كانت صورته مركّبة من عدّة أشياء بصورة أخرى كقوله تعالى:

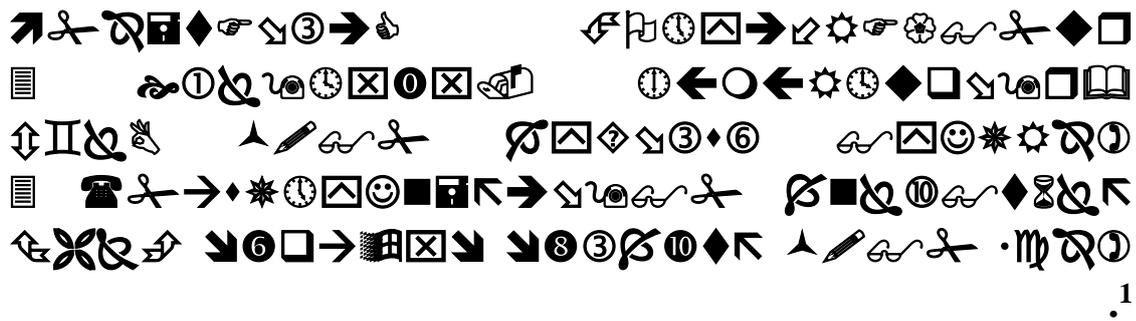
﴿يَوْمَ تَأْتِي سَأَلَ سَأِلًا بِأَصْفَارِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سُورَةٍ مُّجْتَمِعَةٍ رُكَّعًا وَقَائِلًا خَشَعَتِ الْأَصْوَادُ لِأَصْوَابٍ كَالْخَشَعَةِ لِقَارِئِكُمْ يُدْرِكُ الْوُجُوهُ بِأُصْبُعَيْهِ أَوْ نُجُومٍ كَالْقَائِلَةِ لِجَالِئِكُمْ﴾²

ب. التّشبيه الضمّني: هو التّشبيه الذي لا يأتي فيه المشبه والمشبه به في صورة من الصور التّشبيه المعروفة بل يلمحان في التّركيب، مثل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَأْتِي سَأَلَ سَأِلًا بِأَصْفَارِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سُورَةٍ مُّجْتَمِعَةٍ رُكَّعًا وَقَائِلًا خَشَعَتِ الْأَصْوَادُ لِأَصْوَابٍ كَالْخَشَعَةِ لِقَارِئِكُمْ يُدْرِكُ الْوُجُوهُ بِأُصْبُعَيْهِ أَوْ نُجُومٍ كَالْقَائِلَةِ لِجَالِئِكُمْ﴾

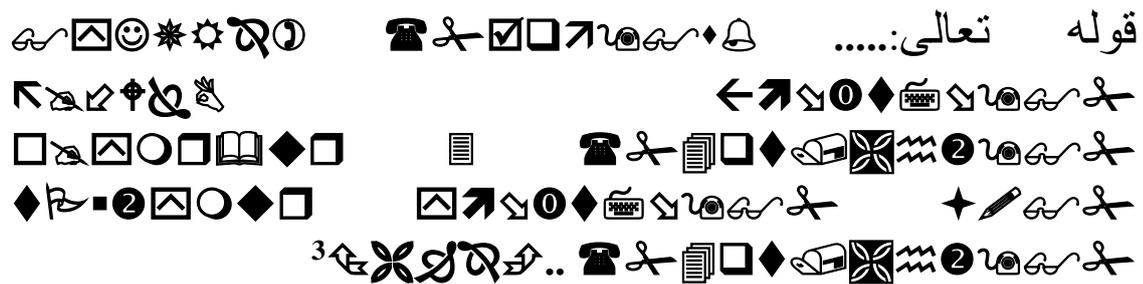
¹ سورة النّبا: الآية 4.

² سورة البقرة: الآية: 17.



ج. التشبيه المقلوب²:

الأصل في التشبيه أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتمّ وأظهر، فكان المشبه به هو الأصل، والمشبه هو الفرع، ولكن قد يجعل ما كان الأصل فيه أن يكون مشبهاً به مشبهاً، وما كان الأصل أن يكون مشبهاً مشبهاً به قصداً إلى إيهام أنّ ما صار مشبهاً به أتمّ في وجه الشبه من الذي صار مشبهاً، حتّى صار هو الأصل، والآخر الفرع. و



أمّا الجرجاني فعرفه ب"التشبيه أن يثبت لهذا معنى من معاني ذلك أو حكماً من أحكامه"⁴.

والتشبيه صريح وغير صريح، فالصريح مثل أن نقول: "كان زيادا الأسد" فنذكر كلّ واحد من المشبه والمشبه به، وغير الصريح أن

¹ سورة فاطر : الآية: 28.

² البلاغة الواضحة: علي الجارم ومصطفى أمين، ص 53.

³ سورة البقرة: من الآية: 275.

⁴ أسرار البلاغة في البيان: عبد القاهر الجرجاني: ص 68.

العقول، ثم لا يُحسّ بما فيها ولا يشعر بمضمونها ، فالمشَبَّه: هم الذين حُمّلوا التوراة ولم يعقلوا ما بها: والمشَبَّه به (الحمار) الذي يحملُ الكتبَ النافعةَ، دونَ استفادتهِ منها، والأداةُ الكافُ، ووجهُ الشَبِّهِ الهيئةُ الحاصلةُ من التعبِ في حملِ النافعِ دونَ فائدةٍ.

5_ فصل في حال انتزاع الشبّه من الوصف:

"اعلم أن الشبّه إذا انتزع من الوصف لم يخلُ من وجهين أحدهما أن يكون لأمرٍ يرجع إلى نفسه ، والآخر أن يكون لأمرٍ لا يرجع إلى نفسه، فالأوّل كتشبيه الكلام بالعسل في الحلاوة، وذلك أن وجه التشبيه هناك أنّ كل واحد منهما يوجب في النفس لذة وحالة محمودة، ويصادف منها قبولاً، وهذا واجب للحلاوة من حيث هي حلاوة، أو للعسل من حيث هو عسل، وأما الثاني وهو ما يُنتزع منه الشبّه لأمرٍ لا يرجع إلى نفسه، فمثاله أن يتعدّى الفعل إلى شيء مخصوص يكون له من أجله حُكْمٌ خاصٌّ، نحو كونه واقعاً في موقعه وعلى الصواب، أو واقعاً غير موقعه، كقولهم: يضرب في حديد باردٍ و ينفخ في غيرِ فَحْمٍ"¹

6_ فصل آخر في الفرق بين التمثيل الدقيق والتعقيد:

التمثيل : من الناحية اللغوية: جاء في كتاب مقاييس اللغة لابن فارس: " أن الميم والناء واللام أصل صحيح يدلّ على مناظرة الشيء للشيء ، وهذا مثل هذا، أينظيره، والمثّل والمثال في معنى واحد، وربّما قالوا :مثيل كشبيه.تقولالعرب:أمثّل السلطان فلانا :قتله قودا، والمعنى:أنه فعل به مثل ما كان فعله.والمثّل المثّل أيضا،كشبهه وشبّه، والمثل المضروب مأخوذ من هذا،لأنّه يذكر مورى به عن

¹ مقاييس اللغة: ابن فارس:تحقيق :عبد السلام هارون ،دار الفكر،1979م ،ص297.

مثله في المعنى. وقولهم: مَثَّلَ به، إذا نكل، وهو من هذا أيضاً، لأنَّ المعنى فيه أنه إذا نكَّلَ به جعل ذلك مِثْلاً لكلِّ من صنع ذلك الصنِّيع أو أراد صنعه... ومَثَّلَ الرَّجُل قائماً: انتصب، والمعنى ذلك، لأنَّه كأنَّه مثال نصب...¹

أمَّا من النَّاحية الاصطلاحية: فعرّفه ابن الأثير: " وجدت علماء البيان قد فرّقوا بين التشبيه والتّمثيل، وجعلوا لهذا باباً مفرداً، ولهذا باباً مفرداً، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، يقال: شبّهت هذا الشيء بهذا الشيء، كما يقال: مثله به، وما أعلم كيف خفي ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه...²" وهو يشمل مجموعة من التّماتيل: كالتّمثيل الرّمزي، والقصصي، والطّبيعي.

أ. التّمثيل الرّمزي³: وهو ما ينقل عن لسان الطيور والنباتات والأحجار بصورة الرمز والتعمية ويكون كناية عن معاني دقيقة، وهذا النوع من التّمثيل يعجّ به كتاب "كليلة ودمنة" لابن المقفع، وقد استخدم هذا الأسلوب الشاعر العارف العطار النيشابوري في كتابه "منطق الطير".

ب. التّمثيل القصصي⁴: وهو بيان أحوال الأمم الماضية بغية أخذ العبر للتشابه الموجود. يقول سبحانه:

﴿مَثَلُ الْفَرَسِ الْبَارِئِ فِي السَّيْرِ وَالْحَرْبِ الْفَرَسُ الْقَوِيُّ﴾
﴿مَثَلُ الْبَنَاتِ السَّامِيَّاتِ وَالْحَبَشَاتِ الْفُجَّارَاتِ﴾
﴿مَثَلُ الْبَنَاتِ السَّامِيَّاتِ وَالْحَبَشَاتِ الْفُجَّارَاتِ﴾

¹ _ المرجع نفسه: مادّة (مثل): ج5/ص296، 297.

² _ المثل السائر: ابن الأثير: تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط2، دبت ج1، ص373.

³ _ ينظر: الأمثال في القرآن الكريم: الشيخ جعفر السبحاني: الناشر: مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، ط1420، ص1، ص19.

⁴ _ المرجع نفسه: ص20.

هو التشبيه الذي يكون فيه الشبه فيه منتزعا من العقل وغير حقيقي ويحتاج إلى تأوّل، وإنّ تشبيهه خاص فكلّ تمثيل تشبيهه وليس كلّ تشبيهه تمثيلاً، وإنّ تشبيهه عقلي.¹

كما ذكر التّمثيل المقلوب والتّمثيل غير المقلوب، فالأوّل لا يحتاج إلى تأوّل والثّاني يحتاج إلى تأوّل وتخيل.

يلمّح عبد القاهر الجرجاني إلى أنّ " المعنى إذا أتاك ممثلاً، في الأكثر ينجلي لك بعد أن يُحوّجك إلى غير طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له والهمّة في طلبه، وما كان منه أطف، كانت امتناعه عليك أكثر، وإبائه أظهر، واحتجابه أشدّ " ². فهو يرى أنّ الغموض الذي يؤثر في نفس القارئ من العمل الإبداعي.

التّعقيد نوعان تعقيد لفظي، وتعقيد معنوي:

ت. التّعقيد اللفظي: هو كون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد به بحيث تكون الألفاظ غير مرتّبة على وفق المعاني.³

ث. التّعقيد المعنوي: وهو كون التركيب خفي الدلالة على المعنى المراد لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأصلي على المعنى المقصود بسبب إيراد اللوازم البعيدة المفترقة إلى وسائط كثيرة مع عدم ظهور القرائن الدالة على المقصود⁴

أمّا " التّعقيد والتّعمية وتعمّد ما يكسب المعنى غموضاً، مشرّفاً له وزائداً في فضله، وهذا خلاف ما عليه الناس، ألا تراهم قالوا إن خير

¹ دلائل الإعجاز: ص223، 221.

² أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني: ص118.

³ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع: السيّد أحمد الهاشمي: دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1971م، ص19.

⁴ المرجع نفسه: ص20.

الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك، فالجواب
إني لم أُرِدْ هذا الحدَّ من الفكرِ والتعب، وإنما أردت القدر الذي يحتاج
إليه في نحو قوله:
فإن المسك بعض دم الغزال¹

عمل عبد القاهر الجرجاني على التفريق بين التمثيل والتعقيد
، وجعلهما متقابلين، حيث ضرب لنا أمثلة تعنى بالغموض في المعنى
كقوله:

" إن هذا الضرب من المعاني، كالجوهر في الصدف لا يبرز لك إلا
أن تشقه عنه، وكالعزير المحتجب لا يُريك وجهه حتى تستأذن
عليه". ثم ما كلُّ فكر يهتدي إلى وجه الكشف عمّا اشتمل عليه، ولا
كلُّ خاطر يؤدّن له في الوصول إليه².

7_ فصل في وقوع الاسم مستعاراً بحسب الحسن وهو ليس كذلك:

" اعلم أنك تجد الاسم وقد وقع من نظم الكلام الموقّع الذي يقتضي
كونه مستعاراً، ثم لا يكون مستعاراً، وذاك لأن التشبيه المقصود
منوطٌ به مع غيره، وليس له شبهة ينفردُ به، على ما قدّمتُ لك من أن
الشبهه يجيء مُنتزِعاً من مجموع جملة من الكلام³ مثل "يقول إذا
قيل له: الاسم مثل زيد وعمرو، اكتفيتُ ولا أحتاج إلى وصفٍ أو حدِّ
يُميّزه من الفعل والحرف أو حدِّ لهما، إذا عرفتُهما عرفتُ أن ما
خالفهما هو الاسم، على طريقة الكتاب، ويقول لا أحتاج إلى أن
أعرف أنّ الاسم ينقسم فيكون متمكناً أو غير متمكّن، والمتمكّن يكون
منصرفاً وغير منصرف، ولا إلى أن أعلم شرح غير المنصرف،

¹ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني:ص118.

² المصدر السابق:ص119.

³ المصدر نفسه:ص223.

الأسباب التسعة التي يقف هذا الحكم على اجتماع سببين منها أو تكرر سبب في الاسم ولا أنه ينقسم إلى المعرفة والنكرة، وأن النكرة ما عمّ شيئين فأكثر، وما أريد به واحد من جنس لا بعينه، والمعرفة ما أيد به واحد بعينه أو جنس بعينه على الإطلاق ولا إلى أن أعلم شيئاً من الانقسامات التي تجيء في الاسم، كان قد أساء الاختيار، وأسرف في دعوى الاستغناء عما هو محتاج إليه إن أراد هذا النوع من العلم ولئن كان الذي نتكّف شرحه لا يزيد على مؤدّى ثلاثة أسماء، وهي التمثيل والتشبيه والاستعارة، فإن ذلك يستدعي جملاً من القول يصنّب استقصاؤها، وشعباً من الكلام لا يستبين لأول النظر

8_ فصل في نوع آخر من التعليل:

التّخيل المعلّل عند عبد القاهر الجرجاني هو: " أن يكون للمعنى من المعاني والفعل من الأفعال علّة مشهورة من طريق العادات والطباع، ثم يجيء الشاعر فيمنع أن تكون لتلك المعروفة، ويضع له علّة أخرى، مثاله قول المتنبي: مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ ... يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرَجُّو الدِّنَابُ"¹

تعمد المتنبي الإدعاء العلّة في قتل هذا الممدوح لأعدائه، فمن المعروف أنّ الرّجل يقتل أعاديه ليحمي نفسه منهم.

9_ فصل في التّخيل بغير تعليل:

حرص الجرجاني على تلميحه لمصطلح التّخيل بأنّه درجة من العمل الفنّي كذكره للشعر، على أنّه كلام مخيل. فذكر لنا نوعاً من

¹ المصدر السابق: ص 278.

التّخييل بغير تعليل بوقوفه عند دور التّشبيه، الاستعارة، و المجاز فيقول:

"و هذا نوع آخر من التّخييل، وهو يرجع إلي ما مضى من تناسي التّشبيه و صرف النفس عن توهُمه، إلا أنّ ما مضى مُعلّل، وهذا غير معلّل، بيان ذلك أنهم يستعيرون الصّفة المحسوسة من صفات الأشخاص للأوصاف المعقولة"¹.

ويستشهد لنا ببيتين شعريين لابن الرّومي:
قَامَتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ ... نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي
قَامَتْ تُظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَبٍ ... شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

10_ فصل في الفرق بين التشبيه والاستعارة:

اهتمّ الجرجاني بظاهرة التّشبيه و لاستعارة، ويظهر الفارق بينهما جلياً في كون التّشبيه يحتوي أحد طرفيه يشابه الآخر، والاستعارة تحتوي الطرفين، أحدهما يستعير. " إنّ الاسم إذا قُصد إجراؤه على غير ما هو له لمشابهة بينهما، كان ذلك على ما مضى من الوجهين:

أحدهما أن تُسقط ذكر المشبّه من البين، حتى لا يُعلم من ظاهر الحال أنك أردته، وذلك أن تقول " عنت لنا ظبية "² أي أراد بالمرأة تشبيهه الظبية.

ووردنا بحراً، أراد بالشّخص الممدوح، ووصفه بالكرم.

¹ _ المصدر نفسه:ص262.

² _ المصدر السابق:ص278.

والوجه الثاني: " أن تذكر كلَّ واحدٍ من المشبَّه والمشبَّه به فتقول زيدٌ أسدٌ وهندٌ بدرٌ، وهذا الرجل الذي تراه سيفٌ صارمٌ على أعدائك"1.

11_ فصل في الاتفاق في الأخذ والسَّرقة. والاستمداد والاستعانة:

يعدّ الجرجاني من خيرة العلماء الذين بيّنوا لنا هذه القضية فقال:

" فأما الاتفاق في عموم الغرض، فما لا يكون الاشتراك فيه داخلياً في الأخذ والسَّرقة والاستمداد والاستعانة، لا ترى مَنْ به حسٌّ يدّعي ذلك، ويأبى الحكم بأنه لا يدخل في باب الأخذ، وإنما يقع الغلط من بعض مَنْ لا يُحسن التحصيل، ولا يُنعم التأمل"2.

وهو بذلك فرّق بين المعاني العامّة والسَّرقة التي أطلق عليها عدّة تسميات، من بينها: الأخذ، الاستمداد، الاستعانة.

12_ فصل في حدى الحقيقة والمجاز:

إنّ للعلماء في هذا الفنّ من فنون التّصوير البياني _ الحقيقة والمجاز_ آراء متضاربة فمنهم من يرى أنّ الكلام كلّهُ حقيقة، ومنهم من يرى أنّ اللّغة تشتمل على حقيقة ومجاز، فقد استهلنا هذا القسم بذكر ماهية الحقيقة وأقسامها، ثمّ انقلنا إلى المجاز فذكرنا ماهيته وأقسامه.

الحقيقة:

جاء في لسان العرب: حقق الحق نقيض الباطل... وفي التنزيل:

كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ بِحَسَبِ عِلْمِهِ إِتِمَامًا وَيُسْرًا أُولَئِكَ هُمُ الصَّابِرُونَ
وَالَّذِينَ إِتَمَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صُلُوبَهُمْ وَأَيَّدَهُمْ بِقُوَّتِهِ وَأَقَامَهُم بِإِيمَانِهِمْ
فِي صُلْبِهِمْ لِيُحَدِّثَ يُسْرًا أُولَئِكَ هُمُ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ
الَّذِينَ يُوقِنُونَ أَنَّ اللَّهَ يُحْدِثُ سُرًّا وَلَئِن كُنْتُمْ إِلاَّ كَاذِبِينَ
وَالَّذِينَ إِتَمَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صُلُوبَهُمْ وَأَيَّدَهُمْ بِقُوَّتِهِ وَأَقَامَهُم بِإِيمَانِهِمْ
فِي صُلْبِهِمْ لِيُحَدِّثَ يُسْرًا أُولَئِكَ هُمُ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ
الَّذِينَ يُوقِنُونَ أَنَّ اللَّهَ يُحْدِثُ سُرًّا وَلَئِن كُنْتُمْ إِلاَّ كَاذِبِينَ

1_ أسرار البلاغة:ص279.

2_ المصدر السابق:ص294.

أ. الحقيقة اللغوية: فهي اللفظ المستعمل في المعنى الذي وضع له أصلاً في اللغة¹.

ب: الحقيقة العرفية: فهي إسناد الفعل وما فيه معناه²

ج: الحقيقة الشرعية:

فهي كلُّ لفظٍ وُضِعَ لمسمى في اللغة، ثم استعمل في الشرع لمسمى آخر، مع هجران الاسم للمسمى اللغوي بمضي الزمان وكثرة الاستعمال في المسمى الشرعي³

وردت لفظة حقيقة في كتاب الله عز وجل في سورة

القصص: ﴿...﴾

﴿...﴾⁴

أي ثبت. كما وردت في سورة الزمر: ﴿...﴾

﴿...﴾

﴿...﴾

﴿...﴾⁵ أي ثبتت.

وجاء في معجم لسان العرب لابن منظور :

"حَقَّقَ: الحَقَّقَ نَقِيضَ البَاطِلِ. وَحَقِيقٌ فِي حَقِّ وَحُقِّ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ وَالحَقِيقَةُ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ حَقُّ الأَمْرِ وَوَجُوبُهُ وَبَلَّغَ حَقِيقَةَ الأَمْرِ، أَي يَقِينُ شَأْنَهُ"⁶.

أمّا ابن فارس فعرفها: "حقّ الشيء إذا وجب، واشتقاقه من الشيء المحقّق وهو المحكم، تقول ثوب محقّق الشيخ أي محكمه"¹.

¹ ينظر: الخصائص: ج2، ص442.

² ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ج3، ص109.

³ ميزان الأصول في نتائج العقول، علاء الدين شمس النظر أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي المتوفى: 539 هـ، حققه الدكتور محمد زكي عبد البر، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ط1، 1404 هـ - 1984 م، ج1، ص538.

⁴ سورة القصص: من الآية: 63.

⁵ سورة الزمر: الآية: 71.

⁶ لسان العرب: ابن منظور: ج3، ص197.

هذا من الناحية اللغوية، أمّا من الناحية الاصطلاحية فهي: " الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم ولا تأخير، كقول القائل:

" أحمد الله على نعمه وإحسانه " وهذا أكثر الكلام"².

بيّن لنا الجرجاني معنى الحقيقة، فهي اللفظة المفردة وهي كلّ كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع، وأن لا تسند إلى غيره فهي حقيقة.

المجاز لغة: مصدر عمى وزن مفعّل ، وهو تعدي الشيء أو المكان يقال جاز المكان إذا تعداه³.

اصطلاحاً: هو استخدام الكلمة في غير ما وضعت لو لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي⁴.

والمجاز عبارة عن تجوز الحقيقة⁵ ، وفيه يتم استعمال اللفظ خلافاً لما وضع له أصلاً في عرف اللغة.

يقول ابن رشيق إن العرب كثيراً ما تستعمل المجاز في كلامها وتعدّه من مفاخر الكلام ودليل الفصاحة ورأس البلاغة⁶

أنواع:

¹ _الصاحبي في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها: ابن فارس: دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان ط1، 1999م، ص149.

² _ ينظر: المرجع نفسه: ص149.

³ _المنجد في اللغة والأعلام: لويس معلوف: مادة جاز، المطبعة الكاثوليكية – بيروت، ط1908، 1م، ص109.

⁴ _ من باللغة القرآن: دمحم شعبان عموان وآخرون : ط4، 2009م، ص109.

⁵ _ المعجم المفصل في علوم البلاغة: إنعام عكاوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط2، 1996م، ص638.

⁶ _ ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: دار الجيل الطبعة: الخامسة، 1401 هـ - 1981 م 267/1.

1. مجاز عقلي¹:

هو الذي تتوصل إليه بحكم العقل ، وضرورة الفطرة ، وسلامة الذائقة ، فيخلصنا من مآزق الالتباس ، وشبهات التعبير ، فتنظر إليه - وهو يثير الإحساس - شخصاً عقلياً ، وكأنك تراه ، وتلمسه - وهو يهز الشعور - شيئاً مدركاً ، وكأنك تبصره طريقة استعماله تتم عن نتائج إرادته ، ودلالته في الجملة تكشف عن حقيقة مراده.

2. مجاز لغوي:

" وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة - بمعنى مناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي - يكون الاستعمال لقرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وهي قد تكون لفظية، وقد تكون حالية، وكلما أطلق المجاز، انصرف إلى هذا المجاز وهو المجاز اللغوي" ².

يحتوي نوعين مفرد ومركب:

فالمفرد بدوره ينقسم إلى قسمين:

أ. مفرد مرسل

ب. مجاز مفرد بالاستعارة

و الشيء نفسه بالنسبة للمركب:

¹ نقد النثر: طه حسين ، قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي أبو الفرج ، ج1، تحقيق -

العبادي دار الكتب العلمية عن الطبعة المصرية القديمة : 29

² شرح الملا حنفي على الرسالة العضدية في آداب البحث والمناظرة للإيجي وعليها،

شمس الدين الحنفي: التبريزي، تحقيق السيد يوسف أحمد، دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان، 1971م، ج1، ص343.

أ. مركب مرسل

ب. مجاز مركب بالاستعارة

" واعلم أن حدَّ كل واحد من وصفى المجاز والحقيقة إذا كان الموصوف به المفرد، غيرُ حدّه إذا كان الموصوف به الجملة، وأنا أبدأ بحدّهما في المفرد، كلُّ كلمة أريد بها ما وقعت له في وَضْعٍ واضح، وإن شئت قلت: في مواضع، وقوعاً لا تستند فيه إلى غيره فهي حقيقة، وهذه عبارةٌ تنتظم الوضع الأوّل وما تأخر عنه، كلُّغةٍ تحدث في قبيلة من العرب، أو في جميع العرب، أو في جميع الناس مثلاً، أو تحدث اليوم ويدخل فيها الأعلام منقولة كانت كزيد وعمرو، أو مرتجلةً كغطفان وكلّ كلمة استؤنّف لها على الجملة مواضعٌ، أو ادّعي الاستئناف فيها"¹.

وأما المجاز " فكلُّ كلمة أريد بها غيرُ ما وقت له في وَضْعٍ واضعها، لملاحظة بين الثاني والأوّل، فهي مجاز"².

13_ المجاز العقلي والمجاز اللغوي والفرق بينهما:

لقد كان للمجاز حصّة الأسد في كتب البلاغة والنقد، وأخذ تعريفه الدقيق حينما ألف كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وقد أوضح معنى الحقيقة قبل كلّ شيء وقال: "اعلم أنّ حدّ كلّ واحد من وصفى المجاز والحقيقة إذا كان الموصوف به المفرد غير حدّه إذا كان الموصوف به الجملة. وأنا أبدأ يحدّهما في المفرد: كلّ كلمة اريد بها ما وقعت له في وضع واضح وإن شئت قلت في مواضع وقوعاً لا تستند فيه إلى غيره فهي حقيقة. وهذه العبارة تنتظم الوضع الأوّل وما

¹ أسرار البلاغة: ص 203.

² المصدر نفسه: ص 304.

تأخّر عنه كلغة تحدث في قبيلة من العرب أو في جميع العرب أو في جميع الناس مثلاً أو تحدث اليوم. ويدخل فيها الإعلام منقولة كانت كزيد وعمرو أو مرتجلة كغطفان وكلّ كلمة استؤنف لها على الجملة مواضعة أو ادعي الاستئناف فيها"¹.

عرّفه عبد القاهر الجرجاني قائلاً: "المجاز مفعّل من جاز الشيء يجوزُه إذا تعداه. وإذا عدل باللفظ عمّا يوجبُه أصل اللّغة وصف بأنّه مجاز على معنى أنّهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أوّلاً"².

والمجاز قسمان : مجاز لغوي، و عقلي :

فالمّغوي ضربان :

مفرد، و مركب.

و أشار لنا : " أنّ المجاز على ضربين : مجاز من طريق اللّغة و مجاز من طريق المعنى و المعقول "³.

أمّا المجاز اللّغوي : " أنّ المتكلّم قد جاوز باللفظة أصلها الذي وضعت له في اللّغة ، و أوقعها على غير ذلك إمّا تشبيهاً و إمّا لصلة و ملابسة بين ما نقلها إليه ، و ما نقلها عنها"⁴.

14_ منه ما قيل فيه إنّهُ استعارة وليس كذلك بل هو حقيقة:

يضرب لنا عبد القاهر في هذا الفصل شاهداً شعرياً في هذا الفصل:

قال أبو القاسم الأمدى في قول البحترى:
فَصَاغَ مَا صَاغَ مِنْ تَبْرٍ وَمِنْ وَرَقٍ ... وَحَاكَ مَا حَاكَ مِنْ وَشْيٍ

¹ دلائل الإعجاز:ص324.

² المصدر نفسه:ص356.

³ المصدر نفسه:ص300.

⁴ المصدر نفسه:ص300.

وديباج

" صوغُ الغيثِ النبتِ وحوُّكُه النباتَ، ليسَ باستعارة بل هو حقيقة، ولذلك لا يقال هو صائغ ولا كأنه صائغ وكذلك لا يقال: حائك وكأنه حائك، على أن لفظة حائك خاصَّةٌ في غاية الركاقة، إذا أُخرج على ما أخرجَه عليه أبو تمام في قوله: إذا الغيثُ غادى نَسَجَهُ خَلَّتْ أَنَّهُ ... خَلَّتْ حِقَبُ حَرَسٍ لَهُ وَهُوَ حَائِكٌ وهذا قبيح جدًّا، والذي قاله البحتري: وحاك ما حاك، حَسَنٌ مستعمل، فانظر ما بين الكلامين لتعلم ما بين الرَّجُلَيْنِ. قد كتبت هذا الفصل على وجهه، والمقصود منه منعه أن تُطلق الاستعارة على الصوغ والحوك، وقد جُعلا فعلاً للربيع، واستدلَّ له على ذلك بامتناع أن يقال: كأنه صائغ وكأنه حائك. اعلم أن هذا الاستدلال كأحسن ما يكون، إلا أن الفائدة تَتَمُّ بِأَنْ تُبَيَّنَ جِهَتُهُ، ومن أين كان كذلك؟¹

15_ فصل في الحذف والزيادة وهل هما من المجاز أم لا²:

تعددت التعريفات بين العلماء والدارسين لقضية الحذف عبر الأزمنة وعليه سنأخذ لمحة موجزة عن هذا المصطلح.

جاء في لسان العرب: "حذف الشيء يحذفه حذفاً، قطعه من طرفه، الحجام يحذف الشعر، من ذلك و الحذافة، ما حذف من شيء فطرح، وخص اللحياني به، حذافة الأديم. الأزهري: تحذيف الشعر تطريره وتسويته، وإذا أخذت من نواحيه ما تسويه به فقد (حُذِفَتْه) ... وأذن حذفاء: كأنها حذفت، أي قطعت...

والحذف يستعمل في الرمي والضرب معاً، ويقال: هم بين حاذف وقاذف؛ الحاذف بالعصا والقاذف بالحجر...

¹ المصدر السابق: ص 329.

² أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني: ص 362.

والحذف بالتحريك :ضأن سود جرد صغار .وقيل :هي غنم سود
صغار تكون بالحجاز، واحدها حذفة .¹

الحذف عند الجاحظ : " هو إسقاط بعض العناصر من النص لغرض
من الأغراض البيانية ، مع وجود دليل على المحذوف² ."
و الحذف أنواع:

أ.ما يسمّى بالاقطاع³:
أحدها : ما يسمى بالاقطاع ؛ وهو حذف بعض حروف الكلمة.

ب.ما يسمّى بالاكفاء⁴:

وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط ، فيكتفى
بأحدهما عن الآخر لنكتة .

ج:ما يسمّى بالاحتباك⁵:

وهو من ألطف الأنواع وأبدعها وقل من تنبه له أو نبه عليه من أهل
فن البلاغة ، ولم أره إلا في شرح بديعية الأعمى لرفيقه الأندلسي ،
وذكره الزركشي في البرهان ، ولم يسمه هذا الاسم ، بل سماه

¹ _لسان العرب: ابن منظور: مج 9،ص48_49.

² _أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز: مصطفى شاهر
خلوف ،دار الفكر عمان الأردن ، ط1 2009 م ،ص: 15، نقلا عن ،الجاحظ البيان
والتبيين ،ج / 1 210 -211 ، 276 283 ، و ج / 2 278 ، 281.

³ _ ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: دار الكتاب
العربي،1419هـ1999م،ج2،ص92.

⁴ _ ينظر: المرجع السابق:ص93.

⁵ _ ينظر: المرجع نفسه:ص94.

الحذف

المقابلتي .

د: مايسمى بالاختزال¹:

هو ما ليس واحدا مما سبق ، وهو أقسام ، لأن المحذوف إما كلمة اسم أو فعل أو حرف أو أكثر .

"واعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز، لنقلك لها عن معناها، كما مضى، فقد توصف به لنقلها عن حُكْمٍ كان لها، إلى حُكْمٍ ليس هو بحقيقة فيها، ومثال ذلك أن المضاف إليه يكتسي إعرابَ المضافِ في نحو: " وَاسْئَلِ الْقَرْيَةَ " ، والأصل: واسئَلْ أهل القرية، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل وعلى الحقيقة هو الجرُّ، والنصبُ فيها مجازٌ"².

أمّا عبد القاهر الجرجاني خصّص له فصلاً عنونه بـ"الحذف والزيادة، وهل هما من المجاز أم لا؟"، وصف لنا أنّ الكلمة كما توصف بالمجاز عندما تنقل عن معناها، فقد توصف به لنقلها عن حكم كان لها، إلى حكم ليس هو الحقيقةً فيها مستشهداً بأمثلة:

مثل قوله تعالى: ﴿...﴾³ إذ الغرض واسأل أهل القرية.

¹ ينظر: المرجع نفسه:ص95.

² أسرار البلاغة:ص362.

³ سورة يوسف: من الآية: 85.

الفصل السّادس:

مضامين دلائل الإعجاز

1_ في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة:

البلاغة صفة سامية عند العرب فطروا عليها، وهذا ما بينته كتاباتهم التي تخلو من كل تكلف أو صنعة.

لقد توالى الدراسات البلاغية قبل عبد القاهر الجرجاني وبعده في التركيز على مصطلح الفصاحة وخصّصوا له تعريفات متعدّدة في

معان توضيحية بالفصاحة عندهم هي :
للفصاحة معان متعدّدة: فهي " الإبانة والظهور، يقال: أفصح الصبح، إذا بدا ضوءه. وكلّ واضحٍ مُفصِحٌ. ورجلٌ فصيحٌ وكلامٌ فصيحٌ، أي: بليغ. ولسانٌ فصيحٌ أي: طلقٌ. ويقال: كلُّ ناطقٍ فصيحٌ، وما لا ينطقُ فهو أعجمٌ. وفصحُ الأعجم تكلم بالعربية وفهم عنه. وأفصح، تكلم بالفصاحة. وفصح الرجل وتفصّح: إذا كان عربيّ اللسان فازداد فصاحة"¹.

أمّا في اصطلاح البلاغيين²: عبارة عن الألفاظ الظاهرة المعنى، المألوفة الاستعمال عند العرب. وهي تكون وصفاً للكلمة والكلام والمتكلم يقال: كلمة فصيحة.

¹ مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: الناشر: مكتبة لبنان: دبت، 1986م، ص240.

² البلاغة الاصطلاحية: عبده عبد العزيز قفيلة: دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1412هـ، 1992م

وكلام فصيح، ومتكلم فصيح.

يركز عبد القاهر على جعل الفصاحة مرتبطة بالنظم وتتعلق به في توافق اللفظة مع غيرها ، وهذا ما تناوله في كتابه دلائل الإعجاز: " فقد اتضح إذا اتضاحا لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر كلفظ الأخدع في بيت الحماسة من الطويل تلفت نحو الحي حتى وجدتي وجعت من الإصغاء ليئا وأخدعا"¹

■ وبيت البحري الطويل:

" وإني وإن بلغنتي شرف الغنى وأعتقت من رق المطامع أخدعي"²

2_ فصل منه في أن نظم الكلام بحسب المعاني والفرق بين نظم الكلم ونظم الحروف:

يقسم عبد القاهر الجرجاني النظم إلى فرعين:
الفرع الأوّل، لا يتجاوز النطق " أن نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل"³.

" فلو أن واضع اللغة كان قد قال ربض مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد"⁴

1-دلائل الإعجاز:ص38.

2_ المصدر نفسه:ص38.

3_ المصدر نفسه:ص40.

4_ المصدر نفسه:ص40.

والنوع الثاني هو القصد من الكلام الذي يعتمد على تحقيق المعنى كما يعبر عن الشعور وهو ما يُخترن في نفس المتكلم وعقله. ولم يكن هذا التقسيم البلاغي والبياني عند علماء البلاغة الذين سبقوا عبد القاهر الجرجاني على هذا الشكل الجيد الذي تنبّه له وأعطاه تفصيلاً ينم عن ذوقه واختصاصه لفكرة النظم، وأن معيار هذا النظم هو النحو.

" وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس"¹
"وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق"²

3_ فصل في أن النظم متوقف على التركيب النحوي:

هذا التقسيم البلاغي والبياني عند علماء البلاغة الذين سبقوا عبد القاهر الجرجاني على هذا الشكل الجيد الذي تنبّه له وأعطاه تفصيلاً ينم عن ذوقه واختصاصه لفكرة النظم.

عرّف في المعجم الوسيط: على أنّه: "تأليف الشيء من مكوناته البسيطة، ويقابله التحليل."³

أمّا أبو علي الفارسي (ت 377هـ) فعرفه -: "الاسم يأتلف مع الاسم، فيكون كلاماً مفيداً؛ كقولنا: عمرو أخوك، وبشر صاحبك، ويأتلف الفعل مع الاسم، فيكون ذلك كقولنا: كتب عبد الله، وسرّ بكر."⁴

1 _ دلائل الإعجاز:ص40.

2 _ المصدر نفسه:ص40.

3 _ المعجم الوسيط؛ لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2008م، ج1، ص368.

4 _ الإيضاح العضدي؛ لأبي علي الفارسي، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، 1389هـ،

1969م، ط1، ص9.

التركيب عند عبد القاهر هو "النظم" حيث قال فيه: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها" وتعدّ هذه المقولة لدى الجرجاني هي أساس التنظير لفكرة النظم ومنها اتخذ الدارسون هذه المقولة هي الأصل في نظرية النظم وتكررت معهم في جميع دراساتهم.

4_ فصل منه في شبهة الذين حصروا الفصاحة في صفة اللفظ:

الفصاحة عنده هي: "سوى التلاؤم اللفظي وتعديل مزاج الحروف حتى لا يتلاقى في النطق حروف تثقل على اللسان" واستشهد لنا بمقولة الجاحظ من قول الشاعر:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبُ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ¹

5_ فصل في اللفظ يراد به غير ظاهره _ الكناية والمجاز:

الكناية أنواع:

1. كناية عن صفة: وهي الدالة على صفة تلازم المعنى المخفي في الجملة ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ مَقَامِ قَهْرِهِمْ وَإِلَى الْأَرْضِ الْمَغْنَمِ﴾² وهي الصفة التي يريدنا الله لنبيّه كناية عن كفيّة المنع والعطاء.

2. كناية عن موصوف: هي ذكر الصفة وإرادة الموصوف مثل قوله عزّ وجلّ:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ مَقَامِ قَهْرِهِمْ وَإِلَى الْأَرْضِ الْمَغْنَمِ﴾

¹ _ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني:ص

² _ سورة الإسراء : الآية:29.

ويضرب لنا مثالا في رثاء الخنساء لأخيها صخر في بيت شعري:
طَوِيلُ النَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَادِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدًا
يبيّن لنا أنّ الخنساء لفتت انتباهنا في بيتها الشعري برثاء أخيها
صخر. فوصفه " بطويل النّجاد "، رفيع العماد، كثير الرّماد.
إذ أرادت بهذه الأوصاف ذكر محامده: ومناقبه بن كرم، ورفعة.
فكان ممّا وصفت به أخاها أن محمل سيفه طويل النّجاد، فلا بدّ أن
يكون طويل القامة، إذ ليس من الممكن أن يكون محمل سيفه قصير
القامة، فلمّحت بعبارة طويل النّجاد.

ثمّ وصفه ب رفيع العماد، أي رفيع المنزلة، وختمت وصفها بكثير
الرّماد. فقصدت به أنّه شديد الكرم في الضيافة.

7_ فصل في تفاوت الكناية والاستعارة والتّمثيل:

يستشهد عبد القاهر الجرجاني ببيت الشّاعر كثير عزة في قوله:
يستعمل عبد القاهر الجرجاني مصطلح الأجناس وهو يتحدّث عن
المسائل الثّلاث الكناية الاستعارة والتّمثيل كما نسّميتها في أدبنا
المعاصر الأجناس الأدبيّة ويحدّد تفاوتها فيما بينها وأنّ فيها مزيّة
وفضيلة وقد يشترك في هذه المزيّة كلّ من العامّي والخاصّي: وهو
يفسّر لنا ذلك

وَسَأَلَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ¹

" أفلا ترى في الاستعارة العامي المبتذل كقولنا رأيت أسدا ووردت
بحرا ولقيت بدرا والخاصي النادر الذي لا تجده إلا في كلام الفحول
ولا يقوى عليه إلا أفراد الرجال كقوله: وَسَأَلَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ
الْأَبَاطِحُ ويقصد ضربا من الكناية بأنّ هذه الحال سارت سيرا في
غاية السّرعة. وجاء بمثال آخر وهو قول الشّاعر:

¹ _ صدر البيت: أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا

سَأَلَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْحَيِّ حِينَ دَعَا
كَالدَّنَائِيرِ¹

أراد أنه مطاع في الحي وأنهم يسرعون إلى نصرته وأنه لا يدعوهم
لحرب أو نازل خطب إلا أتوه وكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى
تجدهم كالسيول تجيء من

هاهنا وهاهنا وتنصب من هذا المسيل وذلك حتى يغص بها الوادي
ويطفح منها

وسألت بأعناق المطي الأباطح على هذه الجملة وذلك أنه لم يغرب
لأن جعل المطي في سرعة سيرها وسهولته كالماء يجري في
الأبطح ويضرب مثالا آخر : رأيت الأسد وأنت لا تريد الرجل
الشجاع، فلا يوجد في اللفظ معنى ثان، لأن اللفظ أتى بمعناه الحقيقي،
أما إذا جعلت من المعنى بالرجل الشجاع، فإنك تدلّ على معنى آخر
وهو الاستعارة. فما يتناسب مع الاستعارة يتناسب تماما مع الكناية
كقولنا: فلان كثير الرماد ولا نريد من المعنى المقصود أنه مضياف،
فلا نجد معنى ثان الذي يدلّ على الكناية، نفس الشيء يتناسب مع
التمثيل.

وعليه سمّاها عبد القاهر الجرجاني بالمعاني الثواني أي المعاني
البلاغية.

8_ فصل في النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع:

يحدّثنا عبد القاهر الجرجاني في النّظم ويحدّده بمضمونه ومقصوده
بالنّظم يتحدّ في الوضع ويدق فيه الصّنع، حيث حرص على أن النّظم
في توخّي معانيه، وربطها بالموضوعات التي تحدّد هذه المعاني
، ممّا يجعلها تزيد رونقا وجمالا من ربطها للمقامات.

¹ _ المصدر السابق:ص58.

" و اعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثان منها بأول وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه هاهنا في حال ما يضع بيساره هناك نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعها بعد الأولين وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره وقانون يحيط به"¹.

9- فصل في التقديم والتأخير :

يعرّف عبد القاهر الجرجاني هذا الفصل بقوله:

" هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعرا يروك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنتظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"².
والتقديم عنده نوعان:

3. تقديم على نية التأخير.

4. وتقديم لا على نية التأخير.

فالتقديم على نية التأخير عرّفه ب:

" وذلك في كل شيء أقررت مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك منطلق زيد وضرب عمرا زيد وتقديم لا على نية التأخير قال عنه :

" ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم وتجعل له بابا غير بابه وإعرابا غير إعرابه وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له فنقدم تارة هذا على ذاك

¹ _ المصدر السابق:ص73،74.

² _ المصدر نفسه:ص83، ص84.

وأخرى ذاك على هذا ومثاله ما تصنعه يزيد والمنطلق حيث تقول مرة زيد المنطلق وأخرى المنطلق زيد فأنت في هذا لم تقدم المنطلق على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير فيكون خبر مبتدأ كما كان بل على أن تنقله عن كونه خبرا "1.

10- فصل هذا كلام في النكرة إذا قدمت على الفعل أو قدم الفعل عليها:

يلفت عبد القاهر الجرجاني انتباهنا لقضية تقديم النكرة على الفعل في الاستفهام فيتبين لنا أن تقديمها أو تأخيرها في الاستفهام بالهمزة لا يتغير عن تقديم المعرفة أو تأخيرها ويضرب لنا أمثلة:

1_ تقديم النكرة على الفعل على الاستفهام:

" إذا قلت أجاك رجل فأنت تريد أن تسأله هل كان مجيء من أحد من الرجال إليه فإن قدمت الاسم فقلت أرجل جاءك فأنت تسأله عن جنس من جاءه أرجل هو أم امرأة ويكون هذا منك إذا كنت علمت أنه قد أتاه آت ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي فسبيلك في ذلك سبيلك إذا أردت أن تعرف عين الآتي فقلت أزيد جاءك أم عمرو ولا يجوز تقديم الاسم في المسألة الأولى لأن تقديم الاسم يكون إذا كان السؤال عن الفاعل والسؤال عن الفاعل يكون إما عن عينه أو عن جنسه ولا ثالث وإذا كان كذلك كان محالا أن تقدم الاسم النكرة وأنت لا تريد السؤال عن الجنس لأنه لا يكون لسؤالك حينئذ متعلق من حيث لا يبقى بعد الجنس إلا العين والنكرة لا تدل على عين شيء فيسال بها عنه فإن قلت أرجل طويل جاءك أم قصير كان السؤال عن أن الجائي من جنس طوال الرجال أم قصارهم فإن وصفت النكرة بالجملة فقلت أرجل كنت عرفته من قبل أعطاك هذا أم رجل لم

1 _ المصدر السابق:ص83.

تعرفه كان السؤال عن المعطي أكان ممن عرفه قبل أم كان إنسانا لم تتقدم منه معرفة¹.

ثم ينتقل إلى عنصر آخر وهو:

2_ تقديم النكرة في الخبر:

فيستشهد لنا بمثال: فيبين لنا أنّ هذا التقديم يرتكز على الحكم في الابتداء بالنكرة في الاستفهام حيث يعطي لنا دلالات معنوية تدلّ على الجنس:

" وإذا قد عرفت الحكم في الابتداء بالنكرة في الاستفهام فابن الخبر عليه فإذا قلت رجل جاءني لم يصلح حتى تريد أن تعلمه أن الذي جاءك رجل لا امرأة ويكون كلامك مع من قد عرف أن قد أتاك أت فإن لم ترد ذلك كان الواجب أن تقول جاءني رجل فتقدم الفعل وكذلك إن قلت رجل جاءني لم يستقم حتى يكون السامع قد ظن أنه قد أتاك قصير أو نزلته من ظن ذلك²"

11- فصل في تحليل شاهد متميز للحذف عند البحتري:

يلح عبد القاهر الجرجاني في هذا الفصل على ضرورة توظيف العقل والفكر معا قصد الحصول على فائدة كبيرة في النص من طرف المتلقي وضرورة الهروب من التلقي التقليدي. يقول: " قد بان الآن واتضح لمن نظر المتثبت الحصيف الراغب في اقتداح زناد العقل والازدياد من الفضل ومن شأنه التوق إلى أن يعرف الأشياء على حقائقها ويتغلغل إلى دقائقها ويربأ بنفسه عن مرتبة المقلد الذي يجري مع الظاهر ولا يعدو الذي يقع في أول الخاطر أن الذي قلت

¹ _ المصدر السابق:ص109.

² _ المصدر نفسه:ص109،ص110.

في شأن الحذف وفي تفخيم أمره والتنويه بذكره وأن مأخذه مأخذ يشبه السحر ويبهر الفكر¹.

12- فصل القول على فروق في الخبر :

قسّم عبد القاهر الجرجاني الخبر إلى قسمين:

- 1_ الخبر الذي هو " جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه "²
- 2_ وخبر " ليس بجزء من الجملة ولكنه زيادة في خبر آخر سابق لهف الأول خبر المبتدأ كمنطلق في قولك (زيد منطلق) والفعل كقولك (خرج زيد) فكل واحد من هذين جزء من الجملة وهو الأصل في الفائدة.³

" والثاني هو الحال كقولك (جاءني زيد راكبا) وذلك لأن الحال خبر في الحقيقة من حيث إنك تثبت بها المعنى لذي الحال كما تثبت بخبر المبتدأ للمبتدأ وبالفعل للفاعل ألا تراك قد أثبت الركوب في قولك جاءني زيد راكبا لزيد إلا أن الفرق أنك جئت به لتزيد معنى في إخبارك عنه بالمجيء وهو أن تجعله بهذه الهيئة في مجيئه ولم تجرد إثباتك للركوب ولم تباشره به بل ابتدأت فأثبت المجيء ثم وصلت به الركوب فالتبس به الإثبات على سبيل التبع للمجيء وبشرط أن يكون في صلته وأما في الخبر المطلق نحو زيد منطلق وخرج عمرو فإنك مثبت للمعنى إثباتا جردته له وجعلته يباشره من غير واسطة ومن غير أن تتسبب بغيره إليه فاعرفه⁴.

13- فصل في الاسم والفعل في الخبر المثبت:

يفرّق لنا عبد القاهر الجرجاني في هذا الفصل بين الخبر إذا كان اسما، وفعلا في الخبر المثبت فيقول بخصوصهما:

1 _ المصدر السابق:ص131.

2 _ المصدر نفسه:ص132.

3 _ المصدر نفسه:ص133.

4 _ المصدر السابق:ص133.

" وإذ قد عرفت هذا الفرق فالذي يليه من فروق الخبر هو الفرق بين الإثبات إذا كان بالاسم وبينه إذا كان بالفعل وهو فرق لطيف تمس الحاجة في علم البلاغة إليه وبيانه، و" أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء "1 .
وأما الفعل " فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء " .

فإذا قلت زيد منطلق فقد أثبت الانطلاق فعلا له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك زيد طويل وعمره قصير فكما لا تقصد هاهنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث بل توجبهما وتثبتهما فقط وتقتضي بوجودهما على الإطلاق كذلك لا تتعرض في قولك زيد منطلق لأكثر من إثباته لزيد².

وأما الفعل فإنه يقصد فيه إلى ذلك فإذا قلت زيد ها هو ذا ينطلق فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءا فجزءا وجعلته يزاوله ويزجيه وإن شئت أن تحس الفرق بينهما من حيث يلطف فتأمل هذا البيت البسيط:

لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ المَضْرُوبُ صُرَّتْنَا
وَهُوَ مُنْطَلِقٌ
لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا

هذا هو الحسن اللائق بالمعنى ولو قلت بالفعل لكن يمر عليها وهو ينطلق لم يحسن.

وذكر الفرق بين الخبر إذا كان صفة مشبهة والخبر إذا كان فعلا:
نلاحظ أنه فضّل الاسم على الفعل. ثم يصف لنا الفرق بين الخبر إذا كان فعلا وإذا كان اسما فيقول:

1 _ المصدر نفسه:ص133.

2 _ المصدر نفسه:ص134.

وإذا أردت أن تعتبره بحيث لا يخفى أن أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه فانظر إلى قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد فإن أحدا لا يشك في امتناع الفعل هاهنا وأن قولنا كلبهم يبسط ذراعيه لا يؤدي الغرض وليس ذلك إلا لأن الفعل يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل ومعنى يحدث شيئا فشيئا ولا فرق بين وكلبهم باسط وبين أن يقول وكلبهم واحد مثلا في أنك لا تثبت مزاولة ولا تجعل الكلب يفعل شيئا بل تثبته بصفة هو عليها فالغرض إذا تأدية هيئة الكلب.

" ومتى اعتبرت الحال في الصفات المشبهة وجدت الفرق ظاهرا بينا ولم يعترضك الشك في أن أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه فإذا قلت زيد طويل وعمرو قصير لم يصلح مكانه يطول ويقصر وإنما تقول يطول ويقصر إذا كان الحديث عن شيء يزيد وينمو كالشجر والنبات والصبي ونحو ذلك مما يتجدد فيه الطول أو يحدث فيه القصر فأما وأنت تحدث عن هيئة ثابتة وعن شيء قد استقر طوله ولم يكن ثم تزايد وتجدد فلا يصلح فيه إلا الاسم"¹.

وإذا ثبت الفرق بين الشئيين في مواضع كثيرة وظهر الأمر بأن ترى أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه وجب أن تقضي بثبوت الفرق حيث ترى أحدهما قد صلح في مكان الآخر وتعلم أن المعنى مع أحدهما غيره مع الآخر كما هو العبرة في حمل الخفي على الجلي وينعكس لك هذا الحكم أعني أنك كما وجدت الاسم يقع حيث لا يصلح الفعل مكانه كذلك تجد الفعل يقع ثم لا يصلح الاسم مكانه ولا يؤدي ما كان يؤديه فمن البين في ذلك قول الأعشى الطويل لعمرى:

¹ _دلائل الإعجاز:ص135.

لَقَدْ لَاحَتْ عَيْونُ كَثِيرَةٍ

إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ

تُحْرَقُ

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا

وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدى

وَالْمُحَلَّقُ

" معلوم أنه لو قيل إلى ضوء نار محرقة لنبا عنه الطبع وأنكرته النفس ثم لا يكون ذاك النبو وذاك الإنكار من أجل القافية وأنها تفسد به من جهة أنه لا يشبه الغرض ولا يليق بالحال وكذلك قوله الكامل أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلي عريفهم يتوسم وذلك لأن المعنى في بيت الأعشى على أن هناك موقدا يتجدد منه الإلهاب والإشعال حالا فحالا وإذا قيل محرقة كان المعنى أن هناك نارا قد ثبتت لها وفيها هذه الصفة"¹.

مما نخلص إليه أنّ عبد القاهر الجرجاني حرص لنا على أمور ثلاث:

أولا/فرّق بين الخبر إذا كان بالاسم وبينه إذا كان بالفعل في الإثبات.

ثانيا/فرّق بين الخبر إذا كان صفة مشبّهة والخبر إذا كان فعلا.

ثالثا/فرّق بين الخبر إذا كان فعلا وبينه إذا كان اسما.

14- فصل في التعريف والتّكثير في المثبت:

ينتقل الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى تطرّقه للكلام عن الفرق في المعنى، فبيّن الخبر المعرفة والخبر النكرة بعد انتهائه من الحديث على الفرق بين الإثبات في الخبر إذا كان بالاسم وبينه إذا كان بالفعل.

فيقول: "ومن فروق الإثبات أنك تقول زيد منطلق و زيد المنطلق و المنطلق زيد فيكون لك في كل واحد من هذه الأحوال غرض خاص وفائدة لا تكون في الباقي وأنا أفسر لك ذلك اعلم أنك إذا قلت زيد

¹ _ المصدر نفسه:ص135.

منطلق كان كلامك مع من لم يعلم أن انطلاقاً كان لا من زيد ولا من عمرو فأنت تفيد ذلك ابتداءً وإذا قلت زيد المنطلق كان كلامك مع من عرف أن انطلاقاً كان إما من زيد وإما من عمرو فأنت تعلمه أنه كان من زيد ودون غيره "1.

نفهم من كلامه في المثال الأول أراد به التّكثير للخبر لمتلق جاهل فأفاد به الابتداء فيما المثال الثاني أراد به التّعريف للخبر لمتلق معروف، فعرف ما كان مجهولاً وأفاد المعنى فقال: "و النكته أنك تثبت في الأول الذي هو قولك زيد منطلق فعلا لم يعلم السامع من أصله أنه كان وتثبت في الثاني الذي هو زيد المنطلق فعلا قد علم السامع أنه كان ولكنه لم يعلمه لزيد فأفدته ذلك فقد وافق الأول في المعنى الذي له كان الخبر خبراً وهو إثبات المعنى للشيء وليس يقدر في ذلك أنك كنت قد علمت أن انطلاقاً كان من أحد الرجلين لأنك إذا لم تصل إلى القطع على أنه كان من زيد دون عمرو كان حالك في الحاجة إلى من يثبته لزيد كحالك إذا لم تعلم أنه كان من أصله"2.

ويفصل في المسألتين بخصوص التّكثير والتّعريف بقوله:
" أنك إذا نكرت الخبر جاز أن تأتي بمبتدأ ثان على أن تشركه بحرف العطف في المعنى الذي أخبرت به عن الأول وإذا عرفت لم يجر ذلك تفسير هذا أنك تقول زيد منطلق وعمرو تريد وعمرو منطلق أيضاً ولا تقول زيد المنطلق وعمرو ذلك لأن المعنى مع التعريف على أنك أردت أن تثبت انطلاقاً مخصوصاً قد كان من واحد فإذا أثبته لزيد لم يصح إثباته لعمرو"3.

1 _ المصدر السابق:ص136.

2 _ المصدر السابق:ص136،ص137.

3 _ المصدر نفسه:ص137.

نستنتج ممّا قاله عبد القاهر الجرجاني أنّه يجوز العطف على التّكرة، ولا يجوز على الخبر المعرفة حتّى يتّضح الفرق بينهما بالتّعريف والتّكثير.

15- فصل في القصر في التّعريف:

أفرد عبد القاهر الجرجاني بابا في كتاب دلائل الإعجاز، فتحدّث عن القصر واستدل لنا بشواهد كثيرة نذكر بعض منها: إذ يعرفه بقوله: " واعلم أنك تجد الألف واللام في الخبر على معنى الجنس ثم ترى له في ذلك وجوها أحدها أن تقصر جنس المعنى على المخبر عنه لقصدك المبالغة وذلك قولك زيد هو الجواد وعمرو هو الشجاع تريد أنه الكامل إلا أنك تخرج الكلام في صورة توهم أن الجود والشجاعة لم توجد إلا فيه وذلك لأنك لم تعتد بما كان من غيره لقصوره عن أن يبلغ الكمال فهذا كالأول في امتناع العطف عليه للإشراك فلو قلت زيد هو الجواد وعمرو كان خلفا من القول". والوجه الثاني " أن تقصر جنس المعنى الذي تفيده بالخبر على المخبر عنه لا على معنى المبالغة وترك الاعتداد بوجوده في غير المخبر عنه بل على دعوى أنه لا يوجد إلا منه ولا يكون ذلك إلا إذا قيدت المعنى بشيء يخصصه ويجعله في حكم نوع برأسه وذلك كنحو أن يقيد بالحال والوقت كقولك هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيرا"¹.

16_ فصل في الأصول العامّة لوصل الجمل وفصلها:

ركّز عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز على قضية الفصل والوصل، وأولاها اهتماما، فقد بيّن لنا أنّها ظاهرة نحويّة مرتبطة بالعطف فعرفّها ب: " اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء

¹ _ المصدر السابق:ص138.

بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخالص و قوم طبعوا على البلاغة وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال معرفة الفصل من الوصل ذاك لغموضه ودقة مسلكه وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة"¹.

فمن خلال تعريفه اتضح لنا أنّ الوصل هو عطف جمل بعضها لبعض، والفصل ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة. وأنّ الفصل أو الوصل يعرف بقوم طبعوا على البلاغة. واستشهد لنا بأمثلة كثيرة في هذا الباب تجاوزنا ذكرها لكثرتها.

17_ فصل منه في أن امتياز العبارة بالتأثير:

في هذا الفصل يتحدّث المؤلّف عن العبارات إذا أتت شبيهة لبعضها، فيكون لها تأثير في كلا العبارتين كقوله:
" لا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتهما فإن قلت فإذا أفادت هذه ما لا تفيد تلك فليستا عبارتين عن معنى واحد بل هما عبارتان عن معنيين اثنين"².

ويستدل بأمثلة: كتشبيه الرّجل بالأسد، فنقول زيد كالأسد، ثمّ تجعل من هذا المعنى معنى آخر كقولنا: كأنّ زيدا أسد، فتريد به التشبيه أيضاً بالأسد، وغيرها من الأمثلة.

18- فصل منه في أن معارضي الكلام في البلاغة بحسب معناه لا لفظه:

1 _ المصدر نفسه:ص170.

2 _ المصدر السابق:ص199.

تطرق عبد القاهر الجرجاني إلى فصل آخر يحدثنا فيه عن معارضي الكلام في البلاغة بحسب معناه لا لفظه فيقول: " قد علم أن المعارض للكلام معارض له من الجهة التي منها يوصف بأنه فصيح وبلغ ومتخير اللفظ جيد السبك ونحو ذلك من الأوصاف التي نسبوها إلى اللفظ"¹.

" وإذا كان هذا هكذا فبنا أن ننظر فيما إذا أتى به كان معارضا ما هو أهدى أن يجيء بلفظ فيضعه مكان لفظ آخر نحو أن يقول بدل أسد ليث وبدل بعد نأى ومكان قرب دنا أم ذلك م لا يذهب عليه عاقل ولا يقوله من به طرق كيف ولو كان ذلك معارضة لكان الناس لا يفصلون بين الترجمة والمعارضة وكان كل من فسر كلاما معارضا له وإذا بطل أن يكون جهة للمعارضة وأن يكون الواضع نفسه في هذه المنزلة معارضا له"².

19- فصل منه دلالة الكلام ضربان :لفظية أولية ، معنوية ثانوية:

يشير عبد القاهر الجرجاني إلى مصطلح الغموض حين عرضه في المستوى الفني من خلال النصوص المختلفة بالشواهد الشعرية أو النثرية.

فالكلام عنده على ضربين:

" ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت خرج زيد وبالانطلاق عن عمرو فقلت عمرو منطلق وعلى هذا القياس"³.
وضرب آخر " أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد

1 _ المصدر نفسه:ص199،ص200.

2 _ المصدر السابق:ص200.

3 _ المصدر نفسه:ص202.

لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل¹.

20- فصل منه ما وصف به الكلام البليغ خاص بما يدل فيه المعنى على المعنى:

يمهّد عبد القاهر الجرجاني في هذا الفصل بتعريفه قائلاً:
"ومن الصفات التي تجدهم يجرونها على اللفظ ثم لا تعترضك شبهة ولا يكون منك توقف في أنها ليست له ولكن لمعناه قولهم لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك وقولهم يدخل في الأذن بلا إذن فهذا مما لا يشك العاقل في أنه يرجع إلى دلالة المعنى على المعنى وأنه لا يتصور أن يراد به دلالة اللفظ على معناه الذي وضع له في اللغة"². نلاحظه أنه رتب المعاني ترتيباً معنوياً.

21_ فصل منه في أنّ المزية للكلام الذي يحتمل أكثر من معنى واحد:

ثم يصوّر لنا فصلاً يطلعنا عن أنّ المزية للكلام الذي يحتمل أكثر من معنى واحد مبيناً لنا أنّ " الاحتمال يزيد جمال النص من الشيء المحتمل.

يقول: " و اعلم أنه إذا كان بينا في الشيء أنه لا يحتمل إلا الوجه الذي هو عليه حتى لا يشكل وحتى لا يحتاج في العلم بأن ذلك حقه وأنه الصواب إلى فكر وروية فلا مزية وإنما تكون المزية ويجب الفضل إذا احتتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجهاً آخر ثم رأيت النفس تنبو عن ذلك الوجه الآخر ورأيت للذي جاء عليه حسناً وقبولاً يعدمهما إذا أنت تركته إلى الثاني"³.

1 _ المصدر نفسه:ص202.

2 _ المصدر السابق:ص206.

3 _ المصدر نفسه: ص221.

و القصد لدى عبد القاهر من هذا النصّ أنّ المعنى إذا كان واضحا في مضمون الكلام، فإنّ المعنى فيه مستقيم كما هو الحال في تقرير معنى حول شيء محدود، وإذا تعدّدت الدلالة والمعنى واضح فهذا يزيد المعنى حسنا وجمالا.

22_ فصل منه في اشتراط الذّوق والأريحيّة في هذا الباب:

يلح في هذا الفصل أن تكون العلاقة قائمة على ضرورة إكساب البليغ روح اكتساب الملكة البلاغيّة وتعليمها للمتعلّم. فيذهب في حديثه في باب اللفظ

والنّظم، مخاطبنا بفصل يذكر فيه:

" واعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعامن السامع ولا يجد لديه قبولا حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة وحتى يكون ممن تحدّثه نفسه بأن لما يومئ إليه من الحسن واللفظ أصلا وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام فيجد الأريحية تارة ويعرى منها أخرى وحتى إذا عجبته عجب وإذ نبهته لموضع المزية انتبه فأما من كانت الحالان والوجهان عنده أبدا على سواء وكان لا يفقه من أمر النظم إلا الصحة المطلقة وإلا إعرابا ظاهرا فما أقل ما يجدي الكلام معه فليكن من هذه صفته عندك بمنزلة من عدم الإحساس بوزن الشعر والذوق الذي يقيمه به والطبع الذي يميز صحيحه من مكسوره ومزاحفه من سالمه وما خرج من البحر مما لم يخرج منه في أنك لا تتصدى له ولا تتكلف تعريفه لعلمك أنه قد عدم الأداة التي معها يعرف والحاسة التي بها يجد فليكن قدحك في زند وار والحك في عود أنت تطمع منه في نار"¹.

23_ فصل في المجاز الحكمي:

¹ _ المصدر السابق:ص225،ص226.

يحدّثنا عبد القاهر الجرجاني عن نوع آخر من المجاز فيسمّيه المجاز المرسل في دلالة الاتّساع في فصل من المجاز الحكمي.
" اعلم أن طريق المجاز والاتّساع في الذي ذكرناه قبل أنك ذكرت الكلمة وأنت لا تريد معناها ولكن تريد معنى ما هو ردف له أو شبيهه فتجوزت بذلك في ذات الكلمة وفي اللفظ نفسه"¹.

24_ فصل في الكناية والتعريض:

يتناول لنا عبد القاهر الجرجاني نوعا آخر من الكناية، وهي الكناية عن نسبة، إذ يعدّ هو أوّل من تطرّق لهذا النوع فيعرّفها: " هذا فن من القول دقيق المسلم لطيف المأخذ وهو أنا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذهب الكناية والتعريض كذلك يذهبون في إثبات الصفة هذا المذهب وإذا فعلوا ذلك بدت هناك محاسن تملأ الطرف ودقائق تعجز الوصف ورأيت هناك شعرا شاعرا وسحرا ساحرا وبلاغة لا يكمل لها إلا الشاعر المفلق". حيث جمع بين الكناية والتّعريف والرّمز والإشارة في فنّ واحد وربط الرّمز بالكناية، وضرب لنا أمثلة كثيرة في هذا الفصل، إذ يقول: " وكما أن الصفة إذا لم تأتك مصرحا بذكرها مكشوفًا عن وجهها ولكن مدلولا بغيرها كان ذلك أفخم لشأنها وألطف لمكانها كذلك إثباتك الصفة للشيء تثبتها له إذا لم تلقه إلى السامع صريحا وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرّمز والإشارة كان له من الفضل والمزية ومن الحسن والرونق ما لا يقل قليله لا يجهل موضع الفضيلة فيه "².

25_ فصل في إنّ ومواضعها، والفروق التي تجهلها العلماء فيها:

¹ _ المصدر نفسه:ص227.

² _ المصدر السابق:ص236،ص237.

المعنى ما حرم ربي إلا الفواحش قال وأصبت ما يدل على صحة قولهم في هذا وهو قول الفرزدق الطويل أنا الذائد الحامي الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي.

27_ فصل في نكتة تتصل بالكلام الذي تضعه بما و إلا:

ثم يتكلم عن فصل وسمه ب نكتة تتصل بالكلام الذي تضعه بما و إلا، يقول:

" اعلم أن الذي ذكرناه من أنك تقول: «ما ضرب إلا عمرو زيدا»، فتوقع الفاعل والمفعول جميعا بعد «إلا»، ليس بأكثر الكلام، وإنما الأكثر إن تقدّم المفعول على «إلا»، نحو: «ما ضرب زيدا إلا عمرو»، حتى أنهم ذهبوا فيه أعني في قولك: «ما ضرب إلا عمرو زيدا» إلى أنه على كلامين، وأن «زيدا» منصوب بفعل مضمر، حتى كأن المتكلم بذلك أبهم في أول أمره فقال: «ما ضرب إلا عمرو» ثم قيل له: «من ضرب؟» فقال: «ضرب زيدا.» وهاهنا، إذا تأملت، معنى لطيف يوجب ذلك، وهو أنك إذا قلت: «ما ضرب زيدا إلا عمرو»، كان غرضك أن تختص «عمرا» «بضرب» «زيد»، لا بالضرب على الإطلاق. وإذا كان كذلك، وجب أن تعدّي الفعل إلى المفعول من قبل أن تذكر «عمرا» الذي هو الفاعل، لأن السامع لا يعقل عنك أنك اختصته بالفعل معدّي حتى تكون قد بدأت فعديته أعني لا يفهم عنك أنك أردت أن تختص «عمرا» بضرب «زيد»، حتى تذكره له معدّي إلى «زيد»، فأما إذا ذكرته غير معدّي فقلت: «ما ضرب إلا عمرو»، فإن الذي يقع في نفسه أنك أردت أن تزعم

1_ سورة الأعراف: من الآية 33.

أنه لم يكن من أحد غير «عمر» ضرب، وأنه ليس هاهنا مضروب إلا وضاربه عمرو، فاعرفه أصلا في شأن التقديم والتأخير¹.

فالفرق بائن في قولنا: ماضرب زيدا إلا عمرو.

وما ضرب عمرو إلا زيدا.

الأول يريد به تقديم المنسوب (زيدا) ببيان من هو الضارب، وإخبار عمرو فقط.

أما الثاني فأراد تقديم المرفوع (عمرو) وبيان المضروب من هو، وإخبار زيد خاصة دون غيره.

28_ فصل في العود إلى مباحث " إنما "

ينتقل إلى باب آخر وهو باب القصر والاختصاص، فيحدثنا عن مباحث إنما قائلا: "إن قيل: قد مضيت في كلامك كله على أن " إنما " للخبر لا يجهله المخاطب، ولا يكون ذكرك له لأن تفيده إياه . وإنما لنراها في كثير من الكلام . والقصد بالخبر بعدها أن تعلم السامع أمرا قد غلط فيه بالحقيقة واحتاج إلى معرفته كمثل ما ذكرت في أول الفصل الثاني من قولك: " إنما جاءني زيد لا عمرو " . وتراها كذلك تدور في الكتب للكشف عن معان غير معلومة ودلالة المتعلم منها على ما لا يعلم .

قيل: أما ما يجيء في الكلام من نحو: " إنما جاء زيد لا عمرو " فإنه وإن كان يكون إعلاما لأمر لا يعلمه السامع فإنه لا بد مع ذلك من أن يدعى هناك فضلا انكشاف وظهور في أن الأمر كالذي ذكر . وقد قسمت في أول ما افتتحت القول فيها فقلت: " إنها تجيء للخبر لا يجهله السامع ولا ينكر صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة " . وأما ما ذكرت من أنها تجيء في الكتب لدلالة المتعلم على ما لم يعلمه

¹ _ دلائل الإعجاز:ص269.

فإنك إذا تأملت مواقعها وجدتها في الأمر الأكثر قد جاءت لأمر قد وقع العلم بموجبه وبشيء يدل عليه "1.

29_ فصل من باب اللفظ والنظم في الحكاية:

يتوسّع عبد القاهر الجرجاني في باب اللفظ والنظم بطرق قضية جديدة، في حديثه عن فصل إزالة شبهة في شأن النظم والترتيب: "اعلم أنه لا يصلح تقدير الحكاية في " النظم والترتيب " بل لن تعدو الحكاية الألفاظ وأجراس الحروف، وذلك أن الحاكي هو من يأتي بمثل ما أتى به المحكي عنه، ولا بد من أن تكون حكايته فعلا له، وأن يكون بها عاملا عملا مثل عمل المحكي عنه نحو أن يصوغ إنسان خاتما فيبدع فيه صنعة، ويأتي في صناعته بخاصة تستغرب، فيعمد واحد آخر فيعمل خاتما على تلك الصورة والهيئة، ويجيء بمثل صنعته فيه، ويؤديها كما هي، فيقال عند ذلك: " إنه قد حكى عمل فلان صنعة فلان . "

و " النظم والترتيب " في الكلام كما بينا عمل يعمله مؤلف الكلام في معاني الكلم لا في ألفاظها ، وهو بما يصنع في سبيل من يأخذ الأصباغ المختلفة فيتوخى فيها ترتيبا يحدث عنه ضروب من النقش والوشي . وإذا كان الأمر كذلك، فإننا إن تعدينا بالحكاية الألفاظ إلى النظم والترتيب، أدى ذلك إلى المحال"2.

30_ فصل منه في اختصاص القول بقائله:

ثم يبيّن عبد القاهر الجرجاني في فصل آخر سمّاه اختصاص القول بقائله معرّفاً به: " اعلم أنّا إذا أضفنا الشعرَ أو غيرَ الشعرِ، من ضروب الكلام، إلى قائله لم تكنْ إضافتنا له من حيثُ هو كَلِمٌ

1 _ المصدر السابق: ص274، ص275.

2 _ المصدر نفسه: ص274، ص275.

وأوضاع لغة، ولكن من حيث تُوخِّي فيها النظم الذي بيّنا أنه عبارة عن تُوخِّي معاني النحو في معاني الكلم¹.
حيث أضاف الشعر إلى قائله، فأشار إلى لفظة توخي الدالة على المحاولة التي تحكم بالفشل، وأن اللغة الشعرية حاضرة أكثر من قائلها.

31_ فصل منه في فساد ملكة الفهم بالتقليد:

بعدها ينتقل بنا عبد القاهر الجرجاني إلى فصل سمّاه بفساد ملكة الفهم بالتقليد:

" واعلم أني على طول ما أعدت وأبدأت، وقلت وشرحت في هذا الذي قام في أوهم الناس من حديث اللفظ، لربما ظننت أني لم أصنع شيئاً. وذاك أنك ترى الناس كأنه قد قضي عليهم أن يكونوا في هذا الذي نحن بصددِهِ على التقليد البحت وعلى التوهم والتخيّل. وإطلاق اللفظ من غير معرفة بالمعنى، قد صار ذاك الدأب، والديّن، واستحكّم الداء منه الاستحكام الشديد. وهذا الذي بيّناه وأوضحناه كأنك ترى أبدأً حجاباً بينهم وبين أن يعرفوه، وكأنك تسمعهم منه شيئاً تلفظه أسماعهم، وتذكره نفوسهم؛ وحتى كأنه كلما كان الأمر أبين كانوا عن العلم به أبعد وفي توهم خلافه أفعد؛ وذاك لأن الاعتقاد الأول قد نشب في قلوبهم وتأسب فيها ودخل بعروقه في نواحيها، وصار كالنبات السوء الذي كلما قلغته عاد فنبت².

32_ فصل في أن الفصاحة تدرك بالعقل لا بالسمع:

يرى الجرجاني أنه من الإدراك العلمي للقضايا البلاغية فيما يتعلق بمسألة الفصاحة أنها لا تستوعب بالسمع وحده، وليس السمع هو المقياس في الإدراك، لأن السمع قد يتعلق بالصوت الذي يأتي به اللفظ واللفظ غير كاف في تحديد الفصاحة، وإنما الذي يُعين

¹ المصدر نفسه: ص 276، 277.

² المصدر السابق: ص 279.

الفصاحة هو المعنى والمعنى يدرك بالعقل، قيترتب على هذا أن
الفصاحة تدرك بالعقل.

بعدها يعرف لنا عبد القاهر الجرجاني فصلاً يبين لنا أن الفصاحة
تدرك بالعقل لا بالسمع، فيعرفها قائلاً:

" وهذا فنٌّ من الاستدلال لطيفٌ، على بطلان أن تكون الفصاحة
صفةً للفظ من حيث هو لفظٌ: لا تخلو الفصاحة من أن تكون صفةً في
اللفظ محسوسةً تُدرك بالسمع، أو تكون صفةً فيه معقولةً تُعرف
بالقلب، فمحال أن تكون صفةً في اللفظ محسوسةً، لأنها لو كانت
كذلك، لكان ينبغي أن يستوي السامعون للفظ الفصيح في العلم بكونه
فصيحاً؛ وإذا بطل أن تكون محسوسةً، وجب الحكم ضرورةً بأنها
صفةً معقولةً، وإذا وجب الحكم بكونها صفةً معقولةً. فإنا لا نعرف
لللفظ صفةً يكون طريق معرفتها العقل دون الحس، إلا دلالاته على
معناه"¹ فمن خلال فكرته يوضح لنا أنه يذكر تماماً أن الفصاحة تأخذ
صفة اللفظ من حيث هي لفظ مفرد. لكنّه يشترك مع غيره من الألفاظ
ليكون معنى تنتج عنه الفصاحة.

33_ فصل في أن فصاحة اللفظ بحسب معناه:

استشهد عبد القاهر في هذا الفصل بآيات قرآنية في قوله تعالى: ♦

... □ ♦ ◀ ▶ ◻ ◼ ◽ ◾ ◿ ◸ ◹ ◺ ◻ ◼ ◽ ◾ ◿ ◸ ◹ ◺ ◻ ◼ ◽ ◾ ◿ ◸ ◹ ◺ ...
◻ ◼ ◽ ◾ ◿ ◸ ◹ ◺

فإنه لا يجد الفصاحة التي يجدها إلا من بعد أن ينتهي الكلام إلى
آخره.

فلو كانت

1 _ المصدر السابق: ص309.

2 _ سورة مريم : من الآية: 4.

الفصاحة صفةً لِلْفَظِّ "اشتعل" لكان ينبغي أن يُحسَّها القارئُ فيه، حال نُطْقِه به؛ فمُحالٌّ أن تكون للشيءِ صفةً ثمَّ لا يَصِحُّ العِلْمُ بتلك الصفة إلاَّ مِنْ بَعْدِ عَدَمِهِ. ومَنْ ذا رأى صفةً يَعرى موصوفُها عنها في حال وجوده، حتى إذا عُدِمَ صارت موجودةً فيه؟ وهل سمِعَ السامعون في قديم الدهرٍ وحديثه، بصفةٍ شرطُ حصولها لموصوفِها، أن يُعَدَمَ الموصوف؟ فإنَّ قالوا إنَّ الفصاحة التي ادَّعينا لِلْفَظِّ "اشتعل" تكونُ فيه في حال نُطْقنا به إلاَّ أنَّنا لا نَعْلَمُ في تلك الحال أنَّها فيه، فإذا بلَّغنا آخرَ الكلامِ عِلْمنا حينئذٍ أنها كانت فيه حين نُطْقنا: قيل: هذا فنُّ آخر من العَجَب وهو أن تكون ههنا صفةٌ "موجودة" في شيءٍ ثمَّ لا يكون في الإمكانِ ولا يَسَعُ في الجوازِ أن نَعْلَمَ وجودَ تلك الصفةِ في ذلك الشيءِ إلاَّ بعدَ أن يُعَدَمَ ويكونَ العِلْمُ بها وبكونِها فيه محجوباً عنَّا حتى يُعَدَمَ، فإذا عُدِمَ عِلْمنا حينئذٍ أنها كانت فيه حينَ كان¹.

34_فصل: لا يتعلّق الفكر بمعاني الكلم مجردة من معاني النحو:

" وممّا ينبغي أن يَعْلَمَهُ الإنسان ويجعلُه على ذكْرِ، أنه لا يُتصوّرُ أن يتعلّقَ الفكرُ بمعاني الكَلِمِ أفراداً ومجرّدةً من معاني النحو؛ فلا يقومُ في وهْمٍ ولا يَصِحُّ في عَقْلِ أن يَتَفَكَّرَ مُتَفَكِّراً في معنى فعلٍ مِنْ غيرِ أن يُريدَ إعماله في اسمٍ، ولا أن يَتَفَكَّرَ في معنى اسمٍ مِنْ غيرِ أن يُريدَ إعمال فعلٍ فيه وجَعَلَه فاعلاً له أو مفعولاً، أو يُريدَ منه حكماً سوى ذلك من الأحكام، مثلَ أن يُريدَ جَعَلَه مبتدأً أو خبراً أو صفةً أو حالاً أو ما شاكلَ ذلك. وإن أردتَ أن ترى ذلك عياناً، فاعمّدْ إلى أيِّ كلامٍ شئتَ وأزلْ أجزاءه عن مواضعها، وضعها وضعاً يَمْتَنِعُ معه دخولُ شيءٍ من معاني النحو فيها"².

1 _ المصدر السابق:ص312.

2 _ المصدر نفسه:ص314.

ويستدل بالمطلع الشعري من بيت امرئ القيس في صدره:

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ

ويعمل على إعادة ترتيب ألفاظ البيت في التركيب، يقدم كلمة ويؤخر أخرى كمفردات منعزلة عن بعض بعض لا يربطها رابط فلا يحدث فيها نظم ولا يكون فيها معنى.

35_ فصل: كشف شبهة أخرى للقائلين بأن الفصاحة للألفاظ:

ثم يذكر لنا فصلاً سماه ب كشف شبهة أخرى للقائلين بأن الفصاحة للألفاظ، قائلاً فيه: " قد أردتُ أن أُعيدَ القولَ في شيءٍ هو أصلُ الفسادِ، ومُعظَمُ الآفةِ، والذي صارَ حجازاً بينَ القومِ وبينَ التأملِ، وأخذَ بهم عن طريقِ النَّظَرِ، حالَ بينهم وبينَ أن يُصنَعوا إلى ما يقالُ لهم، وأن يفتحوا للذي تُبينُ أعينُهُم؛ وذلك قولُهُم: إنَّ العقلاءَ قد اتَّفَقوا على أنه يصحُّ أن يُعبَّرَ عن المعنى الواحدِ بلفظين، ثم يكونُ أحدهما فصيحاً والآخرُ غيرَ فصيحٍ: وذلك - قالوا - يقتضي أن يكونَ للفظِ نصيبٌ في المزيَّةِ، لأنها لو كانت مقصورةً على المعنى لكان مُحالاً أن يُجعلَ لأحدِ اللفظينِ فضلٌ على الآخرِ، مع أنَّ المعبَّرَ عنه واحدٌ"¹.

فهو يرفض رفضاً باتاً فصل البلاغة عن الفصاحة لأنه ليس هذا من المعقول في نفوس المتكلم والمستمع معاً، أي المتلقي أو القارئ. لأنه متى كان البلاغة قائمة كانت الفصاحة مرافقة لها.

36_ فصل بليغ: يصف به عمله في كشف شبهات مسألة اللفظ:

ثم يعرض لنا فصلاً وسمه ب فصل بليغ: يصف به عمله في كشف شبهات مسألة اللفظ مستشهداً بأمثلة كثيرة :

" قد بلَغنا في مداواة الناس مِنْ دائِهِم، وعلاجِ الفسادِ الذي عَرَضَ في آرائِهِم، كلَّ مبلغ، وانتهينا إلى كلِّ غايةٍ، وأخذنا بهم عن المجاهِل

¹ _ المصدر السابق:ص223.

التي كانوا يتعسفون فيها إلى السنن اللاحب، ونقلناهم عن الآجن المطروق إلى النمير الذي يشفي غليل الشارب، ولم ندع لباطلهم عرقاً ينبض إلا كويناه، ولا للخلاف لساناً ينطق إلا أخرسناه، ولم نترك غطاءً كان على بصر ذي عقل إلا حسرناه؛ في أيها السامع لما قلناه، والناظر فيما كتبناه، والمتصفح لما دونناه، إن كنت سمعت سماع صادق الرغبة في أن تكون أمرك على بصيرة، ونظرت نظراً تام العناية في أن يورد ويصدر عن معرفة، وتصفح تصفح من إذ مارس باباً من العلم لم يقنع إلا أن يكون على ذورة السنم، ويضرب بالمعلّى من السهام؛ فقد هديت لصالنك، وفتح لك الطريق إلى بغيته، وهي لك الأداة التي تبلغ بها، وأوتيت الآلة التي معها تصل، فخذ لنفسك بالتي هي أملاً ليديك، وأعود بالخط عليك، ووازن بين حالك الآن، وقد تنبّهت من رقدتك، وأفقت من غفلتك، وصرت تعلم - إذا أنت خضت في أمر اللفظ والنظم¹.

37_ الفصل الأخير في كشف شبهة جعل الفصاحة للألفاظ:

والفصل السابع والثلاثون كان الفصل الأخير كثير الأمثلة:
 " اعلم أنه لما كان الغلط الذي دخل على الناس في حديث اللفظ، كالداء الذي يسري في العروق، ويفسد مزاج البدن، وجب أن يتوخى دائباً فيهم ما يتواخاه الطبيب في الناقة من تعهده بما يزيد في منته، ويبيقيه على صحته، ويؤمنه النكس في علته؛ وقد علمنا أن أصل الفساد وسبب الآفة هو ذهابهم عن أن من شأن المعاني أن تختلف عليها الصور، وتحدث فيها خواص ومزايا بعد أن لا تكون؛ فإنك ترى الشاعر قد عمد إلى معنى مبتدل، فصنع فيه ما يصنع الصانع الحاذق إذا هو أغرب في صنعة خاتم وعمل شنف وغيرهما من أصناف الحلّى. فإن جهلهم بذلك من حالها هو الذي أغواهم

¹ _ المصدر السابق: ص 366، 367.

واستهواهم، وورّطهم فيما تورّطوا فيه من الجهالات، وأدّاهم إلى التعلق بالمحالات. وذلك أنهم لمّا جهلوا شأن الصورة وضعوا لأنفسهم أساساً وبنوا على قاعدة؛ فقالوا إنه ليس إلا المعنى واللفظ ولا ثالث، وإنه إذا كان كذلك وجب إذا كان لأحد الكلامين فضيلة لا تكون للأخر، ثم كان الغرض من أحدهما هو الغرض من صاحبه أن يكون مرجع تلك - زعموا - يُوَدِّي إلى التناقض، وأن يكون معناه متغيراً وغير متغير معاً. ولمّا أقرّوا هذا في نفوسهم، حملوا كلام العلماء في كل ما نسبوا فيه الفضيلة إلى اللفظ على ظاهره وأبوا أن ينظروا في الأوصاف التي أتبعوها نسبتهم الفضيلة إلى اللفظ مثل قولهم " لفظ متمكّن غير قلق ولا ناب به موضعه"¹.

يستنبط من هذه النصوص الأخيرة التي أعطاهها عبد القاهر الجرجاني نمط التنظير في ميله إلى محاولة تحقيق قاعده يسير عليها في استنتاجاته التي ينصح بها قراءه بقوله " اعلم " ويحرص على هذا التعليم بالأمر قصد الاقتداء و الأخذ، فإنّه يؤكّد إثارة فكرة النظم التي تحتويها ثنائية اللفظ والمعنى ويجعل من النظم نتيجته المحوريّة التي يدور عليها بحثه في مضمون كتابه دلائل الإعجاز.

¹ _ المصدر السابق: ص368،367.

ملاحق

أولاً: لمحة موجزة عن كتاب أسرار البلاغة:
لقد استقل عبد القاهر الجرجاني في شهرته بكتابه أسرار البلاغة الذي يعدّ جهداً خالصاً من تأليفه الشّخصي فإذا ذكر كتاب أسرار البلاغة ذُكر معه كتاب دلائل الإعجاز غير أنّ أسرار البلاغة يعدّ

جامعا لقضايا بلاغية محضة وقلما يعالج فيها عبد القاهر مسألة نحوية إعرابية دون ربطها بأساس بلاغي، ولعلّ الفضل الأوّل في شهرة هذا الكتاب وإحيائه يعود إلى الإمام محمّد عبده المتوفى 1905 رحمة الله، حين قام لنشر الكتاب وطبعه ثمّ تولّى تدريسه في الجامع الأزهر، وكان لكتاب أسرار البلاغة قصّة مع الأستاذ رشيد رضا يرويها بلسانه وقلمه فيقول: "ولمّا هاجرت إلى مصر في سنة 1315هـ لإنشاء المنار الإسلامي ألفت إمام النهضة الإسلامية الحديثة الأستاذ الحكيم الشيخ محمّد عبده رئيس جمعيّة العلوم العربيّة ومفتي الديار المصريّة اليوم مشغلا في بعض وقته بتصحيح كتاب دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني وقلد استحضر نسخة من المدينة المنورة ومن بغداد ليقابلها على النسخة التي عنده فسألته عن كتاب أسرار البلاغة للإمام المذكور فقال: إنّه لا يوجد في هذه الديار. فأخبرته بأن في أحد بيوت العلم في طرابلس الشام نسخة منه فحثني على استحضارها وطبعها فطلبتها من صديقي الحميم العالم الأديب عبد القادر أفندي المغربي وهي ممّا تركه والده فلبّي طلب وعلمنا أنّ نسخة أخرى من الكتاب في إحدى دور الكتب السلطانيّة في دار السلطنة السنية فندبها بعض طلاب العلم الأذكياء لمقابلة نسختنا بتلك النسخة فخرج لنا من مجموعها نسخة صحيحة شرعنا في طبعاها" ثمّ قال: "لهذا بادر الإمام مفتي الديار المصريّة في هذ الأعوام إلى تدريس الكتاب في الأزهر الشريف عقب شروعا فيطبعه فأقبل على حضور درسه مع أذكيا الطلاب كثيرون من العلماء والمدرسين والأساتذة المدارس الأميرية وقد قال أحد فضلاء

هؤلاء الأساتذة بعد حضور الدرس الأول "إننا قد اكتشفنا في هذه الليلة معنى البيان"¹.
فالشاهد في هذه القصة أنّ الإمام محمّد عبده هو صاحب تحقيق كتاب أسرار البلاغة وهو الذي طلب استجلابه من خارج مصر، وصاحب شروحه والوقوف على حقائق الألفاظ وكتابتها. وقد كان السيد رشيد رضا سنداً قوياً في التحقيق والاهتمام بالتدريس والسعي في حداثة المنهج الأزهري في تعليم البلاغة العربية بالمنهج الذي سار عليه عبد القاهر في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز.
يعتبر هذا الكتاب أساس علم البلاغة، إذ وضع فيه عبد القاهر الأصناف المعروفة للتراكيب اللغوية البلاغية (كالاستعارة، التشبيه، المجاز وغيرها).

وكتاب أسرار البلاغة هو صنو الدلائل الذي كان من اهتمام الإمام محمّد عبده واعتنائه به. وقد طبع أول مرّة في مصر سنة 1320هـ و قدّم له ناشره السيد رشيد رضا مقدّمة شرح فيها قصّة عن اهتمام الإمام بالكتاب، وعن عمله في الطبع وقال متحدّثاً عن نسخ الكتاب: "ولمّا هاجرت إلى مصر في سنة 1315هـ لإنشاء المنار الإسلامي ألفت إمام النهضة الإسلامية الحديثة الأستاذ الحكيم الشيخ محمّد عبده رئيس جمعيّة العلوم العربيّة ومفتي الديار المصريّة اليوم مشغولاً في بعض وقته بتصحيح كتاب دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني وقد استحضرت نسخة من المدينة المنورة ومن بغداد ليقابلها على النسخة التي عنده فسألته عن كتاب أسرار البلاغة للإمام المذكور فقال: إنّه لا يوجد في هذه الديار. فأخبرته بأن في أحد بيوت العلم في طرابلس الشام نسخة منه فحثني على

¹ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني تحقيق السيد محمّد رشيد رضا، ط 6 القاهرة، 1379هـ، 1959م، ص(ط) وما بعدها.

استحضرها وطبعها فطلبتها من صديقي الحميم العالم الأديب عبد القادر أفندي المغربي وهي ممّا تركه والده فلبي طلب وعلّمتنا أنّ نسخة أخرى من الكتاب في إحدى دور الكتب السلطانية في دار السلطنة السنّية فنديها بعض طلاب العلم الأذكياء لمقابلة نسختنا بتلك النسخة فخرج لنا من مجموعها نسخة صحيحة شرعنا في طبعتها "ثمّ قال": لهذا بادر الإمام مفتي الديار المصرية في هـ الأعوام إلى تدريس الكتاب في الأزهر الشريف عقب شروعنا فيطبعه فأقبل على حضور درسه مع أذكياء الطّلاب كثيرون من العلماء والمدرسين والأساتذة المدارس الأميرية وقد قال أحد فضلاء هؤلاء الأساتذة بعد حضور الدرس الأوّل "إننا قد اكتشفنا في هذه اللّيلة معنى البيان"¹.

و بذلك عمل الإمام محمّد عبده والسيد محمد رشيد رضا على الاهتمام ببلاغة عبد القاهر بطبع كتابيه وتدريسهما في الأزهر الشريف.

وطبع الكتاب الأستاذ أحمد مصطفى المراغي في مصر سنة 1367هـ، 1948م، وقدم له بتعريف لعبد القاهر، وطبعه أيضا هـ. ريترفي مطبعة وزارة المعارف باسطنبول سنة 1954م، وكتب له مقدّمة بالإنجليزية. إذ يؤكّد عبد القاهر أنّ المعاني هي المرادة من الكلام، وأنّ الفصاحة و البلاغة و البيان و البراعة ليست إلاّ أوصافا للكلام حين يكون حسن الدّلالة تامّها، و عندما تكون هذه الدّلالة متبرّجة فيصوره أبهى و أزين و أنقى و أعجب. و قد أوضح بجلاء أنّ كلّما أتى به في (أسرار البلاغة) ليس القصد منه سوى بيان أمر المعاني: "و اعلم أنّ غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته، و الأساس الذي وضعته، أنّ

¹ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني تحقيق السيد محمّد رشيد رضا، ط 6 القاهرة، 1379هـ، 1959م، ص(ط) وما بعدها.

أتوصّل إلى بيان أمر المعاني: كيف تختلف و تتفق، و من أين تجتمع و تفترق، و أفصل أجناسها و أنواعها.

و أتتبع خاصّها و مُشاعها، و أبين أحوالها في كرم منصبها من العقل، و تمكّنها في نصابه، و قرب رحمها منه، أو بعدها، حين تُنسبُ - عنه¹

و يرى عبد القاهر أنّ المعاني ليست على حال واحدة من جهة حاجتها إلى التّصوير؛ فبعضها شريف في ذاته، و حاجته إلى التّصوير ضئيلة: في حين أنّ بعضها الآخر غاية في حاجته إلى التّصوير، فإذا ما نزلت عنه صورته بدا في نهاية القبح.

يقول الشيخ الإمام "و إنّ من الكلام (يريد المعاني) ما هو كما هو شريف في جوهره، كالذهب الإبريز التي تختلف عليه الصّور و تتعاقب عليه الصّناعات.

و جُلّ المعوّل فيشرفه على ذاته، و إنّ كان التّصوير قد يزيد في قيمته و يرفع من قدره و منهما هو كالمصنوعات العجيبة من مواد غير شريفة، فلها مادامت الصّورة محفوظة عليها لم تُنتقص و أثر الصّنع باقيا معها لم يبطل قيمة تغلو، و منزلة تغلو، و للرّغبات إليها الحادثات أربابها، و فجنّتهم فيها بما يسألها حسنها

المكتسب بالصّنع، و جمالها المستفاد من طريق العرض، فلم يبق إلاّ المادّة العاريّة من التّصوير و الطّينة الخالية من التّشكيل - سقطت قيمتها، و انحطت رتبها، من التّصوير و الطّينة الخالية من التّشكيل - سقطت قيمتها، و انحطت رتبها، و عادت الرّغبات التي كانت فيها زهدا " و يلخّ عبد القاهر كثيرا على حاجة المعاني إلى التّصوير، الذي يرى فيه مصدر الجلّ محاسن الكلام، و من هذه الوجهة رأى الإمام أنّه لا بدّ من استيفاء النّظر و استقصائه في أنواع

¹ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني: قرأه و علق عليه أبو فهر محمود محمد شاکر، ط1 دار المدني القاهرة و جدة 1412هـ/1991م

التصوير الرئيسية من تشبيه واستعارة و تمثيل. و يقول
عبد القاهر في شأن افتقار المعاني إلى التصوير: "و
هذا غرض لا ينال على وجهه، و طلبة لا تُدرك كما ينبغي
إلا بعد مقدمات تقدّم، و أصول تمهّد، و أشياء هي كالأدوات فيه حقّها
أن تجمع، و ضروب من القول هـ
كالمسافات دونه، يجب أن يُسار فيها و تقطع، و أوّل ذلك و أولاه، و
أحقّه بأن يستوفيه النظر و يتقصاه القول على (التشبيه) و (التمثيل) و
(الاستعارة): فإنّ هذه أصول كبيرة، كأنّ جُلّ محاسن الكلام إن لم
ينقل كلّها- متفرّعة عنها، و راجعة إليها، و كأنّها أقطاب تدور عليها
المعاني في متصرفاتها، و أقطار تحيط بها من جهاتها.¹

إنّ علوم البلاغة هي مستودع سرّ العلوم العربيّة، و مظهر جلالها،
فلا فضيلة و لا مزية للكلام إلاّ بما تحويه من لطائفها، كما أنّه لا
مجال لفهم براعة الأسلوب، أو معرفة جمال البيان أو الاطلاع على
انسجام التّأليف، أو الوقوف على حسن الصّورة أو التّنبّث من بعد
الخيال، أو التّأكد من صواب المعنى، أو إدراك سلامة النّظم أو
تذوّق جزالة اللفظ، أو التلذذ بعذوبة التّركيب، أو الإنشاء بسحر
إيحاء العبارة إلاّ بدراسة قواعدها، و الإلمام بمغازيها.

ثانيا: لمحة موجزة عن كتاب دلائل الإعجاز:

لعلّ الظاهر عند جمهور العلماء أنّ عبد القاهر الجرجاني* رجل
بلاغة، و من ذلك اعتبروه صاحب بحث بلاغي محض، حين درسوا

¹ دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: تحقيق السيّد محمّد رشيد رضا، مطبعة
محمد علي صبيح وأولاده، الأزهر، القاهرة، ط6، 1380هـ، 1960م:ص26، 27.
*في مطلع القرن الخامس الهجري شهدت مدينة جرجان ميلاد أبي بكر عبد القاهر،
بن عبد الرّحمن بن محمد الجرجاني، ارتبط لقبه بنسبة نسب مدينته، فهي المدينة
التاريخية ذات الحسن والجمال، المعروفة بمجالس العلم ومنتديات الفكر الرّاخرة
بالنشاط العلمي، المدينة الأعجميّة المشهورة في شمال إيران الواقعة بين طبرستان و

طويلة تحدّث فيها عن تأريخ البلاغة من الجاحظ إلى ابن يعقوب المغربي صاحب " مواهب الفتاح " ثمّ طبعة أخيرا الدكتور محمّد عبد المنعم خفاجي 1389هـ، 1969م. حيث عالج عبد القاهر فكرة النّظم على نحو مفصّل في كتابه "دلائل الإعجاز" و يرى الأستاذ شاکر أنّ عبد القاهر قصد في "دلائل الإعجاز" أن يردّ قولين للقاضي عبد الجبّار، رأس المعتزلة في عصره و قد ردّد الجرجاني القوليين في أكثر من موضع في دلائل الإعجاز، و هما: " إنّ المعاني لا تتزايد، و إنّما تتزايد الألفاظ.¹ و: " إنّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات، و لكن تظهر بالضمّ على طريقة مخصوصة.² ويأنس المتأمل بسداد هذا الرأي حين يُجِيلُ عين البصيرة في قول عبد القاهر في خاتمة كتاب (دلائل الإعجاز): " قد بلغنا في مداواة النّاس من دائهم، و علاج الفساد الذي عرض في آرائهم كلّ مبلغ، و انتهينا إلى كلّ غاية، و أخذنا بهم عن المجاهل التي كانوا يتعسّفون فيها إلى السنن اللاحق، و نقلناهم عن الآجن المطروق إلى النّمير الذي يشفي غليل الشّرب، و لم ندع لباطلهم عرقا ينبض إلاّ كويناه، و لا للخلاف لسانا ينطق إلاّ حسرناه، ولم نترك غطاء كان على بصر ذي عقل إلاّ حسرناه."³

1- المصدر السابق: ص 63.

2- المصدر نفسه: ص 394، 466، 467.

3 - المصدر نفسه: ص 477.

خاتمة:

تتسع نتائج البحث في الحصيلة العامّة بعد دراسة الموضوع، حيث يمكن حصرها في نقاط تتوالى على كثرتها فيما يأتي من تحديدات:

أولاً: يتلازم النّحو والبلاغة في منهج عبد القاهر الجرجاني دون فصل بينهما، و يمثل كتابه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز هذا التّلازم ولئن كان كتاب أسرار البلاغة أوثق بالبلاغة فإنّ كتاب دلائل الإعجاز قد جمع بينهما في مضامينه بين الدّرس النّحوي والبلاغي، وقد جمع بينهما في تماسك نظمي.

ثانياً: اتّبع عبد القاهر الجرجاني منهج الموافقة على أنّ النّحو في مفهومه العام يسير على اتّباع كلام العرب، وسننهم كما أجمع عليه علماء العربيّة من النّحاة واللّغويين والبلاغيين، حتّى استقام على قواعد ثابتة بعد أن مرّ بمراحل في بؤاده الأولى ورست سفينته واستوت على مذهبين عظيمين في النّحو هما المذهب البصري و المذهب الكوفي.

ثالثاً: وقد سارت البلاغة العربيّة على خطّ مستقيم مواز لظهور النّحو العربيّ في مسيرتها مع اللّسان العربيّ في بيانه ووصلت بجهود البلاغيين والنّقاد إلى أساليب البيان وتراكيب النّظم.

رابعاً: وجد عبد القاهر الجرجاني حصيلة جهود السّابقين من النّحاة و البلاغيين

وجد كلّ واحد منهما يبحث في تخصّصه إمّا النّحو وإمّا البلاغة على انفراد فاجتهد أن يؤسّس توفيقاً منهجياً يقضي على هذا التّمايز في فهم النّصوص العربيّة، وجمع بين النّحو والبلاغة في منهج سمّاه توحي معاني النّحو وأثبتته في قاعدة مستقلّة هي نظريّة النّظم.

مفهوم النّظم في عمل عبد القاهر الجرجاني يعدّ إبداعاً لم يسبق إليه من جهتين، إحداهما تعلّقت بالبلاغة في القضاء على ثنائية اللفظ والمعنى وتوحيد مقصدها فلم يفصل أبداً بين اللفظ والمعنى في أداء النصّ الشعري أو النثري وبذلك قطع الطّريق أمام النزاع الذي كان قائماً بين مناصري اللفظ ومناصري المعنى، وتعلّقت الجهة الأخرى بالنحو فأعطاه مزيّته في مرتبته في علم النحو الذي هو الإعراب وجمع بين هذا الإعراب وأسبابه في العوامل وهي معاني النحو، ودفع به إلى أسباب بيانية في الأسلوب والنّظم وهو توحي معاني النحو.

خامساً: استطاع عبد القاهر من خلال دراسة الكتابين ومناولته للسّابقين أن يصل إلى تأسيس نظريّة النّظم التي جعلها تنطلق أوّلاً من علم النحو، ووصل بها إلى علم توحي معاني النحو، وربطها بالقضايا البلاغيّة والفكريّة والدّوقيّة، وتعدّ هذه الرّؤية جديدة لديه بالنسبة لسابقيه.

سادساً: يتحدّد التّوجيه النّحوي والتّوجيه البلاغي في اجتهادات عبد القاهر الجرجاني في كون النحو أصلاً من أصول تعليم العربيّة ولسانها، وهو نفسه يستند في أصله إلى إعطاء دلالة المعاني أثناء تركيب الكلام وتأليفه في صيغه النّحويّة المختلفة حيث إنّ مقاصد الكلام لا تتمّ إلّا بإظهار المعاني، وإنّ كفيّة التّعبير عن هذه المعاني لا تتحقّق إلّا بالبلاغة وذلك بتحقيق استعمال قواعد النحو وأساليبه كما هو الحال في الابتداء والإخبار، والفاعليّة والمفعوليّة، والسببيّة في التّقديم والتّأخير هذه العمليّة كلّها يقرّرها فيما يسمّيه توحي معاني النحو عن طريق النّظم.

سابعاً: إنّ عبد القاهر الجرجاني يؤكّد في تفسيره لعلم النحو أنّ فكرة ترتيب المعاني هي الخاضعة في الأساس إلى ترتيبها في الدّهن أو في النّفس، قبل أن تخرج ألفاظاً، وهذه العمليّة في ذاتها، يرمي بها إلى

أبعاد عميقة يتبيّن منها أنّ اللّغة عنده هي نظام قائم على البناء، ويستنتج من ذلك أنّ فكرة النّظم مشتقّة في أصولها من لفظة النّظام ودلالاته.

وبالجملّة، فإنّ الدّراسة في كتاب أسرار البلاغة وكتاب دلائل الإعجاز يعدّان من دلائل التّفوّق لدى عبد القاهر الجرجاني في البحث العلمي لدى العرب ويحقّق قصب السّبِق قبل أن تظهر الدّراسات الغربيّة الحديثة والمعاصرة كالبنويّة والأسلوبيّة و السّيميائيّة على قدر ما حاول به بعض الدّارسين العرب من محاولة المقاربة والمقارنة بينهم وعبد القاهر الجرجاني رحمه الله: ممّا سيكون له مجال آخر في بحث لاحق بإذنه تعالى.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص.

أولاً: المصادر:

1 . أسرار البلاغة:

• عبد القاهر الجرجاني

تحقيق السيد محمد رشيد رضا، ط

6، القاهرة، مصر، 1379هـ، 1959م.

• قرأه و علق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، ط1 دار المدني

القاهرة و جدة 1412هـ/1991م.

2 . دلائل الإعجاز:

عبد القاهر الجرجاني

• تصحيح السيّد محمّد رشيد رضا، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، الأزهر القاهرة. ط6، 1380هـ، 1960م.

• قرأه و علق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، ط1 دار المدني القاهرة و جدة 1412هـ/1991م
1. العوامل المئة

عبد القاهر الجرجاني
تحقيق أحمد بن علي استانبولي: مراح وعزى، تركية، استانبول، مكتبة ايشيق 1399هـ، 1979م -

ثانيا: المراجع:

2. الإتقان في علوم القرآن

السيوطي جلال الدين

تعليق حمود سليمان ياقوت: دار المعرفة الجامعية، د.ط. 1426هـ، 2006م

3. الإحكام في أصول الأحكام

الأمدي سيف الدين

مؤسسة الحلبي، القاهرة، د.ط، د.ت

4. الأشباه والنظائر في النحو

السيوطي جلال الدين

راجعته وقدم له: فايز ترحيني، دار الكتاب العربي، لبنان، ط1، 1404هـ، 1984م

5. الأصول دراسة ابيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب

تمّام حسان

الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1982م

6. الأضداد

ابن الأنباري
تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة 1407هـ/1987م

7. الأعلام

الزّركلي خيرالدين
دار الملايين، بيروت، لبنان، ط11، ماي1995م.

8. الاقتراح في علم أصول النّحو

السيوطي جلال الدين

تحقيق : محمود ياقوت، دار المعرفة الجامعية، 2006م

9. الأمثال في القرآن الكريم

الشيخ جعفر السبحاني

الناشر: مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، ط1420، 1هـ.

10. الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين

ابن الأنباري

تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

بيروت مكتبة صيدا العصريّة. د.ط. 1429هـ، 1998م.

11. الإيضاح في علوم النّحو

الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن

تحقيق: مازن المبارك: دار النَّفائس، بيروت، ط1984، 4م .

12. الإيضاح العضدي

أبو علي الفارسي

تحقيق: حسن شاذلي فرهود ط1، 1389هـ، 1969م .

13. أثر القرآن في تطوّر النثر العربي إلى آخر القرن 4 هـ

محمّد زغلول سلام

قدّم له: محمّد خلف الله أحمد ط1، مكتبة الشّباب، القاهرة، 1982م.

14. أثر اللسانيات في النهوض بمستوى معلمي اللغة العربيّة

الحاج صالح عبد الرحمن

دراسات في علوم اللسان، موقع للنشر الجزائر، 2007م.

15. أدب الكاتب

ابن قتيبة الدينوري

تحقيق: محمّد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السّعادة مصر، ط4، دت.

16. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول

الشوكاني محمد بن علي بن محمد

دار السّلام، 1418هـ، 1998م، د.ط.

17. أسرار العربيّة

ابن الأنباري

دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1. 1420هـ، 1999م.

18. أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز

مصطفى شاهر خلوف

دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2009 م

19. إعجاز القرآن

أبو بكر الباقلاني

تعليق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت ط1، 1991م.

20. أمالي ابن الشّجري

العلوي هبة الله علي بن محمّد بن حمزة الحسني

تحقيق: محمود محمّد الطّناحي، مكتبة الخانجي، د.ط، د.ت.

21. إنباه الرّواة

القفطي جمال الدين

تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، مصر، مطبعة دار الكتب
المصريّة، د.ط، 1973 م

22. البحث النّحوي عند الأصوليين

مصطفى جمال الدّين

دار الهجرة ط3 - 1405 هـ

23. البلاغة (علم البديع)

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

دار العصماء، دمشق ط6.1428هـ، 2007م

24. البلاغة الاصطلاحية

عبد العزيز قلقيلة عبده

دار الفكر العربي، القاهرة، ط2.1412هـ، 1992م

25. البلاغة الواضحة

علي الجارم و مصطفى أمين

دار المعارف. القاهرة، مصر، د.ط

26. البلاغة والأسلوب

محمد عبد المطلب

الناشر: الشركة المصرية العالمية للنشر

ط1.1994م

27. البديع

ابن المعتز عبدالله

تحقيق كراتشوفسكي، لندن: مطبوعات جب التذكارية، 1935م

28. البرهان في علوم القرآن

الزركشي بدر الدين
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر
والتوزيع، ط3، 1980م
29. البيان والتبيين

الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر
تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط5،
1985م.

30. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة
السيوطي جلال الدين
تحقيق أبو الفضل إبراهيم القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، دار
الفكر، القاهرة، 1979 م.

31. بوارد الحركة اللسانية الأولى عند العرب

عبد الجليل مرتاض
مؤسسة الأشراف، بيروت، لبنان، 1988م
32. بيان المجاز القرآني

محمد بن عبد الكريم الخطابي
تحقيق د. محمد خلف أحمد، و.د. محمد زغول سلام.
**33. التراكيب النحوية وسياقتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر
الجرجاني**

صالح بلعيد
ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن
عكنون، الجزائر، د.ط، 1994م.

34. التعريفات
الجرجاني أبو الحسن علي بن محمد بن علي

تحقيق محمد علي أبو العباس
دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، ط1، القاهرة، 2013م.
35. التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية

أحمد سعد محمد

دار الآفاق العربية، مصر، 2008م.
36. تاج العروس بين جوار القاموس
الزبيدي أبو الفيض محمد مرتضى
دار الكتب العلمية، ط1، د.ب.
37. تاج اللغة وصحاح العربية

الجوهري اسماعيل بن حماد

تحقيق أحمد عبد الغفور عطار: 1982م.

38. تأويل مشكل القرآن

ابن قتيبة عبد الله مسلم بن الوليد الدينوري

تحقيق أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1
، 1373هـ، 1945م

39. تدريس النحو العربي على ضوء الاتجاهات الحديثة

ظبية سعيد السليطي

تقديم: د.حسن شحاتة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2002م.

40. تدريس فنون اللغة العربية

علي أحمد مدكور

دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1997م.

41. تطوّر النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة

طلال علامة

دار الفكر اللبناني، بيروت. ط1، 1993م

42. تهذيب تاريخ دمشق الكبير

ابن عساكر فخر الدين

هذبّه ورتّبّه، عبد القادر بدران، بيروت، د، ط، د.ت.

43. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن

تحقيق محمّد خلف الله أحمد ومحمّد زغلول سلام

دار المعارف، ط3، مصر، د.ت

44. الحيوان

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

المحقق: عبد السلام هارون

الناشر: مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1384هـ - 1965م

45. الجامع الصّغير في أحاديث البشير

السّيوطي جلال الدّين

دار الفكر، د.ط، د.ت.

46. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع

السّيّد أحمد الهاشمي

دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1971م.

47. حسن البلاغة فنونها وأفنانها

فضل حسن عباس

دار الفرقان للنشر والتّوزيع، ط1، 2005م.

48. الخصائص

ابن جنّي أبو الفتح عثمان

تحقيق محمّد عليّ النّجار، دار الكتب العلميّة، بيروت، د.ت

49. دراسات في علم اللّغة

كمال بشر

دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر. ط9، 1986م

50. خزانة الأدب وغاية الأرب

الحموي، أبو بكر علي بن حجة
القاهرة: مطبعة بولاق. 1273هـ، ط1.

51. دروس في البلاغة العربيّة

سعد سليمان حمّودة

دار المعرفة الجامعيّة، 2004م.

52. الرّماني النّحوي في ضوء شرح سيبويه

مازن المبارك

دار الفكر، دمشق، سورية. ط1، 1997م.

53. سرّ صناعة الإعراب

ابن جنّي أبو الفتح عثمان

تحقيق السّقا وآخرين، القاهرة، د.ط، 1954م.

54. شذا العرف في فنّ الصّرف

أحمد الحملاوي، ط16، 1384هـ، 1965م

55. شرح الأجروميّة

أحمد زيني دحلان

شركة غراس للنّشر و التّوزيع، الكويت. ط1، 1426هـ، 2007م

**56. شرح الملا حنفي على الرّسالة العضديّة في آداب البحث
والمناظرة**

التّبريزي شمس الدين الحنفي

تحقيق السيّد يوسف أحمد، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1971م.

57. شرح قطر النّدى وبل الصّدى

ابن هشام الأنصاري

تحقيق وشرح: محمّد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، مصر.
58. شرح كافية الشافية

ابن مالك

تحقيق، عبد المنعم هريدي، دار المأمون للتراث، د.ط، 1982م.
59. شرح مقامات الحريري

الشريشي أحمد بن عبد المؤمن

بيروت، دار الكتب العلميّة، ط1، 1979م.

60. الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب

ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا القزويني الرازي

تحقيق، أحمد حسن بج، دار الكتب العلميّة، ط1، 1418هـ.

61. الصناعتين

أبو هلال العسكري

تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء

العلوم العربية. الناشر: عيسى البابي الحلبي، ط1، 1371هـ، 1952م

62. ضحى الإسلام

أحمد أمين

دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2005م

63. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز

العلوي يحيى بن حمزة بن علي اليمني

تحقيق: عبد الحميد الهنداوي المكتبة العصرية - بيروت، لبنان.

64. طبقات فحول الشعراء

ابن سلام الجمحي

تحقيق وشرح: محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني، د.ط، د.ت.

65. طبقات النحويين واللغويين

الزبيدي محمد بن الحسن أبو بكر

المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم

دار المعارف، ط2، 1984م

66. ظاهرة الإعراب في القرآن الكريم

أحمد سليمان ياقوت

دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ط، 1994م.

67. العربية بين الطبع والتطبيع

عبد الجليل مرتاض

ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون . الجزائر، د.ط 1993م

68. العلم والعلماء

أبو بكر جابر الجزائري

دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، سنة 1985 م

69. العمدة في محاسن الشعر وآدابه

ابن رشيق

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: دار

الجيل، ط1401، 5هـ- 1981م.

70. العين

الخليل بن أحمد الفراهيدي

تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، طبعة جديدة، مكتبة

الهلال، بيروت لبنان 1415هـ، 1992م.

71. عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده

أحمد مطلوب

المؤسسة المصرية العامة، ط2، د.ت.

72. عقود الجمان في المعاني والبيان

السيوطي جلال الدين

تحقيق: د. إبراهيم الحمداني، دار الكتب العلمية، ط1، 2011م

73. علم البديع

المراغي محمود أحمد حسين

دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2_1999م

74. علم الدلالة و المعجم العربي

عبد القادر بورشيه

دار الفكر للنشر والتوزيع، 1989م

75. غريب الحديث

جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي

دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

ط1، 1405هـ - 1985م

76. الفائق في غريب الحديث

الزمخشري محمود بن عمر جار الله أبو القاسم

المحقق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم

دار المعرفة للطباعة والنشر، الناشر: عيسى البابي الحلبي، ط2،

1971م

77. الفسيح في ميلاد اللسانيات العربية

عبد الجليل مرتاض

دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، ط2، 2009م

78. الفهرست

ابن النديم

تحقيق: إبراهيم رمضان: دار المعرفة بيروت لبنان ط2
،1417هـ، 1997م.

79. في أصول النحو

سعيد الأفغاني

دار الفكر، دط، 1964م

80. في البلاغة العربيّة

عبد العزيز عتيق

دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، د.ط،
د.ت.

81. في الميزان الجديد

محمد مندور

نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع:يناير، 2004م.

82. في تاريخ البلاغة العربيّة

عبد العزيز عتيق

دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، د.ت.

83. في رحاب اللّغة العربيّة

عبد الجليل مرتاض

ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2007م

84. فيض القدير شرح الجامع الصغير

المناوي محمد عبد الرؤوف

ط1، 1356هـ، 1938م.

85. القاموس المحيط

الفيروز آبادي مجد الدين

مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط7، 2003م، 1337هـ

86. القرآن وأثره في الدراسات النحويّة

عبد العال سالم مكرم

دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت -

87. القياس في النحو العربيّ نشأته وتطوّره

الزبيدي سعيد جاسم

دار الشروق، د.ط، 1997م

88. قضايا النقد الأدبي

محمّد زكي العشماوي

طبعة دار الكتاب العربي، د.ط

89. الكامل في اللغة والأدب

المبرد أبو العباس محمد بن يزيد

المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة

الطبعة: ط3 1417 هـ - 1997 م

90. الكتاب

سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر

تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

91. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في

وجوه التأويل

الزمخشري جار الله

تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض

مكتبة العبيكان، د.ت، د.ط

92. الكليات

الكفومي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني

تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري

دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419 هـ - 1998 م

93. كشف اصطلاحات الفنون

محمد علي التهانوي

المحقق: رفيق العجم

الناشر: مكتبة لبنان: 1996م

94. لسان العرب

ابن منظور الإفريقي

دار صادر، بيروت، لبنان، ط.3، 1994م.

95. المثل السائر

ابن الأثير

تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة

مصر، القاهرة، ط.2، د.ت.

96. المدراس النحوية

شوقي ضيف

دار المعارف، ط.2، 1982م ، مصر

97. المدارس النحوية أسطورة وواقع

إبراهيم السامرائي

دار الفكر، ط.1 - 1987م

98. المدرسة النحوية في مصر والشام

سالم مكرم

مؤسسة الرسالة، ط.2. 1992م. ص199

99. المزهر في علوم اللغة

السيوطي جلال الدين

شرح وضبط محمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم. علي

محمد البجاوي بيروت، د.ط، 1406 هـ، 1986م.

100.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير

الفيومي أحمد بن محمد بن علي

تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف – القاهرة، المجلد 1، ط

2

101.المصطلح النحوي

عوض حمد القوزي

الجزائر، د.ط 1983م

102.المعجم المفصل في النحو العربي

بأبي عزيزة قوال

دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط.1.1992م.

103.المعجم المفصل في علوم البلاغة

إنعام عكاوي

بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط 2 ، 1996م.

104.المعرفة اللغويّة طبيعتها وأصولها واستخدامها

تشومسكي نوام

ترجمة وتعليق وتقديم،الدكتور محمّد فتيح،دار الفكر العربيّ،ط1

،1993م.

105.المفردات في غريب القرآن

الراغب الأصفهاني

المحقق: مركز الدراسات والبحوث

مكتبة نزار مصطفى الباز

106.المفيد في المدارس النحويّة

إبراهيم عبّود السّامرائي

دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن. ط، 1427.1 هـ،
2007م

107.المقتضب

المبرّد أبي العباس

تحقيق محمّد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ب.

108.المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي (الحريري و
الحميدي خصوصاً)

فرح ناز علي صفدر رفعت جو

دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011م.

109.الموجز في شرح دلائل الإعجاز

جعفر دك الباب

مطبعة لأهالي:دمشق 1980م.

110. مسند شهاب

القضاعي محمد بن سلامة بن جعفر

تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي. ط2. بيروت: مؤسسة

الرسالة. 1986م.

111.من تاريخ النّحو

سعيد الأفغاني

دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ب، د.ط.

112.مقدّمة ابن خلدون

ابن خلدون

اعتنى به هيثم جمعة هلال، مؤسسة المعارف للطباعة

والنّشر، بيروت، لبنان، ط، 1428.1 هـ، 2007م.

113.مفتاح العلوم وتبيان العلوم

السكاكي أبو يعقوب

دار الكتب العلمية، بيروت: ط 1. 1983م.

114.ميزان الأصول في نتائج العقول

السمرقندي علاء الدين شمس النظر أبو بكر محمد بن أحمد

حققه الدكتور محمد زكي عبد البر، مطابع الدوحة الحديثة،

قطر، ط 1، 1404 هـ 1984 م.

115.من بلاغة القرآن

دمحم شعبان عموان وآخرون

ط 4، 2009م.

116.مقاييس اللّغة

ابن فارس أحمد

تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م.

117.مختار الصّاح

الرّازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر

الناشر: مكتبة لبنان: د.ت، 1986 م

118.مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللّغة والنّحو

مهدي المخزومي

دار الرّائد العربيّ، بيروت، ط 3، 1986م.

119.مغني اللّبيب عن كتب الأعراب

ابن هشام الأنصاري جمال الدّين

تحقيق: مازن المبارك-حمد علي حمد الله

1368هـ، 1964م، ط 1.

120.مناهج البحث في اللّغة

تمام حسان
مكتبة الأنجلو المصرية، د، ط، 1955م
121. مسائل خلافيّة في النحو

العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله البغداديّ محبّ
الدين
تحقيق ، محمّد خير الحلواني، دار الشّرق العربيّ، بيروت،
ط1412.1هـ، 1992م

122. من تاريخ النّحو
سعيد الأفغاني

دار الفكر، د.ط، دت .

123. معجم مقاييس اللّغة

ابن فارس أحمد بن زكرياء القزويني الرازي
المحقق: عبد السلام محمد هارون
الناشر: دار الفكر: 1399هـ - 1979م.

124. معجم الأدباء

ياقوت الحموي

دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

125. النّحو التّعليمي في التّراث العربي

محمّد إبراهيم عبادة

دار المعارف، الإسكندرية، د.ط، د.ت.

126. النّحو العربي قضاياه ومراحل تطّوره

أحمد جميل شامي

دار الحضارة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان. د.ط، 1418
م، 1997هـ

127. النحو الوافي

عبّاس حسن

دار المعارف بمصر، ط5، د.ت.

128. النّشر في القراءات العشر

ابن الجزري شمس الدين أبو الخير

تحقيق : علي محمّد الضباع

دار الكتب العلمية ، بيروت. د.ط، د.ت، ج2

129. النّظرية البلاغية عند الإمام الزّمخشري في الكشاف عن

حقائق التّنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التّأويل

عطية نايف الغول

دار الجنان للنّشر والتّوزيع ، د.ط، 2015م.

130. النّكت في إعجاز القرآن

الرماني علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن المعتزلي

المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام الناشر

دار المعارف بمصر ط3، 1976م.

131. النّهاية في غريب الحديث و الأثر

ابن الأثير الجزري

تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي

المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م

132. نظريات في اللّغة

أنيس فريحة

الألسنية الثالثة: ط2، 1981 م

133. نقد الشعر

قدامة بن جعفر

تحقيق كمال مصطفى، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1978م.
134. نكت الانتصار لنقل القرآن

الباقلاني أبو بكر
تحقيق محمد زغلول سلام
منشأة لمعارف: دراسات قرآنية: ط1. 2008م.
135. هداية السالك إلى ألفية ابن مالك

صبيح التميمي
دار البعث، قسنطينة، 1990م.
136. وفيات الأعيان وأنباه أبناء الزمان
ابن خلكان
تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت (د.ط)، (د.ت)-

فهرس الموضوعات:

إهداء

شكر وتقدير

مقدمة:.....أ

الفصل الأول:

الدّرس النّحوي قبل عبد القاهر الجرجاني: 80_1

النّحو العربي بين الظهور و

النشأة:.....4

الجهد العلمي في وضع النّحو

العربي:.....8

مسميات النّحو:.....14

اللّحن:.....14

العربيّة:.....15

الإعراب:.....17

النّحو عند الأصوليين:.....18

التأثير القرآني في النّحو

العربي:.....19

البصرة	والكوفة	مذهبا	النحو
العربي:.....20			
المذهب البصري:.....21			
مرتكزات	الدراسة	لدى	علماء
البصرة			
:.....22			
استحضار القرآن الكريم:.....22			
اعتماد الشاهد من الشعر الجاهلي والإسلامي:.....23			
مرتكز القياس:.....24			
أعلام النحو في المذهب البصري :26			
المذهب الكوفي:.....33			
مرتكزات الدراسة لدى علماء الكوفة :34			
الاستشهاد بلغات الأعراب:.....34			
اعتماد الشاهد من الشعر العربي:35			
اعتماد الشاهد من القراءات:.....36			
أعلام المذهب الكوفي:.....37			
القاعدة النحوية حصانة العربية:.....40			
القاعدة بين اللغة والاصطلاح:.....40			
القاعدة في اللغة:.....40			
القاعدة في اصطلاح العلماء:.....41			
بين الإعراب و القاعدة النحوية:45			
المرفوعات:.....46			
المنصوبات:.....50			
المجرورات:.....55			

الفصل الثّاني:

الدّرس النّحوي لدى عبد القاهر الجرجاني: 69_ 80

- 69..... عناصر المناولة في كتاب دلائل الإعجاز:
- 69..... معيار تعليق الكلم:
- 73..... معيار التّقديم والتّأخير:
- 77..... معيار التّعريف و التّكثير:
- 77..... معيار الفروق في الخبر:
- 78..... عوامل متفرّقة
- 80..... الحذف

الفصل الرّابع:

الدّرس البلاغي لدى عبد القاهر الجرجاني: 110_ 128

- 110..... البيان
- 111..... التّشبيه
- 113..... التّمثيل
- 113..... المجاز
- 114..... الاستعارة
- 115..... الكناية
- ربط علم المعاني بعلم البيان عند عبد القاهر الجرجاني: 116.....
- 118..... فكرة النّظم عند المتكلّمين وأصحاب الإعجاز:
- 122..... ربط الجرجاني النّحو بالبلاغة:

125.....	مبدأ التلاقي بين النحو والبلاغة:
125.....	نظم الألفاظ:
125.....	النظم ومعاني النحو:
126.....	أركان التلاحم في أجزاء النظم:
126.....	البناء:
127.....	الترتيب:
128.....	التعليق:
128.....	التأليف:

الفصل الخامس:

مضامين أسرار البلاغة: 125_ 150

125.....	التجنيس
130.....	الاستعارة
135.....	الطباق
137.....	تنويع الاستعارة
138.....	التشبيه
142.....	الفرق بين التمثيل الدقيق والتعقيد
147.....	وقوع الاسم مستعار
148.....	التخييل بغير التعليق
150.....	الحقيقة والمجاز

الفصل السادس:

مضامين دلائل الإعجاز: 162_ 190

162.....	الفصاحة
165.....	الكناية
169.....	التقديم والتأخير
170.....	النكرة المقدمة أو المؤخرة عن الفعل
172.....	وضعية الخبر

التعريف والتكثير.....	176
الوصل والفصل.....	178
المعارضة بين اللفظ والمعنى.....	179
عنصر الذوق وأثره في الكلام.....	181
دلالة "ما" النافية للجنس وإلا الاستثنائية ودلالة إنما.....	184
دلالة اللفظ والنظم في الحكاية.....	187
علاقة بمعاني الكلم بمعاني النحو.....	190
ملاحق:.....	195
أولاً: لمحة موجزة عن كتاب أسرار البلاغة:.....	195
ثانياً: لمحة موجزة عن كتاب دلائل الإعجاز:.....	198
خاتمة.....	202
قائمة المصادر و المراجع.....	206
فهرس الموضوعات.....	237

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى قراءة محدّدة للدرس البلاغي والنحوي بين كتابي: أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لدى عبد القاهر الجرجاني، وتقوم على رصد المضمون العلمي الذي حواه الكتابان باعتبارهما مصدرين دراسيين شمالا البلاغة والنحو في

منظور الترابط القائم على العلاقة العضوية التي أوجدها عبد القاهر الجرجاني بين
البلاغة والنحو فيما يسميه توحي معاني النحو وأسسها بواسطة نظرية النظم.
كلمات مفتاحية:
الدرس النحوي والبلاغي- أسرار البلاغة- دلالات الإعجاز- توحي معاني النحو-
نظرية النظم.

Résumé :

Cette étude vise à une lecture spécifique de la leçon rhétorique et de la grammaire entre les deux livres: *Asrar al-Balaghah* (Les secrets de la rhétorique) et *Dala'il al-I'jaz* de *Abd al-Qāhir al-Jurjānī*. Elle est basée sur l'observation du contenu scientifique des deux livres comme étant des références qui incluent la rhétorique et la grammaire, du point de vue de la corrélation basé sur la relation organique créée par *Abd al-Qāhir al-Jurjānī* entre la rhétorique et la grammaire appelait la détection du sens de la grammaire, et fondée par la théorie des systèmes.

Mots-clés:

Leçon de grammaire et de l'éloquence rhétorique - *Asrar al-Balaghah* - *Dala'il al-I'jaz* - détection sens de la grammaire - la théorie des systèmes.

Abstract:

This study aims at a specific reading of the rhetorical lesson and the grammar between the two books: *Asrar al-Balaghah* (*The Secrets of Elucidation*) and *Dala'il al-I'jaz* (*Intimations of Inimitability*) of *Abd al-Qāhir al-Jurjānī*. It is based on the observation of the scientific content of the two books as references that include rhetoric and grammar, from the point of view of correlation based on the organic relationship created by *Abd al-Qāhir al-Jurjānī* between rhetoric and Grammar called the detection meaning of grammar, and founded by the theory of systems.

Keywords:

Lesson of Grammar and Rhetorical Eloquence - *Asrar al-Balaghah* - *Dala'il al-I'jaz* - meaning detection of grammar - Theory of Systems.

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى قراءة محدّدة للدّرس البلاغي والنّحوي بين كتابيّ: أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لدى عبد القاهر الجرجاني، وتقوم على رصد المضمون العلمي الذي حواه الكتابان باعتبارهما مصدرين دراسيين شمالا البلاغة والنحو في منظور الترابط القائم على العلاقة العضويّة التي أوجدها عبد القاهر الجرجاني بين البلاغة والنحو فيما يسمّيه توحي معاني النحو وأسسها بواسطة نظريّة النّظم.

كلمات مفتاحية:

الدّرس النّحوي والبلاغي- أسرار البلاغة- دلائل الإعجاز- توحي معاني النّحو- نظريّة النّظم.

Résumé :

Cette étude vise à une lecture spécifique de la leçon rhétorique et de la grammaire entre les deux livres: *Asrar al-Balaghah* (Les secrets de la rhétorique) et *Dala'il al-I'jaz* de *Abd al-Qāhir al-Jurjānī*. Elle est basée sur l'observation du contenu scientifique des deux livres comme étant des références qui incluent la rhétorique et la grammaire, du point de vue de la corrélation basé sur la relation organique créée par *Abd al-Qāhir al-Jurjānī* entre la rhétorique et la grammaire appelait la détection du sens de la grammaire, et fondée par la théorie des systèmes.

Mots-clés:

Leçon de grammaire et de l'éloquence rhétorique - *Asrar al-Balaghah* - *Dala'il al-I'jaz* - détection sens de la grammaire - la théorie des systèmes.

Abstract:

This study aims at a specific reading of the rhetorical lesson and the grammar between the two books: *Asrar al-Balaghah* (*The Secrets of Elucidation*) and *Dala'il al-I'jaz* (*Intimations of Inimitability*) of *Abd al-Qāhir al-Jurjānī*. It is based on the observation of the scientific content of the two books as references that include rhetoric and grammar, from the point of view of correlation based on the organic relationship created by *Abd al-Qāhir al-Jurjānī* between rhetoric and Grammar called the detection meaning of grammar, and founded by the theory of systems.

Keywords:

Lesson of Grammar and Rhetorical Eloquence - *Asrar al-Balaghah* - *Dala'il al-I'jaz* - meaning detection of grammar - Theory of Systems.